

窓ぎわのトットちゃん

黒柳徹子

توتوتشن

الفتاة الصّغيرة عند الشّباك

تأليف : تيتسوكو كورويا ناغي
ترجمة : د. على حسن على السّمني
أكيرا كويانو



دار الشروق

黒柳徹子
窓ぎわのトットちゃん



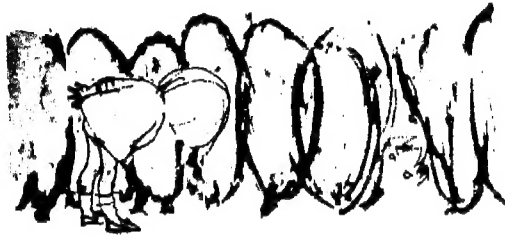
国際交流基金助成による出版

翻訳：アリー・ハサン・エル・サムニー

古谷野 晃

توتوتشن

الفتاة الصغيرة عند الشباك



THE
JAPAN
FOUNDATION

ساهمت في نشر هذه القصة
مؤسسة اليابان

تأليف

تيتسوكو كوروياناغي

ترجمة

د. علي حسن علي السمني

أكيرا كويانو

دار الشروق

الفهرس

الصفحة

١١	نبذة عن المؤلفه
١٣	فى محطة القطار لأول مرة
١٦	توتوتشن عند الشباك
٢٤	المدرسة الجديدة
٢٦	أنا أحب هذه المدرسة
٢٨	مدير المدرسة
٣٤	وجبة الغداء
٣٦	أذهب إلى المدرسة من اليوم
٣٩	فصل الدراسة فى القطار
٤٢	الفصل الدراسى
٤٦	طعام من البر وطعام من البحر
٥١	امضغ الطعام جيدا
٥٣	نزهة
٥٨	أغنية المدرسة
٦٢	أعيدىها
٦٧	اسم توتوتشن

الصفحة

٦٩	التمثيلات الهزلية
٧١	قدوم القطار
٧٧	حمام السباحة
٨١	كشف الدرجات
٨٣	بدء العطلة الصيفية
٨٦	المغامرة الكبرى
٩٢	اختبار الشجاعة
٩٦	قاعة التدريب
١٠٠	رحلة إلى العين الساخنة
١٠٥	فن الإيقاع
١١١	طلب واحد في حياتي
١١٥	الملابس الرثة
١١٩	ناكاهاشي
١٢٢	انظري قبل أن تقفزي
١٢٥	وبعد ذلك
١٣٢	كنا نلعب فقط
٢٣٦	يوم الرياضة
١٤٣	إسّا كوياباشي الشاعر
١٤٦	شيء غامض
١٥١	محادثة بالأيدي
١٥٣	معبد سنغاكوجي
١٥٧	ماساوتشان

الصفحة

١٦٠	ضميرتا الشعر الطويلتان
١٦٤	شكرا
١٦٧	المكتبة
١٧١	ذيل
١٧٥	الربيع الثاني لها في توموى
١٧٧	بحيرة البجع
١٨٠	أستاذ التربية الزراعية
١٨٤	طهى فى الحقول
١٩٠	بلاشك أنت بنت طيبة
١٩٣	عروس
١٩٦	المدرسة الرديئة
٢٠٠	شريط الشعر
٢٠٤	زيارة الجرحى
٢٠٩	'ماء الشجر
٢١٧	فل يحيد الانكليزية
٢٢١	المسرح
٢٢٥	طباشير
٢٢٨	وفاة ياسواكى تشن
٢٣٧	جاموسة
٢٣٦	الكمان
٢٣٩	الوعد
٢٤٢	اختفاء روكى

الصفحة

٢٤٧ حفل الشاي
٢٥١ وداعا
٢٥٣ الخاتمة
٢٦٤ تعريف بالأشخاص الذين وردوا في هذه القصة

هذه قصة عن مدرسة ابتدائية في طوكيو وعن فتاة صغيرة درست فيها قبيل
انتهاء الحرب العالمية الثانية .

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد دفعنا إلى المشاركة في ترجمة هذه القصة أنها تترجم حياة المؤلفة وتعبير عن سلوك طريق طويل وصل بها إلى مركز مرموق في الحياة العامة بعد أن كان كثير من الناس ينظرون إليها في أول حياتها نظرة إشفاق وإخفاق . والذي يقرأ هذه القصة سيعرف من خلالها مواقف عصيبة مرت بها الكاتبة وأمورا كثيرة وتجارب متعددة كونت شخصيتها وصقلت معارفها ووسعت ثقافتها وأكسبتها جرأة في الحياة وجعلتها إنسانا متعاوننا يجب الخير ويساعد عليه ويكره الشر ولا يميل إليه .

في هذه القصة سيرى القارئ أنماطا من الحياة اليابانية وطريقة اليابانيين في تربية أبنائهم وحملهم على أن يجربوا الحياة بأنفسهم ، ويباشروها بقسوتها وريختها ، ويتغلبوا على صعابها بتفكيرهم وإرادتهم ، كما سيرى كيف يهتم بتنشئة الأطفال المتخصصون ، وغير المتخصصين من الذين تدور في خواطرهم أفكار جديدة وطرق حديثة غير الطرق الروتينية والنظامية ، كالذي أقام مدرسة خاصة في عربات قطار أصبحت غير صالحة للسير على القضبان فاستغلها كفضول للدراسة توحى إلى الأطفال بالسفر الطويل ، والكفاح المرير والتنقل من درجة إلى درجة أخرى ، والاجتماع والصحبة على طريق الحياة ، كما سيرى القارئ كيف تذكر الكاتبة رفاق الدراسة وزملاء الرحلة في عالم الدراسة وتحاول أن تذكرهم بأوصافهم وأخلاقهم وتوادهم وتعاونهم وسيرى القارئ حوالى ستين فصلا أو أكثر

فى هذه القصة كل فصل منها يوحى بكثير من أخلاق القوم وعاداتهم وطريقة حياتهم ، وإنه لمن الأتانية والفضول أن نترجم ما فى هذه الفصول من فلسفات ونظريات وآراء ولكن من العدل أن نتركها كما هى معتمدين على ذكاء القراء وحسن استنتاجهم ونظراتهم لما تخفى هذه المواقف من نظرات للحياة ، ولعل فيها ما يستفيد منه القارئ فى حياته الخاصة والعامة وفى طريقة تعليمه لأولاده وتأديبهم وتوجيههم فى الحياة ، بل وفى سلوكه هو فى الحياة العامة والخاصة .

ولقد تُرجمَت هذه القصة إلى أكثر من لغة ووزعت فى أكثر من ثلاث عشرة دولة حتى لقد بلغ عدد النسخ التى وزعت منذ عام ١٩٨١م أكثر من ثمانية ملايين نسخة .

ونرجو أن ينفع الله بها قراء العربية وأن يجدوا فيها بعض ما يرشددهم فى تهذيب أبنائهم وترشيد سلوكهم .

المرجان

القاهرة فى

أول سبتمبر سنة ١٩٨٨م د/على حسن على السمنى

أكيرا كويانو

نبذة عن المؤلفة

ولدت ونشأت بمدينة طوكيو ، وتلقت دراستها فيها حتى الجامعة حيث تخرجت من قسم الأصوات بجامعة طوكيو للموسيقى ، كانت أمنيها أن تكون أما وتستطيع أن تدرس الصور والأطفال بطريقة جيدة ، فدخلت الامتحان لفرقة المذيعين من الإذاعة الوطنية (NH.K) ونجحت فيه ، وكانت ضمن الدفعة الأولى التي دخلت هذا المجال .

ثم انتخبت كأحسن ممثلة بالإذاعة والتلفزيون خلال خمس سنوات متتالية ، ونالت أثناء عملها بالإذاعة عددا من الجوائز ، ثم سافرت إلى نيويورك في عام ١٩٧٢ ومكثت هناك عاماً كاملاً كتبت فيه كتاباً يحمل عنوان « نيويورك والحب » ومنذ أن عملت في برنامج « مضيضة تيتسوكو » وهو برنامج يومي ، نالت فيه أكبر جائزة للإذاعة التلفزيونية . هذا وقد كانت برامجها الأخرى من أكثر البرامج جاذبية للمشاهدين ، كما كرس حياتها للرفاهية ، ودعت الفرقة المسرحية الوطنية الأمريكية للمكفوفين إلى اليابان مرتين ومثلت معهم بالإشارة وكانت تقوم معهم من حين لآخر بالتمثيل .

وقد ألقت كتاباً بعنوان « باندا وأنا » . وكانت عضواً بجمعية الرفق بالحيوان . وكانت مديرة الصندوق العالمي لإنقاذ حياة الحيوان البري وتعينت في عام ١٩٨٤ سفيرة سلام باليونيسيف (صندوق الأمم المتحدة لآغاثة الأطفال) .





في محطة القطار لأول مرة :

من محطة « جيوغاؤكا » عندما نزلتا من قطار خط « أويماشي » جذبت الأم يد ابنتها - توتوتشن - لتخرج بها من باب الخروج ، ولأن توتوتشن لم يسبق لها ركوب القطار عز عليها أن تسلم تذكرة القطار لموظف الباب وأرادت أن تحتفظ بها لنفسها فسألته :

- هل يمكنني الاحتفاظ بهذه التذكرة ؟

قال :

- لا ،

وأخذها من يدها .

أشارت توتوتشن إلى الصندوق الذي تتجمع فيه التذاكر وقالت :

- هل كل هذه التذاكر ملكك ؟

وفي أثناء استلام التذاكر من الخارجين أجابها قائلاً :

- إنها ليست ملكي ولكنها ملك للمحطة .

فقالت :

- آه ..

واقترت من الصندوق وتأملت ما بداخله وقالت فى أسف :
- عندما أكبر فإنى أريد أن أكون بائعة تذاكر .

فرمقها بنظرة ثم قال :

- إن ابنى أيضا يريد أن يعمل فى المحطة ، فىمكن أن تعملوا سويا .
فابتعدت عنه قليلا وتأملته فإذا هو بالرغم من بدائه وشكل نظارته يبدو
عليه طيبة القلب وحسن الخلق فتأوهت ووضعت يديها على خصرها وقالت :
- سأذهب إلى المدرسة الجديدة الآن وسأفكر بعد ذلك هل يمكننى العمل
مع ابنك .

ثم جرت إلى أمها التى كانت فى انتظارها فى الخارج وصاحت بصوت
عال :

- أريد أن أكون بائعة تذاكر

لم تتعجب الأم وقالت لها :

- ماذا تريد أن تفعل ، لقد كنت تريد أن تكونى جاسوسة ؟
ثم سارتا تمسك الأم بيد توتوتشن وهى تفكر فى صمت :
- (نعم . إننى قررت بالأمس أن أكون جاسوسة ، واليوم أريد أن أكون بائعة
تذاكر لأراقب الصندوق . وذلك حسن أيضا) .

فكرة طيبة خطرت . قالت بصوت عال لأمها :

- أكون بائعة تذاكر وفى نفس الوقت أكون جاسوسة .

فلم تجب الأم وظلت فى صمتها لأنها كانت فى شغل شاغل ، ماذا تعمل لو
لم تقبل توتوتشن فى المدرسة الجديدة لقد كان وجهها الجميل مقطبا تحت
القبة المصنوعة من الجوخ المزينة بالزهور . نظرت إلى توتوتشن التى كانت تقفز

من مكان إلى آخر في أثناء سيرها وتحدث نفسها بمحدث سريع لم تفهم الأم منه شيئاً فالتقت عيناهاما وابتسمت البنت حيث لم تدر ما يدور في خلد أمها وقالت :

- إذن سوف أتخلّى عن الفكرتين - فكرة الجاسوسة وفكرة بيع التذاكر - وسوف أكون غجرية أعزف آلات الموسيقى في الشارع مع الذين يقومون بالدعاية للمحلات الجديدة .

فقالت الأم في بأس شديد - وكانت في طريقها إلى المدرسة الأخرى - :
- هيا حتى لا تتأخر فدير المدرسة ينتظرنا ، أنظري أمامك ، وتوقفي عن الكلام ، واستقيمي في سيرك .
واستمرت في السير حتى باب المدرسة الصغيرة .

توتوتشن عند الشباك :

سوف أشرح لكم - قبل ذهابها إلى المدرسة الجديدة - لماذا كانت الأم قلقة :

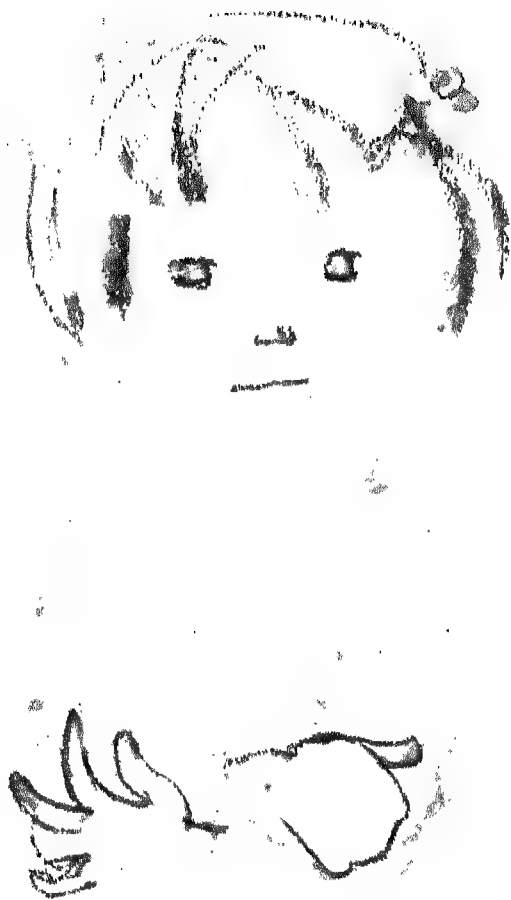
لقد طردت توتوتشن من المدرسة السابقة وهي لاتزال في الصف الأول .
فى الأسبوع الماضى استدعت مدرسة فصل توتوتشن الأم وقالت لها بحزم :
- إن ابنتك تسبب إزعاجا للجميع فأرجوك أن تأخذها إلى مدرسة أخرى .

وأضافت المدرسة الشابة الجميلة فى تنهد :
- إنها حقًا مشكلة .

وكررت هذه العبارة كثيرا مما دعا الأم إلى التعجب فقالت فى دهشة
لنفسها :

- كيف ذلك ؟ ولماذا هى تزعج الجميع ؟ وماذا تعمل ؟
وقالت المدرسة - وكانت فى ذلك الوقت تضع يدها على شعرها المجعد
(المفتول الأطراف) ، وتغمض عينيها وتفتحها مرات كثيرة - تصف للأم ما
تفعله توتوتشن :

- أولاً . هى تفتح درج الكتب وتغلقه أكثر من مائة مرة فى أثناء الحصة



فأنتهاها عن ذلك ولكن بدون جدوى : تضع الكتب التي أخذتها والمقلمة وكل شيء في الدرج ثم تخرجها بعد ذلك واحدة تلو الأخرى ، ومثلا في درس الإملاء تأخذ الدفتر من الدرج وتغلقه بصوت مرتفع مباشرة ثم تفتح مرة أخرى وتدخل رأسها في الدرج لتأخذ القلم من المقلمة لكي تكتب حرف (أ) وتغلقه بصوت عال وبسرعة أيضا وعندما تعتقد أن الخط ليس جيدا أو تخطئ في الكتابة تفتح الدرج مرة أخرى لتحضر المحاة ، ثم تخرج رأسها وتغلقه بصوت عال وبسرعة ، وتستعمل المحاة ثم تفتح الدرج مرة أخرى بسرعة لإرجاع المحاة وتغلقه بسرعة فأنظر إليها عندما تفتح الدرج مرة أخرى لتضع كل شيء في الداخل واحدة تلو الأخرى بعد كتابتها حرف واحد فقط .

فهي تضع القلم ثم تفتح لتضع الدفتر وتغلق .. وهكذا ...

ثم عند كتابة حرف (ب) تعيد ما فعلته من قبل فتخرج الدفتر ثم القلم ثم ... ثم ... وتفعل كل هذا أمام عيني بسرعة وتعجل فأشعر بذهول ودهشة من أفعالها هذه ولكنني لا أستطيع أن أطلب منها أن تكف عن هذا العبث . لأنه لا بد وأن تكتب ...

وحركت المدرسة رموشها بسرعة وكأنها تذكرت ما فعلته توتوتشن بالضبط . فهمت الأم لماذا توتوتشن كانت تفتح الدرج وتغلقه كثيرا . وتذكرت الأم أول يوم عادت فيه توتوتشن من المدرسة وكانت نائرة وأخبرت أمها بما حدث في المدرسة فقالت :

- آه .. المدرسة هائلة . فالدرج هنا يخرج هكذا وفي المدرسة يجذب إلى أعلى مثل سلة القمامة إلا أنه أكثر ملوسة منها ويستوعب أشياء أكثر ولذلك فهو جيد جداً ! .

وبدت الأم وكأنها تستطيع فهم ما تفعله توتوتشن في المكتب الذى لم تره من قبل - بسرور - واعتقدت الأم أن هذا ليس سيئاً وأنها إذا تعودت على المكتب فسوف تقلل من تكرار هذا الأسلوب السيئ . قالت الأم للمدرسة :

- سوف أحذر توتوتشن .

ولكن المدرسة قالت في صوت عال :

- لو كانت تفعل ذلك فقط لسمحت لها .

وشعرت الأم في ذلك الوقت بتضاؤل جسمها من الخجل لما فعلته توتوتشن فتقدمت المدرسة نحو الأم قليلاً وقالت :

- إن لم تفعل ذلك فإنها تقف طول الحصة .

وسألت الأم في تعجب وحيرة لأنها لا تعرف السبب الحقيقي .

- أين تقف ؟

قالت المدرسة - وقد بدت عليها سمات الغضب - :

- عند شباك الفصل .

وسألت الأم :

- ماذا تفعل عند الشباك ؟

وأجابت المدرسة صائحة :

- إنها تقف عند الشباك لتنادى بعض الغجر الذين يعزفون على الآلات

الموسيقية في الشارع . وإذا لخصنا قول المدرسة فإنه يكون كالآتى :

- في الحصة الأولى تفتح المكتب وتغلقه بصوت مرتفع ثم تبتعد عن المكتب

متجهة إلى الشباك وتنظر إلى الخارج . ولا تمنعها المدرسة طالما هى صامتة لاتزعج

الآخرين . ولكنها فجأة تصرخ بصوت عال من الشباك منادية على الغجر -،-

ومن حسن حظ توتوتشن وسوء حظ المدرسة أن الفصل في الدور الأول ويطل على الطريق العام ولا يوجد حاجز بين الفصل والشارع إلا حائط منخفض عليه بعض الشجرات مما سهل على توتوتشن أن تتكلم إلى الناس من شباك الفصل - فيأتى الغجر أمام الشباك . ثم تنادى توتوتشن على التلاميذ فرحة لينظروا إلى الغجر فيصرخ التلاميذ ويطلبون منهم العزف أمام الشباك بصوت مرتفع - مع أنهم يخفضون أصوات العزف أمام المدارس - فيعزفون بالكلارينت والجرس والطبل والعود اليابانى ذى الثلاث أوتار أما المدرسة فتقف أمام الفصل فى صبر انتظارا لانتهاى الغجر من المعزوفة . ثم ينصرف الغجر بعد ذلك ويعود التلاميذ إلى أماكنهم فى هدوء إلا أن توتوتشن تظل واقفة فى مكانها . وهذا شئ مثير للعجب . فتسألها المدرسة :

- لماذا أنت واقفة هكذا ؟

فتجيب توتوتشن بخدية قائلة :

- إذا جاء آخر ناديت عليه . وإذا عاد الأول ولم يجلى أمام الشباك فتكون مشكلة .

وتستمر المدرسة فى الحديث للأم :

- هل تفهمين ؟ إن الدرس لا يمكن أن يستمر هكذا .

وكانت المدرسة متأثرة جدا وكادت الأم تفهم هذه المشكلة التى تسببها توتوتشن لها . وكان حديث المدرسة بصوت عال مما أدى إلى أن رثت الأم لها وقالت لها :

- أهنالك شئ آخر غير ذلك ؟

فقلت المدرسة :

- لو أن أخطاءها يمكن حصرها ماطلبت منك نقلها إلى مدرسة أخرى .
- وبعد أن هدأت أنفاسها نظرت إلى الأم وقالت :
- ولقد حدث بالأمس أن كانت تقف عند الشباك كعادتها والدرس مستمر
- وفكرت أن وقوفها للغجری إذا عاد فإذا بها فجأة تسأل بصوت عال :
- ماذا تفعل ؟

أنا لا أعرف من هذا الشخص ولا أستطيع أن أراه من مكانى ، ومرة أخرى وبصوت مرتفع قالت :

- ماذا تفعل ؟

وفى هذه المرة لم يكن هذا شخصا فى الشارع . إنه فوق ، فهى تنظر إلى أعلى وتلهفت على معرفة رد ذلك الشخص ، وتسمعت ولكنه لم يرد . وبالرغم من ذلك فإن ابتكك تكرر السؤال :

- ماذا تفعل ؟

وهذا يزعج التلاميذ فى الفصل ، وفكرت أن أخطب هذا الشخص فذهبت إلى النافذة ، وأخرجت رأسى ونظرت إلى أعلى فوجدت طائر الخطاف يبنى عشة ، مما أثار دهشتى ... فالطائر يبنى عشة فوق شبك الفصل وتحت التندة . فهى تسأل الطائر . حقيقة إنى لست بالمدرسة التى لاتفهم شعور الأطفال ولا أريد أن أقول إن ما فعلته من تكرار السؤال للطائر هراء ولكن أظن أن هذا غير مسموح به فى أثناء الحصة .

وواصلت المدرسة حديثها قبل أن تفتح الأم فيها معتذرة :



وذات مرة في أثناء حصة الرسم ، طلبت منهم أن يرسموا علم الوطن ، وهو علم أبيض وفي وسطه الشمس ، فرسمه التلاميذ في الورق ، ولكن توتوتشن بدأت الرسم فرسمت علم سفينة حربية كأنها تصميم علما لجريدة الأساهى فقلت في نفسي :

لو أنها تريد رسم علم سفينة فلا مانع ، ولكن المفاجأة الكبرى في أنها أضافت إليه بعض الشراريب خارج الورقة فتعجبت وعلى الرغم من ذلك فكرت أنها قد رأت هذا العلم في مكان ما ، وابتعدت عنها قليلا فإذا بها تلونه باللون الأصفر ثم لونت هذه الشراريب باللون الأصفر الداكن .

هى رسمت أولا العلم في الورقة كلها ثم رسمت الشراريب على المكتب لتكمل الرسم حيث قد امتلأت الورقة بالعلم ثم لونت هذه الشراريب بذلك القلم الأصفر (الكريون) وضغطت عليه بحدة وعنق .

وعندما رفعت الورقة بقى رسم الشراريب الصفراء على المكتب ولم يمكن
محوها وكان من تخفيف وقع المصيبة أنه كان من ثلاث جهات فقط

وسألت الأم وقد بدأ عليها الاضطراب :

- ما معنى ثلاث جهات ؟

وعلى الرغم من أن المدرسة كانت فى حالة من التعب فإنها أجابت بلطف :

- لقد كانت خطوط الشراريب فى ثلاث جهات وكان السارى - عمود

التعليق - فى الجهة الرابعة فبدت الأم مرتاحة بعض الشيء وكررت :

- آه ... فى ثلاث جهات فقط .

وقالت المدرسة ببطء شديد كلمة كلمة :

- ولكن الجانب الرابع بجانب السارى خرج على المكتب أيضا وبقيت آثاره

فيه .

ثم وقفت المدرسة وقالت بعد ذلك فى حزم وصرامة :

- إن الازعاج ليس لى فقط ولكن للمدرسة التى تدرس فى الصف الأول

بجانبنا أيضا .

وكانت الأم فى هذه الحالة مرغمة على اعتقاد أن توتوتشن تزعم التلاميذ

كثيرا - ولابد أن تعمل شيئا فى هذا الأمر . إنه ليس من العدل بالنسبة للتلاميذ

الآخرين أن تزعمهم توتوتشن هكذا . إنه لابد من البحث عن مدرسة أخرى

قد يوجد فيها من يفهم ابنتها الصغيرة ويعلمها كيف تتعامل مع الناس الآخرين .

وأخيرا بعد أن بحثت الأم طويلا وجدت المدرسة التى هما فى الطريق إليها .

ولم تخبر الأم توتوتشن بأنها قد طردت لأنها لاتستطيع أن تفهم أنها عملت

خطأ ، وأيضاً لم ترد أن تدخل في نفسها مركب النقص ، ولهذا قررت ألا أخبرها حتى تكبر. وكل ما قالته لها :

- هل تريد أن تذهبي إلى مدرسة جديدة ؟ لقد سمعت أن هناك مدرسة لطيفة ؟

وبعد تفكير قليل قالت :

- وهو كذلك . ولكن ...

وفكرت الأم :

- ماذا تفكر الآن ؟ هل عرفت أنها قد طردت ؟

وبعد لحظة أقبلت توتوتشن على أمها في لهفة وارتجت في أحضانها وسألت :

- هل تظنين أن الغجر سيحضرون إلى المدرسة الجديدة أيضاً ؟

وهكذا سارتا نحو المدرسة الجديدة .

المدرسة الجديدة :

توقفت توتوتشن عندما رأت بوابة المدرسة الجديدة . لقد كانت بوابة المدرسة التي كانت تذهب إليها قبل ذلك بوابة فاخرة ذات أعمدة من الأسمنت المسلح عليها اسم المدرسة بحروف كبيرة ولكن بوابة هذه المدرسة ... قد تكونت ببساطة من شجرتين قصيرتين نوعا ما لا يزال يرى عليها فروع وأوراق .

قالت توتوتشن :

- من المحتمل أن يستمر نمو هذه البوابة حتى تكون أطول من أعمدة التليفون !!

لقد كان واضحا أن هذين العمودين عبارة عن شجرتين يجذور . وعندما اقتربت منها كان عليها أن تميل رأسها جانبا لتقرأ اسم المدرسة لأن الرياح قد عصفت باللوحة التي كتب عليها الاسم فحرفتها جانبا .

- مدرسة تو- مو- ئ

هكذا تقرأ .

قبل أن تسأل توتوتشن أمها عن معنى تو- مو- ئ لمحبت شيئا جعلها تظن أنها لا بد أن تكون في حلم . لقد جلست القرفصاء ثم دقت النظر خلال الأشجار لترى منظرا غريب ولكنها لم تصلق عينها ونادت :

- أمى ، هل ذلك الذى فى أرض المدرسة هناك قطار حقا ؟

لقد استعملت المدرسة لأجل فصولها الدراسية ست عربات قطار سكة حديد متروكة لعدم صلاحيتها ولقد بدأ هذا لتوتوتشن أنه شيء لا يكون إلا فى الحلم ، مدرسة فى قطار .

لقد كانت نوافذ العربات تلمع فى نور الشمس فى الشروق ولكن عيني الفتاة الصغيرة ذات الحديد الورديين كانتا تلمعان أكثر عندما تنظر إليها .

أنا أحب هذه المدرسة :

بعد لحظة : صاحت توتوتشن صيحة الفرح وبدأت تجرى نحو مدرسة
القطار ملتفتة إلى أمها ونادتها :

– هيا بسرعة . دعينا نلحق بهذا القطار الذى لا يزال واقفا .

فبدأت الأم – متدهشة – تجرى وراءها وكانت أسرع منها – حيث كانت
يوما ما من فريق كرة السلة – وأمسكت بردائها فى الوقت الذى كانت قد
وصلت فيه إلى الباب ثم قبضت عليها من الخلف وقالت لها :

– أنت لا تستطيعين أن تدخل الآن ، هذه العربات هى الفصول الدراسية
ولا يركبها إلا من قبل فى المدرسة . فإذا كنت تريدن حقا أن تركبى هذا
القطار فيجب عليك أن تكونى لطيفة ومؤدبة مع المدير . نحن الآن ذاهبتان
لمقابلته ، فإذا كان كل شئ على مايرام فإنك ستتمكنين من دخول هذه
المدرسة . هل تفهمين ؟

فكانت توتوتشن فى وجل وخوف أن يخيب ظنها فى ركوب القطار فى
الحال ، ولكنها قررت أنه من الأفضل أن تفعل كما قالت أمها فأجابت :

- وهو كذلك .

ثم أضافت :

- أنا أحب هذه المدرسة كثيرا .

أرادت الأم أن تخبرها أن الأمر لا يعتمد على حبها للمدرسة ولكنه يعتمد على حب المدير لها نفسها ولكنها اكتفت بأن أخلت سبيل رداؤها وأمسكت بيدها وبدأتا السير إلى مكتب مدير المدرسة .

لقد كانت جميع العربات هادئة لأن الدرس الأول لهذا اليوم كان قد بدأ .

وكان فناء المدرسة على الرغم من ضيقة مسورا بالأشجار وكانت هناك أحواض الزهور التي امتلأت بالأزهار الحمراء والصفراء . لم يكن مكتب المدير في عربة من هذه العربات بل كان يقع في مكان مرتفع على يمين سلم أمام الباب مكون من سبع درجات مبنى من الطوب . تركت توتوتشن يد أمها وصعدت السلم وفجأة وقفت والتفت . وكانت الأم تصعد خلفها مباشرة فكادت تصطدم بها . سألتها أمها :

- ماذا حدث ؟

وظنت الأم أن توتوتشن غيرت رأيها فعادت بسرعة . كانت توتوتشن على أعلى درجة في السلم وهمست لأمها في جدية :

- هل الشخص الذي سوف نقابله الآن عامل في المحطة ؟

كانت الأم صبورة كما كانت أيضا مرحة فسألت توتوتشن بصوت خافت
بعد أن وضعت وجهها في وجهها :

– لماذا ؟

فأجابت توتوتشن بصوت منخفض أيضا :

– ماما أنت قلت إنه المدير فإذا كان يملك كل هذه القطارات فلا بد أن
يكون عاملا في المحطة . أليس كذلك ؟

وكان على الأم الآن أن تعترف أنه على غير المعتاد أن تستعمل مدرسة عربات
السكة الحديد القديمة كفضول دراسية ولكن لم يكن هناك وقت يسمح أن
تشرح ذلك .

قالت الأم ببساطة :

– تستطيعين أن تسأليه بنفسك . لقد كان أبوك يعزف الكمان ويملك كثيرا
من هذه الآلة الموسيقية ولكن مع ذلك لم يكن بيتنا حانوتا لبيع الكمان !!
وهناك أشخاص كثيرون مثل ذلك .

فقالت توتوتشن :

– نعم . إنه كذلك ثم أمسكت بيد أمها .

مدير المدرسة :

عندما دخلت الأم وتوتوتشن مكتب المدير وقف من كرسيه . لقد كان خفيف الشعر في وسط الرأس وقد فقد بعض أسنانه الأمامية ولونه يدل على حسن صحته مع أنه لم يكن طويل القامة وله كتفان عريضان وذراعان مفتولان ، وقد لبس حلة سوداء مهندمة من ثلاث قطع .

وسرعان ما انحنت إليه توتوتشن للتحية ثم سأله بصوت عال :

- هل أنت مدير مدرسة أم موظف في المحطة ؟

واجاب ضاحكا - وقبل أن توضح الأم الأمر لتوتوتشن :

- إننى مدير هذه المدرسة .

وقالت بسعادة غامرة :

- حسنا . إذن أريد أن ألتحق بهذه المدرسة .

قدم المدير مقعدا لتوتوتشن والتفت نحو الأم . وقال :

- يمكنك أن تنصرفي الآن . فلي كلام كثير مع ابنتك .

وسرعان ما انتاب توتوتشن شعور بالضيق . ولكن على أى حال شعرت

بالطمأنينة نحو المدير . وقالت الأم بشجاعة :

- إذن أنصرف الآن . وأرجو أن تراعيها

ثم خرجت من المكتب وأغلقت الباب خلفها . ثم أخذ المدير مقعدا ليجلس عليه في مواجهة توتوتشن واقترّب منها ليتبادلا الحديث . ثم قال :

- الآن تكلمى فى أى شىء تريدین .

فقال :

- أى شىء أحبه ؟

لقد توقعت توتوتشن أن السيد المدير سيسألها بعض الأسئلة التى يجب أن تجيب عليها . ولكن عندما طلب منها أن تتكلم عن أى شىء كانت سعيدة جدا ثم بدأت فوراً .

حاولت جهدها أن تتكلم ولكن كان حديثها بغير ترتيب ولا نظام . تكلمت عن سرعة القطار الذى ركبته ومراقب المحطة ورفضه السماح لها بأخذ تذكرة القطار مع طلبها ذلك ، وتحدثت عن مدرستها السابقة فلقد كانت مدرسة فصولها جميلة كما كان فى المدرسة عش لطائر الحطاف وفى المنزل كلب بنى اللون اسمه روكى يسمع كلامها ويسلم عليها وتظهر عليه مظاهر السرور والفرح بعد الأكل . وعندما كانت فى روضة الأطفال كثيرا ما كانت تدخل المقص فى فيها وطالما حذرتها المدرسة من قص لسانها ولكنها استمرت تفعل ذلك مع تألم المدرسة لذلك . وعندما كان يسيل مخاطها تسرع فى مسحه حتى لا تغضب أمها . وأبوها يستطيع السباحة جيدا كما يستطيع أن يغطس فى البحر ،

واستمرت في حديثها حول موضوعات كثيرة بلا ترابط في الأفكار ، وكان سيادة المدير يضحك ويمز رأسه ويقول : ثم ماذا ؟ وكانت توتوتشن سعيدة في استمرارها في الحديث وأخيرا صمتت كأنما تفكر في شيء آخر فقال لها سيادة المدير :

- ألا يوجد شيء آخر ؟

لقد أسفت توتوتشن على سكوتها ، فلقد كانت فرصة جيدة . لم يعد هناك شيء آخر تستطيع الكلام فيه ثم طرأت لها فكرة : تستطيع أن تحدثه عن الملابس التي تلبسها الآن . لقد صنعت أمها أكثر ملابسها إلا أن ملابس اليوم جاهزة لأنها دائما عندما تعود إلى المنزل في المساء تكون ملابسها ممزقة وبعض التمزيق يكون سيئا جدا من غير أن تدري الأم كيف تمزقت هذه الملابس حتى بعض الملابس القطنية الداخلية كانت أحيانا ممزقة . وحسب قصتها يبدو أن التمزيق ناتج من تسللها إلى حدائق البيوت فتخترق أسوارا من الأشجار وتمر بين فروعها زاحفة على الأسلاك الشائكة حول الحقول والمزارع .

وعلى كل حال فإن الملابس الأنيقة التي نحاطها الأم كانت ممزقة ، وفي هذا الصباح عندما أرادت الذهاب إلى المدرسة الجديدة كان عليها أن تلبس ملابس قد اشتريتها أمها ، وكانت هذه الملابس عبارة عن فستان بخطوط حمراء ورمادي وهو من نسيج الجرسى ومع أنه لم يكن رديئا إلا أنه لم يرق ذوق الأم كما أن تطريز الورود الحمراء على البنية (الياقة) لا تتفق مع الذوق الحسن .

قالت توتوتشن وقد أمسكت بالبنيقة ليراها السيد المدير :

- أمى لانتخب هذه البنيقة .

فكرت كثيرا لتجد شيئا آخر تتحدث عنه ولما لم تجد شعرت بالحزن وفى أثناء تفكيرها وقف المدير ووضع يده الكبيرة الدافئة على رأس توتوتشن وقال :

- إذن الآن أصبحت تلميذة فى هذه المدرسة .

وأحسست توتوتشن أنها لأول مرة فى حياتها تلتقى بشخص تحبه كثيرا لأنها لم تلتق قبل ذلك بمن يسمع منها هذا الحديث الطويل وعلى مدى الساعات لم يضجر منها ولم يمل حديثها وكان يهتم به اهتماما كثيرا مثلما كانت تهتم به .

لم تكن تعرف توتوتشن قراءة الساعة ، ولكن رغم ذلك فأنها شعرت بأن ساعات طويلة انقضت أثناء حديثها ، فلو كانت تعرف الساعة إذن لاندهشت وكانت أكثر شكرا للمدير فالساعة كانت الثامنة عند وصولها وأمها إلى المدرسة وبعد انتهاء قصتها إلى قبولها فى المدرسة ، نظر المدير إلى ساعة الجيب وقال :

- آه ... لقد حان وقت الغداء .

أى أنه قد استمع إليها أكثر من أربع ساعات . إلى الآن لم يسمع رجل إلى قصة توتوتشن الطويلة بمثل هذه الاهتمام . وعلاوة على ذلك فإنه ليدشش الأم والمدرسة السابقة إذا ما عرفتا أن طفلا فى الصف الأول الابتدائى يستطيع أن يتكلم بدون توقف لمدة أربع ساعات ويحد الكلام الذى يكفى هذه المدة .

طبعا لم تكن تعرف توتوتشن أنها قد طردت من المدرسة السابقة ولا عن الناس حولها كيف كانوا يضيقون بأعمالها .

لقد أسبغ عليها المرح وسرعة النسيان وشرود الذهن سذاجة وبراءة ، ولكنها كانت تشعر شعورا عميقا أن الناس يعتبرونها مختلفة عن الأطفال الآخرين وينظرون إليها بعدم أكرات . ولكن السيد المدير أشعرها بالأمان والدفع والسعادة حتى أنها ودت لو تبقى معه إلى الأبد .

هذا هو شعور توتوتشن نحو السيد المدير (سوساكو كويباشي) في اليوم الأول . ومن حسن الحظ أن السيد المدير شعر نفس الشعور نحوها .

وجبة الغداء :

لقد طلب المدير من توتوتشن التوجه إلى مكان تناول طعام الأطفال فذهبت لتشاهده وكانت محاولة من المدير لتعليمها أن الأطفال في وقت الغداء يجتمعون في قاعة الاجتماعات وليس في القطار . وتقع هذه القاعة في آخر الممر ، الذي يبدأ بالسلم الذي صعدت عليه من قبل . عندما ذهبوا معا - المدير وتوتوتشن - إلى القاعة كان التلاميذ قد شرعوا في وضع المقاعد والموائد في شكل دائرة . وكانا يقفان في أحد أركان القاعة فجذبت بدلة المدير قائلة :

- أين باقي التلاميذ ؟

أجاب :

- هؤلاء هم كل التلاميذ .

فقال في دهشة :

- كلهم !

إلا أن توتوتشن لم تصدقه . لأن عدد هؤلاء يساوي عدد تلاميذ فصل واحد في المدرسة السابقة أستطردت في الحديث أذن عدد التلاميذ كلهم خمسون ؟

أجاب :

- نعم .

واعتقدت أن كل شيء هنا يختلف عن المدرسة السابقة . وعندما جلسوا جميعا سألهم المدير :

- هل أحضرتم شيئا من البحر وشيئا من البر؟

أجابوا :

- نعم .

ثم نزع الجميع غطاء العلب لينظر إليها . ولما دخل المدير داخل الدائرة التي صنعها الأطفال من الموائد أخذ ينظر إلى العلب واحدة تلو الأخرى . وكان التلاميذ يتحدثون ضوضاء .. ضاحكين .. لاعبين .. وسألت توتوتشن نفسها :

- ما أعجب هذا !! ماذا يعنى بقوله : شيء من البحر وشيء من البر؟
هذه المدرسة مختلفة ، إنه لعجيب . إنها لم تفكر أبدا أن يكون طعام الغداء في مدرسة يمكن أن يكون عجيبا مثل هذا .

مجرد التفكير في أنها سوف تجلس على المائدة غدا ويطلع السيد المدير على ما في داخل علبتها : شيء من البحر وشيء من البر جعلها سعيدة جدا وأرادت أن تقفز من الفرح .

عندما كان السيد المدير يفتش على علب الغداء كان ضوء الشمس الهادئ ظهرها يغمر كتفيه .

أذهب إلى المدرسة من اليوم

بعد أن قال السيد المدير لتوتوتشن : لقد أصبحت تلميذة في هذه المدرسة أخذت تنتظر الغد الذى ستدخل فيه المدرسة بفروغ صبر ، ولم يكن من عاداتها مثل هذا الانتظار ليوم جديد ، ولقد كانت أمها توقظها بصعوبة كل صباح ، ولكنها في هذا اليوم استيقظت مبكرة قبل الجميع ولبست ملابسها بطريقة منظمة وحملت حقبتها على ظهرها وانتظرت استيقاظ الجميع .

روكى - ذلك الكلب من فصيلة شيرد ، الذى يعرف الوقت بدقة - نظر إلى تصرف توتوتشن غير المعتاد بدهشة وبعد أن تمطى جيدا وشد جسمه اقترب منها متوقعا حدوث شيء ما .

كان على الأم أن تفعل شيئا كثيرا : ها هي تجهز صندوق الغذاء (البنتو) وتصنع فيه شيئا من البحر وشيئا من البر ، بينما أعطت توتوتشن طعام الإفطار لتناولة ، كذلك علقت اشتراك القطار في رقبتها بنحيط مصنع من الصوف بعد أن وضعت في حافظة بلاستيك حتى لا تفقده في أثناء سيرها . لقد قال لها الأب - وما زال شعره مشعثا - :

- كوني تلميذة مؤدبة .

فقالت :

- طبعا .

ثم ليست حذاءها وفتحت الباب الأمامى ثم التفتت منحنية بأسلوب مؤدب وقالت :

- أراكم جميعا بخير

لقد تفرقت عينا الأم بالدموع عندما رأت توتونشن تخرج ولأنها تذكرت أن هذه البنت الصغيرة النشيطة المطيعة قد فصلت من المدرسة السابقة فقد دعت وصلت من أجلها أن تكون مستقيمة مقبولة في المدرسة الجديدة .

بعد لحظة كانت الأم مندهشة لترى توتونشن تخلع خيط اشتراك القطار من رقبتها ثم تضعه في رقبه الكلب (روكى) ثم فكرت ، ولكنها قررت أن تنتظر حتى ترى ما سيحدث . بعد أن وضعت توتونشن خيط الاشتراك في رقبه روكى جلست القرفصاء وقالت له :

- هل ترى ؟ هذا الاشتراك لا يناسبك مطلقا .

لقد كان الخيط طويلا جدا وتخرج الاشتراك على الأرض ، فاستمرت - هل فهمت أن هذا الاشتراك خاص بى وليس لك لأنك لا تستطيع أن تركب القطار . سأسأل السيد المدير ورجل المحطة إذا كنت تستطيع أن تذهب إلى المدرسة أيضا .

كان الكلب ينصت أولا إلى كلامها بانتباه وكانت أذناه منتصبين ولكن بعد أن انتهى حديثها لعق الاشتراك ثم ثأب إلا أن توتونشن واصلت حديثها :

- إن فصول المدرسة عربات لا تتحرك لهذا فاني لا أظن أنك في حاجة إلى تذكرة لركبها ، ولكن عليك اليوم أن تنتظرنى في المنزل .

لقد اعتاد الكلب روكى أن يسير مع توتوتشن إلى بوابة المدرسة السابقة ثم يرجع وحده إلى المنزل وبالطبع توقع أن يفعل اليوم مثل هذا .

خلعت توتوتشن خيط الاشتراك من رقبة روكى ثم علقتة بعناية حول رقبتها ثم نادى مرة أخرى لوالديها وودعتها . ثم جرت من غير أن تلتفت وكانت حقيبتها تتحرك خلف ظهرها وكان روكى بجانبها سعيدا ، وكان طريق المدرسة الجديدة هو نفس الطريق إلى المدرسة السابقة ولذلك فقد مرت بكلايه وقططه كما مرت بتلاميذ فصلها السابقين وأرادت أن ترحم اشتراكها لتشير اندهاشهم ولكنها خوفا من التأخير أجلت هذا العمل في هذا اليوم ومرت سريعا .

عندما وصلت توتوتشن المحطة التفتت يمينا وكانت قبل ذلك تلتفت يسارا . وقف روكى ثم نظر باستغراب . ولما كانت توتوتشن عند مدخل المحطة رجعت إلى روكى الذى كان يقف متحيرا . وقالت له :

— أنا لست ذاهبة إلى المدرسة السابقة مرة أخرى ، إننى سأذهب إلى مدرسة جديدة .

ثم وضعت وجهها على وجهه : فشمت رائحة منبعثة من أذنه كالمعتاد ولكنها كانت رائحة جميلة بالنسبة لها . ثم تركته وقالت :

— مع السلامة .

وأبرزت اشتراكها لموظف المحطة ثم شرعت فى الصعود على سلم المحطة . روكى نبح بصوت منخفض كأنما يرد سلامها ثم ظل ينظر إليها حتى غابت عن نظره .

فصل الدراسة في القطار :

لم يكن أحد قد وصل إلى المدرسة عندما وصلت توتوتشن إليها وذهبت إلى فصلها الذي قد عرفه لها السيد المدير . لقد كان الفصل عبارة عن عربة سكة حديد من الطراز القديم ذات مقبض للباب من الخارج يجب أن تمسكه باليدين لترجله إلى الجهة اليمنى . لقد كان قلبها يدق سريعا عندما نظرت إلى الداخل . لقد صاحت مندهشة :

– يا سلام . الدراسة هنا تشبه الذهاب إلى رحلة أبدية .

لم يكن هناك أى تغير في عربة القطار : كان فيها رف لوضع الأمتعة عليه والنوافذ كما هي إلا أنه توجد سبورة أمام المكان الذي يجلس فيه السائق ، ووضع مكان المقاعد الطويلة طاولات وكراسي متجهة في اتجاه سير القطار ، وقد نزع المقابض التي يمسك بها الواقفون من الركاب . لقد خلعت توتوتشن حذاءها ودخلت وجلست إلى طاولة للكتابة وكانت الكراسي خشبية مثل التي كانت في المدرسة السابقة ولكنها كانت مريحة لدرجة أنها كانت تحب أن تجلس عليها طول الوقت . ولقد كانت توتوتشن سعيدة جدا وأحبت هذه المدرسة حبا شديدا لدرجة أنها قررت أن تحضر إليها كل يوم وألا تغيب عنها أبدا .

نظرت توتوتشن إلى الخارج من الشباك . إنها تعلم أن القطار واقف ولكنه

يبدو متحركاً لأن الأزهار والأشجار في فناء المدرسة كانت تتحرك مع الرياح الخفيفة . لقد صاحت :

- أنا سعيدة .

ثم ضغطت وجهها على زجاج السوافذ ثم غنت مثلما كانت تغنى عندما تشعر بالسعادة :

- أنا سعيدة جداً .

- سعيدة جداً أنا .

- لماذا أنا سعيدة .

- لأنه

وفى هذه اللحظة دخل عليها شخص ما ، وكان الداخل بنتا - لقد أخرجت البنت كراسيها والمقلمة من حقيبتها ووضعت ذلك على الطاولة ثم وقفت على أطراف أصابع رجلها ووضعت الحقيبة على الرف وكذلك كيس حذاءها .

توقفت توتوتشن عن الغناء وبسرعة فعلت كما فعلت البنت .
ثم دخل العربة ولد قد وقف عند الباب وقذف بحقيبته على رف القطار كمن يقذف كرة السلة ، ولكنها وقعت على الأرض فقال :

- رمية فاشلة .

ثم حاول مرة أخرى من نفس المكان فاستمرت الحقيبة على الرف فصاح :

- رمية ناجحة . إنها ليست رمية فاشلة .

ثم صعد على الطاولة وفتح الحقيبة ليخرج منها كراسيه ومقلمته ولأنه لم

يخرجها قبل قذفه للحقيرة فقد بدا وكأنه كان فاشلا أيضا في المرة الأخرى .
أخيرا كان هناك تسعة من التلاميذ في هذه العربة وكان هؤلاء هم جميع
تلاميذ السنة الأولى في هذه المدرسة وسيكونون المسافرين سوا على نفس
القطار .

الفصل الدراسي

إذا كانت توتوتشن اعتبرت أن الفصل الدراسي في عربة قطار سكة حديد شيء غريب فلقد كان هناك شيء أغرب هو أن التلميذ يستطيع أن يجلس في هذا الفصل حيث يريد بينما كان كل مقعد في فصل الدراسة في المدرسة السابقة محمدا لتلميذ بعينه .

بعد تفكير طويل وتأمل هنا وهناك قررت توتوتشن أن تجلس بجانب التلميذة التي دخلت الفصل بعدها لأنها كانت ترتدى فوق ملابسها جوثلة ذات صدار قد رسم عليه أرنب بأذنين طويلتين . وكان الأكثر غرابة في هذه المدرسة هي طريقة التدريس .

في المدارس العادية يوضع في كل فصل من فصول المدرسة جدول بالمواد التي ستدرس كل يوم من أيام الأسبوع : فالحصة الأولى مثلا قرآن ودين والثانية حساب والثالثة كذا وهكذا . ولكن الأمر في هذه المدرسة يختلف اختلافا تاما ، فعندما تبدأ الحصة الأولى يكتب المدرس على السبورة المشاكل والأسئلة في الموضوعات التي ستدرس في مواد هذا اليوم ثم يترك للتلاميذ حرية ترتيب الدراسة فيبدأ كل بما يريد . فمثلا هناك تلميذ يحب كتابة الموضوعات التعبيرية وبجانبه تلميذ آخر يحب العلوم فيوقد موقد الكحول أو الغاز

ليجى تجرية فى مخبار زجاجى وقد ينفجر الغاز أو الكحول انفجارا بسيطا وهكذا يمكن رؤية هذه المشاهد فى جميع فصول المدرسة .

هذه الطريقة تمكن المدرسين من ملاحظة التلاميذ عندما يتقدمون فى السنوات الدراسية ومعرفة اهتمامهم وطريقة تفكيرهم وتصرفاتهم ، كما يسعد التلاميذ حين يبدؤون بالمادة التى يرغبون فيها وأما بالنسبة للمواد التى لا يحبونها فيمكن إرجاؤها على أن ينتهى فيها فى آخر اليوم .

ولهذا كانت الدراسة تعتمد على التلميذ نفسه ، فإذا تعمس عليه شىء فإنه يستطيع الذهاب إلى المدرس ليسأله أو يحضر المدرس إليه ليشرح له ويوضح ما خنى عليه حتى يفهم ثم يعطى التلاميذ تمرينات إضافية لعملها . بمفردهم ولذا فإنه لا يكون هناك تلاميذ غير منتهين عندما يشرح المدرس .

وإن كانت توتوتشن وآخرون فى الصف الأول لم يصلوا إلى مرحلة الاعتماد على النفس فإنه يسمح لهم أن يبدؤوا بما يحبون من الدروس .

بعض التلاميذ يكتب «كاتاكانا» وبعضهم يرسم صورا وبعضهم يقرأ كتباً وحتى بعضهم يقوم بتمرينات رياضية .

كانت البنت التى بجانب توتوتشن تبدو كأنها تعرف الهيراجانا ولذا فإنها تكتب فى كراستها هيراجانا .

كل شىء كان غريبا على توتوتشن لدرجة أنها اضطربت ولم تستطع أن تدرس مباشرة بنفسها كالآخرين .

وفى ذلك الوقت وقف التلميذ الذى كان يجلس خلف توتوتشن ومشى متجها نحو السبورة ومعه كراسته ويبدو أنه كان متجها نحو المدرسة التى كانت تشرح لأحد

التلاميذ شيئاً حيث كانت تجلس إلى مكتب بجوار السبورة . وتوقفت توتوتشن عن النظر فيما حولها وأخذت تنظر إلى هذا التلميذ من خلفه وهو يسير وقد اسندت خديها إلى كفيها لقد كان يجر رجله وكان جسمه يهتز بدرجة خفيفة ، واستمرت تتابع النظر إليه وهو راجع إلى مقعده فالتقت عيناها فابتسم وأبتسم بدورها إليه ، وعندما حاول الجلوس في مكانه خلفها استغرق منه وقتاً أكثر من الآخرين فالتفتت إليه وسألته :

– لماذا تمشي هكذا ؟

فأجاب بصوت هادئ يدل على اللطف والذكاء :

– أنا عندي شلل أطفال .

لم تسمع توتوتشن بهذه الكلمة من قبل ولذلك رددتها :

– شلل أطفال ؟ ! !

فأجاب في همس :

– نعم ، شلل أطفال ، ليست رجلى فقط ولكن يدي أيضاً .

وأصابه الطويلة قد انحنت وبدت كأنها ملتصقة ببعضها . فسألته المهمة

وقد نظرت إلى يده اليسرى :

– ألا يمكن أن تعالج ؟

فلم يجب . فتأثرت توتوتشن وودت أنها لم تسأله . وقال الولد بصوت

مبتج :

– اسمي ياسواكي ياماموتو . وأنت ما اسمك ؟

لقد كانت توتوتشن مسرورة لسماعها هذا الصوت الهيج منه فقالت له

بصوت عال :

- اسمى توتوتشن .

وهكذا بدأت علاقة الصداقة بين ياسواكى ياماموتو وبين توتوتشن .
كان داخل القطار حاراً إلى حد ما بسبب أشعة الشمس . ففتح واحد من
التلاميذ الشباك فهب نسيم الربيع العليل بداخل القطار فاهتزت مشاعر
التلاميذ كأنها ترقص على نغم .
وهكذا بدأ أول يوم فى توموى لتوتوتشن .

طعام من البر وطعام من البحر

لقد كانت توتوتشن فى شوق لمعرفة ما هو الطعام الذى يحتوى شيئا من البر وشيئا من البحر . وها هو قد حان وقته .

لقد اختار المدير هذا التعبير «شئ من البر وشئ من البحر» ليصف الوجبة الغذائية المتوازنة - الطعام الذى توقع أن يجهز للأطفال علاوة على الأرز . وذلك بدلا من أن يعبر كالعادة : مرن أولادك على أن يأكلوا كل شئ ، أو : أرجو مراعاة أن يحتوى الطعام على أشياء لذيدة متوازنة . لقد أخبر السيد المدير أولياء الأمور بكل هذه المعانى عندما قال لهم «شئ من البر وشئ من البحر» يجب أن يحتويه البنتو (صندوق الطعام) فى وجبة الغذاء .

الشئ الذى هو من البحر مثل : السمك وتوكودانى (نوع من السمك مطبوخ بطريقة خاصة تحفظه مدة طويلة من التلف) . والشئ الذى من البر هو الخضروات واللحم البقرى أو لحم الخنزير والدجاج .

لقد تعجبت الأم كثيرا من هذا التعبير البسيط الذى استطاع به المدير أن يعبره عن أشياء مهمة وتلك طريقة لا يستطيعها إلا قليل من المديرين . إنه يبدو سهلا أن تختار من نوعين مختلفين (طعام البر وطعام البحر) لتعد غذاء وبجانب ذلك فإن المدير يعتقد أن الغذاء بهذه الطريقة «شئ من البر وشئ من

من البحر) لا يمثل أى صعوبة أو تكلفة .

طعام البر قد يكون «كئبرا غوبو» - نوع من الخضر اليابانية مقل - أو البيض المقل ، وطعام البحر هو رقائق من السمك المجفف ومعه بعض الأرز . وهناك طريقة أسهل من ذلك فشئ من البر وشئ من البحر عبارة عن بعض الأعشاب البحرية (نورى) وأوميبوشى (مشمش أخضر مخلل) تماما كالحالة السابقة التى غبطت عليها توتوتشن الأطفال عندما حضر المدير وأخذ ينظر إلى صناديق غذائهم وهم سعداء والمدير يسألهم واحدا تلو الآخر عن صندوقه :

- هل به شئ من البر وشئ من البحر؟
لقد كان شيئا سارا للأطفال أن ينظروا إلى صناديقهم لمعرفة ما هو الشئ من البر وما هو الشئ من البحر .



فى بعض الأحيان يحضر بعض التلاميذ فى صناديق غذائهم نوعا واحدا إما من البر وإما من البحر وهذا نظرا لأن أمهاتهم تكُن مشغولات أو لأسباب خاصة ؛

وهو كذلك . أمر غير مهم .

لقد كانت زوجة المدير فى أثناء تفتيشه على الصناديق تسير خلفه فى مربيتها البيضاء حاملة حلة فى كل يد . فإذا وقف المدير أمام تلميذ وقال : بحر ، فإن زوجته تأخذ من الحلة التى بها طعام البحر أصبعين (كفته من السمك المطبوخ) ثم تضعهما فى غطاء صندوق طعام التلميذ ، وإذا قال : بر ، فإنها تأخذ بعض مطبوخ البطاطس من الحلة التى بها طعام البر ثم تضعه فى صندوق طعام التلميذ .

وهكذا يأكل الأطفال لا يفكر أحدهم أن يقول أنا أحب هذا أو أكره ذاك ولا ينظر بعضهم إلى بعض ليقول هذا عنده طعام جيد وذاك عنده طعام ردىء .

يهم الأطفال فقط بضرورة اكتمال نوعى الطعام : شىء من البر وشىء من البحر لهذا يكونون مسرورين .

بعدها فهمت توتوتشن ما هو الشىء من البر وما هو الشىء من البحر كانت فى شك إذا كان طعام الغذاء (البستو) الذى أعدته أمها فى الصباح سريعا سيحوز القبول ، ولكنها عندما فتحت صندوق الطعام وجدت فى داخله طعاما مدهشنا لدرجة أنها وقفت صائحة :

– أوه – حسنا جدا .

لقد احتوى طعام الغذاء بيضا مقليا قد اختلط صفارة بياضه ، بسلة

خضراء ، ودينوبنى اللون (سمك مطبوخ مع بعض المواد اليابانية فصار دقيقا)
ويطارخ سمك القد (البكلاه) المطبوخ (فصارت وردية اللون) .
لقد كان البتو (صندوق الطعام) مملوءا بألوان كأنها أزهار حديقة . لقد
قال السيد المدير عندما رآها مندهشا :
- ما أجمل هذا .

لقد تأثرت توتوتشن وقالت :
- أمى طبخة جيدة .

قال المدير :

- أهى كذلك ؟

ثم أشار إلى الدينوبى وقال :

- هذا جيد . ما هذا ؟ هل هو شىء من البحر أم شىء من البر ؟
نظرت توتوتشن إليه متحيرة ما هى الحقيقة . إنه لون الأرض لهذا ربما
يكون من البر ولكنها لم تتأكد فقالت :

- لا أعرف .

ثم سأل المدير جميع التلاميذ بصوت عال :

- هل هو شىء من البحر أم شىء من البر ؟

ردوا بصوت عال :

- شىء من البحر !

- شىء من البر !

دون إدراك للحقيقة .

وعندما هدأ الأطفال قال المدير :

- إذن هو شىء من البحر .

سأل ولد ضخخم الجثة :

- لماذا ؟

فوقف المدير في وسط الدائرة وبدأ يشرح لهم :

- دينبو لحم سمك مفروم قد قلى ونشف .

- أوه .. .

حينذاك سأل المدير أحد الأطفال :

- يا أستاذ ! هل يمكن أن أرى دينبو توتوتشن ؟

وافق المدير فأتى كل التلاميذ في المدرسة ليشاهدوا دينبو توتوتشن .

بالتأكيد أن بعض التلاميذ قد عرفوا شيئا عن دينبو من قبل إلا أنهم قد أولعوا به بعد كلام المدير . ومنهم من يرغب في معرفة هل يوجد فرق بين الدينبو في بيوتهم ودينبو توتوتشن . لقد قلقت توتوتشن قليلاً لأن من المشاهدين من يشم رائحته وربما يطير شيء مع الريح من أنفه .

كانت توتوتشن عصبية قليلاً في اليوم الأول مع أنها قد تمتعت به خاصة في التفكير في شيء من البحر وشيء من البر . إذ كانت تشعر بالفرح والطرب لأنها عرفت أن الدينبو من الأسماك وأمها قد جهزت اللعبة بشيء من البحر وشيء من البر . وشيء آخر أسعد توتوتشن هو أن الغذاء الذي جهزته أمها كان لذيذاً جداً .

امضغ الطعام جيدا

نحن نبدأ الطعام عادة بقول «إيتادا كيمسو» وهذه الكلمة اصطلاح معناه : سأشترك معكم فى الأكل شاكرا . ولكن الشئ الآخر الذى كان مختلفا فى هذه المدرسة هو أن كل الأطفال غنوا أغنية . وكان المدير هو الموسيقار الذى وضع أغنية خاصة تغنى قبل تناول الغذاء . طبعاً هو الذى وضع كلماتها ولحنها على غرار أغنية مشهورة انجليزية للحن معناها :

«جذف زورقك ... جذف زورقك»

وكانت كلمات المدير :

«امضغ ... امضغ .. امضغ ... امضغ جيدا كل شئء تأكله»

لم يكن الأطفال حتى انتهوا من هذه الأغنية قد بدأوا بتلك الكلمة المعتادة (إيتادا كيمسو) لقد كانت هذه الكلمات ملائمة لإيقاع الأغنية (جذف جذف زورقك) وقد اعتقد كثير من المتخرجين فى هذه المدرسة أن هذه الأغنية هى التى تغنى قبل تناول طعام الغذاء . لعل السيد المدير قد كتب كلمات هذه الأغنية لأنه قد فقد بعض أسنانه ولكنه دائما يجبر التلاميذ أن يأكلوا ببطء ويأخذوا وقتا طويلا على الأكل ويتحدثوا حديثا لطيفا فى أثناءه ، ولعله وضع هذه الأغنية ليذكرهم بذلك .

بعد أن نغنى هذه الأغنية بصوت عال نقول «إيتادا كيمسو» ثم نتناول
الغداء من شيء من البحر وشيء من البر ، وفي هذه اللحظات يسود الهدوء
في القاعة .

نزهة :

بعد تناول طعام الغداء لعبت توتوتشن في فناء المدرسة مع التلاميذ الآخرين قبل عودتهم إلى العربة التي فيها فصل الدراسة .

قالت المدرسة :

- لقد عملتم هذا الصباح عملاً مرضياً ، فإذا تريدون أن تعملوا هذا المساء ؟
وقبل أن تفكر توتوتشن فيما تريد أجاب التلاميذ كلهم (نزهة) .

قالت المدرسة :

- وهو كذلك .

ثم وقفت فاندفع التلاميذ إلى أبواب العربة ففتحوها ثم لبسوا أحذيتهم وجروا نحو الخارج .

لقد اعتادت توتوتشن أن تخرج للنزهة مع أيها والكلب روكي ولكن لا تعرف كيف تكون النزهة المدرسية ومع أنها قد دهشت فقد أسرعت ولبست حذاءها كما لبس الأطفال .

كما عرفت بعد ذلك ، أنه إذا اجتهد التلاميذ في أعمال الصباح وأنما كل أعمالهم التي سجلتها المدرسة على السبورة والمطلوب منهم إتمامها فإنه يسمح لهم بالنزهة بعد الظهر ، يتساوى في هذا جميع تلاميذ المدرسة من الصف الأول إلى الصف السادس . لقد خرج كل تلاميذ الصف الأول وعددهم تسعة

وكانت المدرسة تتوسطهم وبدءوا يسرون على حافة جدول قد صفت على حافته أشجار الكرز الكبيرة التي قد ازدهرت فعلا كما امتدت على الضفتين حقول زهور الخردل الصفراء على امتداد البصر.

هكذا كان حي جيوغاؤكا الذى اختفى نهره بعد ذلك وأقيمت عليه مساكن ومحلات وأصبح مزدحما بالسكان. لقد قالت ساكوتشن - تلك البنت ذات المريلة التى رسم عليها الأرنب والتى تجلس بجانب توتوتشن - نحن نذهب فى رحلتنا إلى كوهنبتسو (مكان) ، لقد رأينا فى آخر مرة ذهبنا إليها شعبانا بجانب البركة ويقال أن نيزكا كان يتألق فى السماء سقط فى بئر قديم فى أرض معبد كوهنبتسو.

وكان الأطفال فى أثناء سيرهم يتحدث بعضهم إلى بعض كل واحد بما يحب من الحديث وكانت السماء صافية والفرشات ترفرف حولهم هنا وهناك ، وبعد سيرهم حوالى عشر دقائق وقفت المدرسة مشيرة إلى الزهر الأصفر وسألتهم :

- هل تعرفون لماذا تتفتح الزهور؟

ثم شرحت لهم كيف تتم عملية التلقيح فى الزهرة لكى تتفتح ، وتحدثت عن أعضاء الذكر وأعضاء الأنثى فى الزهرة [وعضو الذكر باللغة اليابانية اسمه (أوشيبي) وعضو الأنثى اسمه (ميشيبي)] وأخذ التلاميذ ينظرون إلى الزهور متتبعين ما تقوله المدرسة.

وقد ذكرت أن الفرشات من العوامل التى تساعد على تلقيح الزهور وحقا ، كانت الفرشات تطير هنا وهناك وكأنها تقوم بهذا العمل .

بعد ذلك بدأت المعلمة تسير ويتبعها التلاميذ بعد أن صرفوا النظر عن مراقبة الأزهار. وهنا سأل تلميذ :

- هل الأوشبي يختلف عن الأكمني ؟
والـ (أكمني باللغة اليابانية حركة يحدثها الأطفال بالأصابع والفم لإغاطة بعضهم بعضا) .

- أظن أنها مختلفان . أليس كذلك ؟
(ولعل اتفاق الكلمتين في الحرف الأخير (بي) هو الذى أوحى إلى التلميذ بهذا السؤال ، كما تتداعى المعانى فى السجع العربى) .

كانت توتوتشن تشارك فى الحوار ، إنها مختلفان ، مع أنها ليست متأكدة من ذلك ، ولكنها فهمت كما فهم بقية التلاميذ أن عملية التلقيح مهمة لتفتح الزهور .

ثم ساروا جميعا بعد ذلك حوالى عشر دقائق أخرى حيث وقعت أنظارهم على غابة صغيرة مليئة بالأشجار . إنها تحيط بمعبد يدعى كوهنبسو .
عندما دخل التلاميذ أرض المعبد انتشروا فى اتجاهات متعددة . سألت ساكوتشن :

- ألا نذهب لمشاهدة البئر الذى وقع فيه النيزك ؟
وافقت توتوتشن - طبعاً - ثم جرت خلفها . لقد بدت البئر كأنها مصنوعة من الحجر وقد ارتفعت عن الأرض إلى نحو صدر الفتاتين وعليها غطاء من الخشب .

لقد رفعتا الغطاء لتنظرا بداخلها إلا أن الداخل كان مظلماً وعندما أنعمتا

النظر لرؤية ما بداخلها رأنا كتلة من الأسمنت أو الحجر ولكنها لم تكن نيزكا
لامعا كما توقعنا ، فلما رفعتا رأسيهما سألت توتوتشن ساكوتشن :

- هل شاهدت النجم ؟

فهزت رأسها .

- لا أبدا .

تعجبت توتوتشن لماذا لم يلمع النجم ؟ ولكن بعد التفكير فيه برهة قالت :

- ربما هو نائم .

ولكن ساكوتشن فتحت عينها من التعجب قائلة :

- هل النجوم تنام ؟

فردت توتوتشن غير متأكدة :

- أظن أنها تنام نهارا ثم تستيقظ وتتألق ليلا .

ثم تجمع التلاميذ سويا وطافوا بأرض المعبد وقد ضحكوا عندما شاهدوا
تمثال «نيوسما» الكبيرين حارسي المعبد وقد وقفا على جانبي البوابة ولكل
واحد منها بطن ضخم عار ثم نظروا إلى تمثال « بوذا » في الصالة الرئيسية التي
تبدو مظلمة حيث شعروا بشيء من الرهبة والخوف ثم قاموا بوضع أرجلهم في
شكل قدمين لـ « تنغوا » قد نحتتا في صخرة - وتنغوا هذا جنى في خيال الناس له
أنف ضخم طويلة يظنون أن فيه بعض الأسرار - محاولين معرفة الفرق بين أرجلهم
وهذا الأثر . ثم داروا حول البركة وأهدوا التحية لركاب الزوارق - ثم أخذوا
بعض الحجارة السوداء الملساء من المقبرة ولعبوا بها حول المقابر .

كل شيء كان جديدا بالنسبة لتوتوتشن وكانت تحب كل شيء تراه بصيحة
تعجب . وعندما قربت الشمس على المغيب قالت المدرسة :

- هذا وقت العودة .

فوقف التلاميذ مصطفين على طول الطريق بين أزهار الخردل وأشجار الكرز عائدتين إلى المدرسة . وقد تحقق التلاميذ أن هذه التزهة التي ظنوها للعب والمرح كانت لدراسة بعض المواد مثل العلوم والتاريخ والأحياء . لقد جعلت توتوتشن من جميع الأطفال أصدقاء وشعرت كأنها كانت تعرفهم كل حياتها . فصاحت إليهم في طريق عودتهم :

- دعونا نذهب للتزهة مرة أخرى غدا .

فقفزوا جميعا صائحين آملين :

- نعم .

ما زالت الفراشات تطير هنا وهناك مزاولة نشاطها في العمل ، وملاً تغريد الطيور جميع الأرجاء فكان قلب توتوتشن مليئاً بالبهجة والفرح .

أغنية المدرسة

مرت أيام في مدرسة توموى كانت مليئة بالمفاجآت العجيبة ومازالت تشعر بالشوق الحار للذهاب إليها مبكرة كل يوم ، وكأنا تعود إلى المنزل من المدرسة لا أستطيع أن تتوقف عن الكلام لت وأمها وأبها كل ما عملت في المدرسة ذلك اليوم وكيف كان سارا ولا تكف عن الكلام حتى تقول لها أمها :

- يبنى هذا يا عزيزتى ، توقى عن الكلام وتناولى بعض ه الخفيف .

ومع أن توتوشن قد تعودت تماما على المدرسة الجديدة فإنها م أشياء كثيرة تريد أن تتحدث عنها كل يوم .

وكانت الأم سعيدة بذلك لأنه يدل على مدى تعلق توتو المدرسة .

وذات يوم وهى فى القطار ذاهبة إلى المدرسة خطر على بالها ماكان للمدرسة أغنية !!

وأرادت أن تعرف سريعا هذا الأمر ولكنها انتظرت على مضض محطتان على الوصول إلى المدرسة ذهبت إلى باب عربة القطار مستعدة لـ

وصوله إلى محطة المدرسة ، وكانت هناك عجوز تريد الركوب في المحطة السابقة للمدرسة ، وعندما فتح الباب رأت توتوتشن في هذا الوضع فظنت أنها ستزول فانتظرت العجوز ولكن توتوتشن استمرت في وضعها ولم تنزل مما جعلها تعجب وظنت أنه قد حدث لها شيء ، ثم ركبت العجوز القطار .

وعندما وصل القطار محطة المدرسة وقبل أن يتم المشرف الشاب اعلانه عن وصول القطار محطة جيوغاؤكا ويطلب النزول لمن يريد أسرع بالنزول ثم اختفت عن الأنظار من باب الخروج .

بمجرد دخولها عربة القطار التي بها فصلها المدرسي سألت التلميذ الذي وصل قبلها وكان يدعى (تايتشن ياماؤتشي) قائلة :

- تايتشن ، هل لهذه المدرسة أغنية ؟

وأجاب هذا التلميذ وكان يحب دراسة العلوم - بعد تفكير :

- لا أظن ذلك .

قالت توتوتشن بأسف :

- أوه ، أظن أنه يجب أن تكون لها أغنية ، لقد كان لنا في المدرسة السابقة أغنية محبوبة .

ثم شرعت تغنيها بصوت عال :

- مع أن مياه بركة سنزوكو ضحلة فإنها مصدر للتعليم العميق .

هذه كانت أغنية المدرسة السابقة . لقد مكثت توتوتشن في المدرسة السابقة مدة قصيرة ولكن على الرغم من ذلك ومن صعوبة كلمات الأغنية فإنها حفظت هذا الجزء منها .

بدا تايشن معجبا بهذه الأغنية وقد هز رأسه مرتين دليل إعجابه وفي هذا الوقت وصل التلاميذ الآخرون فأعجبوا أيضا بهذه الكلمات التي استخدمتها توتوتشن . وقالت توتوتشن :

- دعونا نطلب من السيد المدير أن يُعِدَّ لنا أغنية للمدرسة .
فوافق التلاميذ وذهبوا جميعا إلى حجرة السيد المدير . وبعد أن سمع السيد المدير إلى توتوتشن وهى تغنى هذه الأغنية استجاب لطلبهم ووعدهم بأن يعد الأغنية المطلوبة فى صباح الغد .

وبعد أخذهم العهد عليه بأن يعمل اصطفوا ليرجعوا إلى فصولهم الدراسية .

وفى صباح اليوم التالى كانت هناك توجيهات إلى تلاميذ كل الفصول ليجتمعوا وسط فناء المدرسة وكانت معهم بالطبع توتوتشن وكلهم فرحون متشوقون ، فحضر المدير إلى الفناء ومعه سبورة ثم قال :

- إذن ، الآن هذه أغنية توموى مدرستكم .

ثم رسم خمسة خطوط متوازية على السبورة ثم كتب النوتة الموسيقية على الخطوط ورفع يده إشارة للاستعداد فى الغناء مثل المايسترو وقال :

- هيا نغنى سويا .

ثم انزل يده وغنى معه خمسون تلميذا فى صوت واحد .

- توموى . توموى . تو-مو-ى .

سألت توتوتشن بعد لحظة وجيزة :

- أهذا كل ما هنالك ؟



توموى . توموى . تو - مو - ي

فأجاب المدير بفخر واعتزاز :

- نعم .

قالت توتوتشن بصوت مكتئب :

- لقد كان من الأفضل أن تكون أغنية بكلمات شاعرية تشبه «بركة

ستروكو ضحلة الماء ..»

في خجل ابتسم السيد المدير قائلاً :

- ألم تعجبكم هذه الأغنية ؟ لقد ظننت أنها جيدة نوعاً ما .

وسرعان ما أعلن التلاميذ رفضهم لهذه الأغنية ، لقد بدا على وجوههم أنه كان من الأفضل ألا تكون لهم أغنية مثل هذه الأغنية البسيطة . وقد بدا على السيد المدير علامات الأسف ولم يكن غاضباً ، ثم تقدم نحو السبورة ليحوي ما كتب عليها . وظنت توتوتشن أنهم كانوا غير مؤدبين إلى حد ما مع السيد المدير . ولكن بعد كل ذلك كله كانت ترغب في عمل أغنية تؤثر في عقلها ووجدانها ولو قليلاً .

والحقيقة أنه لم يكن هناك شيء يعبر عن حب الأستاذ للتلاميذ وللمدرسة .

ويناسب عقول التلاميذ الصغار إلا هذه الأغنية .

ونسى التلاميذ أمر هذه الأغنية واعتقد المدير أنه لا حاجة للمدرسة إلى

أغنية ومنذ محوها من السبورة فقد بقيت مدرسة توموى بدون أغنية .

أعيديها

لم تقم توتوتشن بعمل شاق جداً طول حياتها أى يوم ذلك الذى أسقطت فيه حافظة نقودها المحبوبة فى المرحاض ؟!

وبالرغم من أنها لا تحتوى نقودا فإن توتوتشن تحبها كثيرا وتأخذها معها كلما ذهبت إلى دورة المياه . لقد كانت حقاً جميلة مصنوعة من الحرير الرقيق الصقيل مربعة السطح يتكون من مربعات حمراء وصفراء وخضراء ولها غطاء مثلث كاللسان لأغلاقها بواسطة قفل عليه تمثال كلب فضى اسكتلندى يشبه البروش .

منذ نعومة أظفار توتوتشن كانت عندها غريزة حب الاستطلاع ، فكلما ذهبت إلى المرحاض وقضت حاجتها كانت تنظر فى فوهته بعد ذلك فبسبب ذلك أسقطت فيه كثيراً من الأشياء مثل قبعات من القش أو القماش الأبيض ، ولم يكن المرحاض فى ذلك الوقت بنظام الغسل بالماء بعد قضاء الحاجة ، كما أن فوهة المرحاض كان تحتها خزان فالقبعات التى سقطت من توتوتشن كانت دائماً عائمة فيه ، وكثيراً ما نهتها أمها عن النظر من فوهة المرحاض إلى أسفل بعد انتهائها من استخدامه .

فى ذلك اليوم ذهبت توتوتشن إلى التواليت قبل ابتداء الدروس فى

المدرسة ، وقد نسيت وصية أمها ، وتلقائيا وجدت نفسها تنظر في فتحة
المرحاض إلى أسفل . لقد فقدت في هذه اللحظة سيطرتها على الامساك بحافظة
النقود التي تحبها حبا جما ، ولهذا فقد سقطت من يدها في فتحة المرحاض وقد
سمعت صوت سقوطها فصرخت عندما اختفت الحافظة في الظلام داخل
المرحاض .

ولكنها لم تبك ولم تيش من الحصول عليها مرة أخرى ، بل ذهبت إلى
حجرة فراش المدرسة وأحضرت مغرفة ذات يد طويلة تكاد تكون في طولها
ضعف طول توتوتشن والتي تستعمل في رى الحديقة ، ولم يمنعها طول هذه
المغرفة من استخدامها فأخذتها ودارت بها حول المدرسة لتجد الفتحة التي يمكن
منها تفريغ المخلفات من البالوعة . لقد تصورت أن هذه الفتحة خارج حائط
التواليت وطال البحث عبثا . وأخير لاحظت غطاء مستديرا من الأسمنت على
بعد قليل وكان هو غطاء البالوعة (حجرة التفتيش) فرفعته بصعوبة فاكشفت
فتحة كانت هي بلا شك الفتحة التي تبحث عنها فوضعت رأسها في داخلها ، ولما
رأت اتساعها صاحت :

— لماذا هي كبيرة تشبه في اتساعها بركة كوهنبتسو؟

ثم شرعت في البحث وبدأت تغرف محتويات الخزان وتخرجها إلى الخارج ،
وقد اهتمت أولاً بالمنطقة التي سقطت فيها حافظة النقود ولكن الخزان كان مظلماً
وواسعاً لأنه يتصل بثلاثة مراحيض منفصلة تفرغ فيه فضلاتها ، وعلاوة على ذلك
فإنه كان خطراً عليها أن تقع فيه نفسها إذا أدخلت رأسها فيه لتسبر غوره ، ولهذا
فإنها قررت أن تقوم بتزجه كله وترجوا أن يكون عمل ذلك هو الأفضل .

وكانت تفرغ المغرفة على الأرض حول فتحة الخزان وتبحث فيها عن الحافظة

معتقدة أنها سوف تجدها ولكنها لم تجدها وكانت تحدث نفسها في أثناء ذلك :
- أين ذهبت ؟!

ولم تكن تتوقع أن البحث سيأخذ وقتاً طويلاً ولكن لم تكن هناك
إشارة لوجودها . وهي تحدث نفسها أيضاً :

- أين يمكن أن توجد ؟!

ودق جرس ابتداء الحصة . في هذه اللحظة فكرت توتوتشن ماذا تفعل ؟
فلقد غرت كثيراً فقررت أن تظل تغرف . وبذلت جهداً لتغرف أكثر
وأكثر .

فصنعت كومة كبيرة منها وعندما مر المدير بالطريق الخلقى من دورة المياه .
ونظر إلى ما تفعل توتوتشن وسأل :

- ماذا تفعلين ؟

كانت توتوتشن لا تريد إضاعة الوقت فأجابت وهي تغرف :
- اسقطت محفظتى .

قال المدير :

- أوه ..

ثم ذهب إلى مكان ما وكان ممسكا يديه خلف ظهره كعادته في المشى ثم
مضت فترة . لم تعثر على المحفظة بعد . ارتفعت وعلت الكومة شيئا فشيئا ،
وفتئذ مر المدير بها مرة أخرى وسأل :

- هل وجدتتها ؟

أجابت توتوتشن وكانت تحيط بها الكومة بالإضافة إلى عرقها الغزير وخذها
الذى احمر :

- لا .

اقترب المدير من توتوتشن قليلاً ثم قال بصوت حنون كأنه صديقها :
- أعيدنها بعد أن تنهى الغرف .

فأجابت توتوتشن بصوت قوى مبهج وهى مستمرة فى عملها :
- نعم . سأفعل .

وفجأة طرأت لها فكرة ، نظرت إلى الكومة ثم قالت :
- بعد أن أنتهى سأعيد الجزء المتجمد ولكن ماذا سأفعل بالنسبة للماء ؟
لقد تسرب الجزء السائل فى الأرض سريعاً ولم يبق منه شيء .
توقفت توتوتشن عن العمل وفكرت كيف تعيد المياه إلى الخزان لتنى بوعدها
للمدير ؟ وأخيراً قررت أن تعيد التراب المبلل بالماء إلى داخل الخزان .

لقد أصبحت الكومة عالية والحوض فارغاً تقريباً ولكن ليس هناك أى
إشارة للمحافظة فلعلها كانت فى قاع الحوض أو فى أحد أطرافه . ولكن توتوتشن
لم تبال ، وكانت مقتنعة أنها فعلت كل ما تستطيع أن تفعل وإن لم تجدها وكان
اقتناعها بغير شك فى أن المدير جعلها تشعر باحترام نفسها ولم يؤنبها ووثق فيها .
ولكن ذلك أيضاً كان معقداً بالنسبة لتوتوتشن حيث لا تستطيع أن تدرك ذلك .

ولو أن كثيراً من الشبان رآها فى هذا الموقع ورأى ما تفعله لصاح بها :
- يا الله ، ماذا تفعلين ؟ توقفى عن ذلك ، إنه خطر .

أو كان يعرض عليها التناوب فى العمل .

وعندما سمعت الأم بهذه القصة من توتوتشن وتصورت ماقاله المدير شعرت
بعظمة المدير وكرمه عندما قال لها :

- أعيدنها فقط .

بعد هذا الحادث لم تعد توتوتشن تنظر من فتحة البالوعة إلى أسفل كلما ذهبت لدورة المياه ، واعتقدت أن المدير رجل عطوف وزاد احترامها وحبها له .
لقد وفّت توتوتشن بوعدها مع المدير وأعادت كل شيء من الكومة إلى الخزان .

لقد كان إخراج ما في الخزان شيئاً صعباً ولكن إدخاله كان أمراً سهلاً وسريعاً .

ثم استمرت تأخذ التراب الذي جف من الماء بالمغرفة لتعيده إلى الداخل حتى استوت الأرض فأعادت الغطاء إلى مكانه والمغرفة إلى الخزن .

ولئن تذكرت توتوتشن المحفظة الأنيقة التي سقطت في الظلام وحزنت لفقدائها ، فإن العمل الشاق في هذا اليوم جعلها متعبة فلم تستغرق وقتاً طويلاً في التفكير بل غلبها النعاس فنامت مبكرة .

وما زالت الحافظة الجميلة التي هامت بها توتوتشن مستقرة في مكان هادئ في ركن من أركان الخزان ولم تعبأ بكل هذه المجهودات ، كما ظل مشهد الأرض التي ما زالت مبتلة ببعض الماء والتي شقيت توتوتشن بالعمل فيها يتألق في ضوء القمر كأنه شيء لامع جميل .

اسم توتوتشن

تيتسوكو هو الاسم الحقيقي لتوتوتشن . ولكن ، كيف تغير الاسم إلى ذلك ؟ قبيل ولادتها كان الأهل والأصدقاء يعتقدون أن المولود سيكون ولدا . وأعتقد الوالدان اللذان ينجبان لأول مرة ما اعتقده الأهل والأصدقاء وقررا أن يكون اسم المولود (تورو) . ولكن سرعان ما خاب أملها إذ كان المولود بنتا .

ولكنها يجبان الحروف الصينية لكلمة* (تورو) التي تعني (مستقيم) وهذه الحروف لها في المنطوق الياباني صوتان وأحد هذين الصوتين هو تيتسوكو فأخذ الوالدان هذا الصوت وأضافا إليه كلمة (كو) للدلالة على أنه اسم لبنت في المنطوق الياباني ، فصار اسم المولودة « تيتسوكو » ولهذا فكل واحد يناديها تيتسوكوتشن / وكلمة (تشن) مألوقة لكلمة (سان) التي تضاف بعد اسم أى شخص بمعنى (سيد) ولما كان الأطفال لا تستطيع السنتهم النطق السليم وإنما ينطقون الكلمات قريبة مما يسمعون ، فكانت تيتسوكوتشن إذا سأها أى واحد عن اسمها كان جوابها (توتوتشن) وكأنها ظنت أن كلمة تشن جزء من اسمها أيضا ولقد كان أبوها يناديها في بعض الأحيان (توتوسكى) كأنها ولد فيقول :
- توتوسكى . تعالى ساعدينى فى نزع هذه الحشرات من الورود .

* (تورو) لها معان طيبة مثل (مستقيم ، صبور . نفاذ . واضح)

ولذلك كان كل الناس ينادونها (توتوتشن) إلا أباهما والكلب روكى . ومع
أنها كتبت اسمها فى دفاتر المدرسة (تيتسوكو) إلا أنها استمرت تفكر فى أنها
(توتوتشن) .

التمثيلات الهزلية

أمس كانت توتوتشن متزعجة جداً بعد أن قالت لها أمها :

- يجب ألا تسمعي التمثيلات الهزلية من الراديو .

عندما كانت توتوتشن صغيرة كانت الراديوها لطيفة وكبيرة . قد صنعت من الخشب قائم الزوايا مستديرة من أعلاها وكان في مقدمة الراديو مكبر للصوت مغطى بغطاء من الحرير الوردى مزخرف بنقوش عربية وكان له مفتاحان لإدارته . وكانت توتوتشن حتى قبل أن تبدأ المدرسة تحب أن تسمع التمثيلات الهزلية وتضغط أذننها على غطاء المكبر الحريري لأنها كانت تظن أنها سارة جداً ، ولم تعارضها أمها أبداً في هذا حتى مساء أمس عندما جاء إلى منزلهم الفريق الموسيقي الذي يضم أباهما للتدريب على الرباعي الوترى ونادتها أمها :

- السيد تسونيسادا تاتشيبانا عازف الفيونسل قد أحضر لك موزاً .

فأجابت توتوتشن في سعادة وانحنى برأسها شاكرة لتاتشيبانا وبالمثل صاحبت لأُمها لشكرها فقالت :

- آه ، يا أمه ، إنه شيء لطيف .

(ويظهر أن طريقة الشكر لم تعجب والدتها وفهمت أنها تعلمت هذه الألفاظ غير المعتادة من تلك التمثيلات الهزلية لهذا نهتها عن سماعها .)

ومنذ ذلك الحين لم تستطع أن تسمع هذه التمثيليات إلا في غياب والديها .
عندما يتكلم الممثل بنكتة كانت توتوتشن تضحك بصوت عال ، وكان كبار
السن إذا رأوها كذلك يندهشون كيف تضحك بنت صغيرة مثلها على نكتة صعبة
كهنده ، ولكن ليس هناك شك أن الأطفال عندهم حاسة داخلية تدرك
الفكاهة ، مهما كانوا صغارا فإنهم دائما يحسون عندما يكون الشيء حقيقة
فكها .

تسوم القطار

فى أثناء وقت الغاء قالت ميوتشن :

- هناك عربة قطار جديدة قادمة هذه الليلة .

ميوتشن هذه تلميذة فى فصل توتوتشن وهى ثالثة بنات السيد المدير .

كان هناك ست عربات مصطفة كفصول دراسية ولكن ستأتى عربة أخرى وستكون هذه العربة مكتبة المدرسة كما قالت ميوتشن فهاج التلاميذ جميعا وقال أحدهم :

- إننى أعجب !! أى طريق ستأخذه لتصل إلى المدرسة !؟

لقد أثار هذا السؤال موضوعاً لابتداء الآراء بين التلاميذ ، بعد برهة صمت قال آخر مقترحاً :

- ربما ستأتى على خط سكة حديد أويمايتشى ثم تنتهى إلى فرع آخر وتأتى إلى المدرسة .

فرد ثالث :

- إذن إنه يجب أن تخرج عن القضبان .

وقال رابع :

- ربما سيحضرون العربة على عربة كارو !!



وأشار الخامس قائلاً :

- ليس هناك عربة كارو كبيرة لدرجة أنها تحمل مثل هذه العربة - عربة
القطار .

قالها سريعاً وعقب :

- أنا لا أظن ذلك .

وبعد هذه الآراء تحقق التلاميذ أن عربة القطار لا تتناسب مع العربة الكارو
أو عربة اليد أو حتى سيارة النقل الكبيرة لتحمل عليها .

وقالت توتوتشن بعد تفكير عميق :

- من المحتمل أن يضعوا خطأً يصل إلى المدرسة .

فسأل آخر :

- من أين ؟

فقال توتوتشن :

- من أين ؟ من المكان الموجود فيه القطار الآن .
وبدأت تعتقد أن فكرتها غير موفقة ، ذلك لأنها لا تعرف المكان الذى
ستحضر منه العربة وأنه لا يمكن هدم البيوت والأشياء الأخرى ليضعوا خطأ
مستقيماً إلى المدرسة .

وبعد المناقشة غير المشعة للوصول إلى طريقة مناسبة اتفقوا جميعاً على أنهم
لن يرجعوا إلى منازلهم هذا المساء بل سينتظرون حتى يروا كيفية وصول العربة . وقد
اختاروا ميوتشن ناثبة عنهم لتستأذن من أبيها المدير أن يبقى التلاميذ فى المدرسة حتى
المساء .

بعد قليل عادت ميوتشن قائلة :

- وصول القطار سوف يكون فى ساعة متأخرة من الليل بعد أن ينتهى من
خدمته اليومية . فالذى يود أن يراه ، يعود إلى بيته أولاً وإذا وافق أهله يمكنه
الحضور إلى المدرسة ومعه ملابس النوم وبطانية بعد تناول وجبة العشاء .

- أوه ... !

كانوا كلهم هانجين من الفرح أكثر من أى وقت آخر .

- ملابس النوم ، أليس كذلك ؟

- بطانية ... ؟

ولم يكن للتلاميذ أية رغبة فى الدراسة ذلك اليوم . فانطلقوا إلى بيوتهم بعد
الدراسة كالسهام خرجت من قوسها مما يدل على شغفهم وسرعتهم .

وكل واحد منهم يرجو أن يستطيع الحضور إلى المدرسة ومعه بطانية وملابس
النوم . وتوتوتشن فور وصولها إلى البيت قالت لأُمها :

- سوف يأتي قطار اليوم إلى المدرسة . لا أعرف كيف يأتي بعد .
هل يمكنني الذهاب إلى المدرسة في المساء ومعى ملابس النوم وبطانية لأرى
كيف يأتي ١؟

لا أظن أن هناك واحدة من الأمهات تستطيع أن تفهم شيئاً مع هذا
الشرح ، وكذلك كانت أم توتوتشن غير أنها فهمت أن شيئاً هاماً سوف يحدث
وذلك من الجدية التي بدت على وجه توتوتشن ، فسألها كل أنواع الأسئلة
وأخيراً فهمت الأم كل ما سيحدث وفكرت أنه يجب أن ترى توتوتشن ذلك
لأنها لم تواتها كثير من الفرص مثل ذلك وحتى نفسها فكرت أن ترى وصول
العربة فأعدت ملابس نوم توتوتشن وبطانية وبعد العشاء أوصلتها إلى المدرسة
وكان هناك حوالى عشرة تلاميذ وفيهم تلاميذ كبار من الذين سمعوا هذا الخبر ،
كما كان هناك بعض الأمهات أيضاً حضرن مع أولادهن وقد بدا عليهن حب
البقاء معهم ولكنهن رجعن بعد أن استوثقن من المدير رعاية أولادهن . قال
المدير للتلاميذ :

- سوف أوقفكم عندما تصل العربة .
فنام التلاميذ داخل بطاطينهم في قاعة الاجتماع بعد تأكدهم من وعد
المدير .

لقد ظن التلاميذ أنهم سوف لا يستطيعون النوم حيث شغلهم التفكير في
كيفية وصول القطار ، ولكن بعد طول القلق والتعب ظهر عليهم الميل إلى
النوم ، وشيئاً فشيئاً استغرقوا في النوم ولسانهم يلهج بكلمة :

- أيقظنى .. لاتنس !

لقد استيقظوا على جلبة أصوات تصيح :

.. أتى .. أتى ..

قفزت توتوتشن من نومها وجرت إلى فناء المدرسة ثم إلى خارج البوابة فظهرت لها عربة القطار كبيرة في ضوء الصباح الخافت وكأنها في الحلم .

إنه قطار قد أتى عبر الطريق بدون خط ولا صوت . إنه قد أتى على مقطورة قد شدت بجوار من مستودع سكة حديد أويماتشى .

لقد تعلمت توتوتشن والتلاميذ الآخرون شيئاً لم يعرفوه من قبل ، شيئاً يسمى جرارا ذلك الذى يجر مقطورة وهو أكبر من عربة اليد وكانوا جميعاً مندهشين . لقد كانت العربة محمولة على مقطورة يجرها جرار لبيسر بطيئاً فى الشارع الذى يبدو خالياً من المارة فجراً .

حالا ، كان هناك اضطراب وهرج كبير .

لم تكن فى تلك الأيام رافعة كبيرة لكى تنزل بها العربة وتوضع فى المكان المعلن ، لذلك فإن هذا العمل عمل صعب وشاق . لقد قام العمال بوضع بعض الأخشاب الضخمة تحت العربة . لانزالها من المقطورة إلى فناء المدرسة بالتدريج . وقال المدير للتلاميذ :

– انظروا جيداً . إنهم يسمون (المدرجون) قوة الدرجة تستعمل لتحريك هذه العربة الكبيرة .

كان الأطفال ينظرون بانتباه . لقد كان العمال يترنمون وهم يدحرجون العربة بقولهم :

– هب .. هب ..

وبدأت الشمس نفسها ترتفع في نفس الوقت الذي يترنمون فيه .
وهكذا أصبحت العربة التي حملت كثيراً من الناس وقد نزعت عجلاتها
وانتهت حياة سفرها مثل العربات الست الأخرى في المدرسة وصارت من الآن
مستعدة لتحمل ضحكات الأطفال وقهقهاتهم .

ولما كان الأولاد والبنات قد وقفوا في الصباح عند شروق الشمس في
ملابس نومهم ، كانوا جميعاً سعداء ولم يستطيعوا أن يخفوا سرورهم وظلوا
يقفزون هنا وهناك كما كانوا يعانون السيد المدير ويتعلقون في ذراعيه .

وكان المدير يتأبل مع هجومهم ويتسم بسعادة ويتسم الأطفال ويسعدون
بسعادته .

وسوف لا ينسى واحد منهم هذه السعادة ولا ذلك الفرح .

حمام السباحة

ما اسعده يوما لأجل توتوتشن . إنه كان أول يوم تسيح في حياتها . عارية في حمام سباحة . لقد حدث ذلك عندما قال السيد المدير في هذا اليوم لجميع التلاميذ :

- لقد فاجأنا الحر ولهذا سأملاً الحمام بالماء .
فانشرح كل واحد من التلاميذ واخذوا يقفزون إلى أعلى وإلى أسفل ويقولون :

- يا سلام !!
وبالطبع كانت كذلك توتوتشن وتلاميذ الفرقة الأولى : قفزوا إلى أعلى وإلى أسفل وكانوا أكثر صياحا من التلاميذ الكبار . ويصيحون جميعا :

- يا سلام !!
لم يكن حمام سباحة مدرسة توموى مربعا كالحمامات الأخرى بل كان محدبا في بعض جهاته يشبه الزورق وكان لطيفا ولعل موقعه قد أضنى عليه شيئا من الجلال إذ كان كبيرا وواسعا بين فصول الدراسة وصالة الاجتماع ، ولقد كانت توتوتشن والآخرون يختلسون النظر إليه من خلال النوافذ في أثناء الدروس . وعندما يكون فارغا وتغطي الأوراق الساقطة سطحه كان يبدو كأنه جزء من الفناء ، ولكن الان بعد نظافته . وملئه بالماء بدا يشبه حمامات السباحة حقا .

وعندما حان وقت الغذاء وكان التلاميذ مجتمعين حول حوض السباحة .
قال السيد المدير :
- سنقوم ببعض التمرينات البدنية ثم نسيح بعد ذلك .
فكرت توتوتشن :

ألا تحتاج إلى ملابس سباحة لتسيح بها ؟

عندما ذهبت إلى كاماكورا على شاطئ البحر مع والديها أخذت ملابس
السباحة والطوق المطاط وكل ما يلزم . لقد حاولت أن تذكر هل طلب المدرس
من التلاميذ إحضار ملابس للسباحة .

وكان المدير قد فهم ما يدور بخلدها فقال لها :
- لا تهتمى بملابس السباحة ، اذهبي إلى قاعة الاجتماع وانظري فيها .
عندما جرت توتوتشن والآخرون في الصف الأول إلى قاعة الاستماع كان
التلاميذ في الصفوف العليا يخلعون ملابسهم ويصرخون من الفرح .

وبعد خلع ملابسهم خرجوا عرايا واحدا تلو الآخر إلى فناء المدرسة كأنهم
ذاهبون للاستحمام . فخلعت توتوتشن والآخرون ملابسهم بسرعة . وكانت
الرياح تهب دافئة فأحسوا بشعور طيب وهم في حالة العرى . لقد بدءوا الرياضة
في الفناء عندما خرجوا عرايا من قاعة الاجتماع ووقفوا على السلم . فنزلت
توتوتشن والآخرون من السلم بسرعة دون أن يلبسوا الأحذية . كان مدرس
السباحة أخوا الميوتشن ، أى الابن الأكبر للمدير وكان خبيرا في السباحة .

إلا أنه ليس مدرسا في توموى بل هو لاعب في منتخب السباحة في إحدى
الجامعات . اسمه توموى نفس اسم المدرسة .

وكان السيد توموى يلبس ملابس السباحة .
 بعد الثرين صرخ الأطفال بأصوات عالية عندما رشهم بالماء .
 ثم قفزوا فى حمام السباحة .
 لم تقفز توتوتشن إلى الداخل حتى رأت التلاميذ الآخرين قد استطاعوا
 الوقوف فى داخل الماء وأصبحت مطمئنة أنها تستطيع الوقوف مثلهم .
 لم يكن ماء الحمام ساخنا كحمام المنزل بل كان مريحا وكان كبيرا وواسعا على قدر
 امتداد الذراعين وليس هناك سوى الماء شىء .

كل الأطفال ذكورا وأناثا نحافا وسماتا يضحكون ويلعبون ويصرخون
 ويسبحون ويغوصون ويرش بعضهم بعضا وهم عرايا كيوم ولدتهم أمهاتهم .

لقد كان شعور توتوتشن وإحساسها طيبا جدا وهى فى حوض السباحة ولم
 تكن اسفه على شىء إلا روكى الذى لم يستطع الحضور إلى المدرسة لو كان يعلم
 - روكى - أنه يستطيع الدخول فى الحوض من غير ملابس حمام لحضر أيضا .

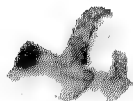
ربما تتعجب كيف يسمح السيد المدير للتلاميذ بالسباحة وهم عرايا ؟
 إنه لم تكن هناك قواعد ولا قوانين فى هذا الأمر . إذا أحضرت معك
 ملابس السباحة وأردت أن ترتديها فلا مانع . ومن ناحية أخرى ففى مثل هذا
 اليوم عندما تقرر فجأة أن تسبح وليس معك ملابس السباحة فلا مانع أيضا .

ولماذا ترك المدير الأطفال يسبحون مجردين من الثياب ؟
 ذلك لأن المدير فكر أنه ليس من الصواب أن يصير الأولاد والبنات مرضى
 بحب الاستطلاع نحو الاختلافات فى أجسامهم كما ظن أنه ليس من الطبيعى
 لأجل الناس أن يعانون الآلام فى إخفاء أجسادهم بعضهم عن بعض .

لقد أراد المدير أن يعلم الأطفال أن كل الأجسام جميلة .

لقد كان من بين أطفال مدرسة توموى من عنده شلل أطفال مثل يا سو تذن ومنهم قصار أو معوقون ، وقد أحس المدير أنهم إذا عروا أجسامهم ثم ما فأن ذلك سوف يخلصهم من الشعور بالخجل وسوف يساعد على 'عد' مركب النقص فى أخلاقهم ، كما ساعد التلاميذ المعوقين الذين كانوا يخجلون أولا على التخلص من الخجل وسريعا بدءوا يتمتعون بأنفسهم وأخيرا ه خجلهم تماما .

لقد كان بعض الآباء والأمهات قلقين من هذه الفكرة وزودوا أولا بملابس السباحة التى أصروا أن تلبس دائما ثم عرفوا أنه قلما تستعمل الملابس وذلك بملاحظة الأطفال مثل توتوتشن التى قررت من الابتداء تسبح عارية ، وهؤلاء الأطفال الذين قالوا أنهم نسوا أن يحضروا ملابسهم لقد كان معظمهم مقتنعا أنه من دواعى السرور السباحة بدون ملابس كغيرهم فسبحوا عرايا وعند عودتهم إلى منازلهم بللوا ملابسهم ليؤكدوا أنهم لبسوا وبناء على ذلك فإن معظم التلاميذ فى مدرسة توموى أصبحت أجسامهم فى لون بنى كلون التوت ومن الصعب أن ترى جزءا أبيض فيهم متأثرا بار ملابس السباحة .



كشف الدرجات

بمجرد خروج توتوتشن من المدرسة أخذت تجرى من المحطة إلى بيتها لا تنظر
يميناً ولا شمالاً ، ولا يرى الرائي منها وهي تجرى سريعة .

إلا حقيبتها تهتز على ظهرها ، وقد يظن أن حادثاً سيئاً قد حدث لها لما هي
فيه من السرعة

عندما وصلت إلى المنزل فتحت الباب الأمامي ونادت :
- لقد رجعت .

ثم ذهبت تبحث عن الكلب روكي . لقد كان يرقد في الشرفة وبطنه على
الأرض ليلتمس الهواء البارد - لم تقل توتوتشن شيئاً وإنما جلست أمامه وخلعت
حقيبتها من كتفها ثم أخرجت بطاقة درجاتها ، وكان أول تقرير عنها ثم فتحته
وكان روكي يستطيع أن يرى درجاتها بوضوح . وقالت له بعزة وافتخار :
- أنظر .

لقد كان فيها بعض الحروف (أ) ، (ب) وحروف أخرى ، وطبعاً لم تكن
توتوتشن تدرى أيها أفضل (أ) أو (ب) كما لا يدري الكلب روكي من باب
أولى ولكنها تريد أن يطلع روكي على أول تقرير عنها قبل أي إنسان آخر وتظن

أنه سيكون مسرورا . وعندما رأى روكى الأوراق أمام وجهه شمها ثم تفرس في وجه توتوتشن فقالت :

- إنه جيد ، أليس كذلك ؟

ولكنه ملئ بالكلمات التى يصعب فهمها وفيه كثير من الحروف الصينية ، فحرك روكى رأسه كما لو كان ينظر مرة أخرى إلى الأوراق ثم لعق يد توتوتشن .

قالت توتوتشن فى طيب نفس :
- حسنا .

ثم قامت وقالت :
- الآن سأذهب لأريه أمى .

وبعد أن ذهبت توتوتشن ، قام روكى ليلحث عن مكان أكثر برودة من ذلك المكان ثم رقد فيه وأغمض عينيه ، ولقد بدا كما لو كان يفكر فى بطاقة الدرجات مرة أخرى .

بدء العطلة الصيفية

في الرسالة التي سلمتها توتوتشن لأُمها من المدرسة مكتوب «ستنصب غدا خيام للإقامة بها فالرجاء الحضور إلى المدرسة في المساء ومعكم بطاطين وملابس لليوم»

لقد بدأت العطلة الصيفية في اليوم التالي .

سألت توتوتشن :

- ما معنى الإقامة في الخيام ؟

وكانت الأم في نفس اللحظة تفكر ثم أجابت :

- أليس معنى ذلك أنكم ربما تذهبون إلى مكان خارج المساكن وينصبون

الخيام في بعض الأماكن ثم تنامون فيها ؟ .

انكم عندما تنامون في الخيام تستطيعون أن تشاهدوا النجوم والقمر ، أنا

لست أدري أين ستقيمون الخيام ؟

ليس هناك ذكر لأجرة المواصلات ، ولعله في مكان قريب من المدرسة .

لم تستطع توتوتشن أن تنام تلك الليلة عندما ذهبت إلى فراشها وظلت تفكر

في هذا الأمر وقد شعرت بالخوف فرمما تكون فيه مغامرة وأخذ قلبها يلق

سريعا .

بمجرد أن استيقظت من نومها في الصباح التالى بدأت تستعد بحزم ما يلزمها ووضعت ملابس نومها في حقيبة ظهرها ثم وضعت بطايتها فوق هذه الحقيبة وفى مساء هذا اليوم ودعت والديها وحملت حقيبتها لتتوجه إلى المدرسة ولكنها أحست بالخوف وشعرت أن الحقيبة أكبر منها .

وعندما تجمع الأولاد في المدرسة طلب المدير من التلاميذ أن يجتمعوا في صالة الاجتماعات وبعد اجتماعهم صعد المدير إلى مكان القاء المحاضرات وكان معه خيمة خضراء ثم أخبرهم أنه سيقوم بنصبها أمامهم لكي يعرفوا طريقة تركيبها وطلب منهم أن يراقبوه بانتباه ثم شد بعض الحبال وأوقف بعض العمدان هنا وهناك وبسرعة أتم تركيبها فبدت بشكل جميل ثم قال :

- تعالوا الآن . أنتم ستقومون بنصب خيامكم في صالة الاجتماعات للإقامة فيها .

تصورت الأم كما ينصوّر أى إنسان أن نصب هذه الخيام سيكون في الخارج ولكن المدير له وجهة نظر أخرى وهى أن إقامة الأطفال في قاعة الاجتماعات سيحمى الأطفال من البرد والمطر .

فرح الأطفال وأخذوا يصيحون :

- سنقوم بنصب الخيام لنقيم فيها .

ثم انقسم الأطفال إلى مجموعات وبمساعدة المدرسين تمكنوا من إقامة العدد المناسب من الخيام ، وكانت كل خيمة تكفى لنوم ثلاثة أطفال .

توتوتشن بسرعة لبست ملابس نومها ، وأخذت ترحف إلى الخيام تدخل هذه وتخرج منها إلى الأخرى وهكذا حتى أرضت نفسها برؤية الخيام جميعا ، وكذلك فعل جميع الأطفال فكانوا يزحفون بين الخيام سعداء فرحين ليزور

بعضهم بعضا . وبعد أن ارتدى كل واحد من الأطفال ملابس نوم جلس المدير في الوسط بين الخيام بحيث يراه كل الأطفال ثم تحدث إليهم حول رحلته في الخارج . وكان الأطفال في خيامهم بعضهم يطل برأسه من خيمته وبعضهم يجلس القرفصاء وبعضهم يضع رأسه على فخذه الآخر وكلهم يستمعون إلى حديثه عن الأقطار الأجنبية التي لم يروها أبدا وحتى لم يسمعوها يوما ما . لقد كانت قصص السيد المدير خلابة ، وكان الأطفال في بعض الأحيان يشعرون أن الأطفال بعض هذه الأماكن فيما وراء البحار أصدقاء لهم .

وهكذا كان هذا العمل البسيط : النوم في الخيام في صالة الاجتماعات سعادة وخبرة ذات قيمة للأطفال لا يمكن أن ينسوها .

السيد المدير يعرف جيدا كيف يجعل الأطفال سعداء . وبعد الانتهاء من حديثه أطفئت أنوار الصالة وذهب الأطفال إلى خيامهم وكان يسمع الضحك من بعض الخيام ومن بعضها يسمع صوت وسوسة ومن بعضها يسمع صوت مصارعة . وأخيرا هدأ الجميع حقا .

لم يكن هناك قمر ولا نجوم يتمتع الأطفال برؤيتها إلا أنهم تمتعوا جدا وهم في خيامهم التي بدت لهم في هذه الصالة الصغيرة كأنها خيام في أرض واسعة ، وقد غمرت ذكريات هذه الليلة الجميلة بأشعة القمر ولمعان النجوم إلى الأبد .

المغامرة الكبرى

بعد يومين من الإقامة بالخيام في صالة اجتماع المدرسة ، جاء يوم المغامرة الكبرى لتوتوتشن . إنه كان يوم الاتفاقية التي عقدتها مع التلميذ ياسواكي تشن . وكانت هذه الاتفاقية سرا بينها لا يعلم بها والدا كل منهما . لقد دعتة إلى شجرتها .

لكل طالب في مدرسة نوموى شجرة في فناء المدرسة تعتبر شجرته التي يتسلق عليها . وقد كانت شجرة توتوتشن في طرف الفناء قريبة من السور بجوار المنعطف الذى يؤدي إلى كوهنبتسو . وقد كانت شجرة كبيرة ملساء صعبة التسلق ، وتحتاج إلى مهارة فائقة لترتفع عليها نحو ستة أقدام من الأرض إلى ملتقى فروع تتقابل لتكون مثل السرير المعلق يريح من يجلس عليه ، ولقد اعتادت توتوتشن أن تذهب هناك في أثناء الفسحة وبعد انتهاء الدروس تجلس عليها وتنظر إلى المسافات البعيدة أو إلى السماء أو ترى الناس يسرون تحفا .

وكل تلميذ يعتبر شجرته ملكا له ، ولهذا فإن من يرد أن يتسلق شجرة الآخر فلا بد أن يحصل بأدب على إذن منه فيقول له :

– اسمح لى ، هل أستطيع أن أصعد شجرتك ؟

ولأن ياسواكي تشن مريض بشلل الأطفال فإنه لم يتسلق شجرة من قبل ولا

يستطيع أن يتسلق شجرة كملك له ، وهذا هو السبب الذى دعا توتوتشن أن تدعوه إلى شجرتها ، وقد جعلنا هذا الأمر سرا لأنها ظنا أن الناس لو تأكدوا من ذلك فسيضحكون ويشرشرون .

ولما أرادت توتوتشن الخروج من منزلها أخبرت والدتها أنها ستذهب لزيارة ياسواكى تشن فى منزله فى دينتشوف ، وكان ذلك كذبا ، ولهذا فإنها لم تحاول النظر إلى أمها ولكن ركزت أنظارها خجلا على رباط حذاءها . وتبعها الكلب روكى حتى المحطة وعندما انفردا سويا فى الطريق أخبرته الحقيقة وقالت له :

— أنا ذاهبة لاجعل ياسواكى تشن يصعد شجرتى .

عندما وصلت توتوتشن إلى المدرسة وكانت بطاقة الاشتراك فى القطار معلقة حول رقبتها وتهتر فى أثناء جريها وجدت ياسواكى تشن منتظرا بجانب أحواض الزهر المهجورة فى فناء المدرسة نظرا للعطلة الصيفية .

لقد كان يسواكى تشن يكبر توتوتشن بعام واحد فقط ولكنه كان عندما يتكلم تشعر أنه يكبرها بكثير . وعندما رآها أسرع إليها جارا رجله ومادا ذراعيه إلى الأمام ليثبت نفسه . ولقد كانت توتوتشن مسرورة عندما تفكر انها سيعملان عملا سريا فحيته بالضحك والابتسام ورد هو أيضا هذه التحية بالضحك والابتسام ، ثم قادته إلى شجرتها وحينئذ وتما كما فكرت فى الليلة الماضية جرت إلى مخزن الأدوات المدرسية . . وجرت سلما إلى الشجرة ثم وضعته عكس الجذع وذلك ليصل إلى ملتقى الفروع ثم تسلقت سريعا ثم أمسكت برأس السلم ونادته :

— حسنا ، حاول أن تصعد .

ولكن يبدو أن يا سواكى ليس لديه القوة الكافية فى يديه وقدميه ليصعد حتى الدرجة الأولى من السلم من غير مساعدة .

ولهذا أسرع توتوتشن إلى النزول على السلم وظهرها إلى الطريق وحاولت أن تدفع يا سواكى إلى أعلى من الخلف ، ولكنها صغيرة جدا ونحيفة ولم تستطع إلا أن تمسكه ليتزل وقد استطاع يا سواكى أن يخرج قدميه من درجة السلم الأولى ثم وقف بجانب السلم مطأطأ رأسه ، وتأكدت توتوتشن لأول مرة أنه كان سيصير أكثر صعوبة مما كانت تعتقد ثم فكرت ماذا تفعل ؟

إنها ترغب رغبة شديدة فى أن تجعل يا سواكى تشن يصعد شجرتها ، وأصبح هو راغبا أيضا فى ذلك رغبة شديدة . ذهب هنا وهناك ثم واجهته . لقد بدا حزينا للدرجة أنها أرادت أن تذهب عنه حزنه فنفتحت خدودها لتظهر بوجه مضحك لتسرى عنه . ثم قالت له :

– انتظر ، لقد حضرت إلى فكرة .

جرت توتوتشن إلى حجرة الأدوات المدرسية مرة أخرى وأخذت تشد الأدوات لترى أيها يمكن أن يساعدها وأخيرا وجدت سلما ذا وجهين لا يتحرك ولهذا فإنها ليست فى حاجة إلى إمساكه . فجرت هذا السلم وسرها أنها استطاعت جذبته وزاد سرورها عندما وجدت أن هذا السلم يصل إلى ملتقى فروع الشجرة ثم قالت له فى صوت أخوى :

– الآن لا تخف ، هذا السلم لا يمكن أن يتأرجح

نظريا سواكى تشن إلى السلم بعصية ثم نظر إلى توتوتشن مبتلة يعرفها وكان هو أيضا غارقا فى عرقه . نظر إلى الشجرة ويتصميم وضع قدما على الدرجة

الأولى للسلم ، ولم يكن أحدهما يعرف المدة التي يمكن أن يأخذها حتى يصل إلى أعلى السلم .

شمس الصيف المحرقة بدأت تقل ولكن لا تفكير عندهما إلا في وصول ياسواكى تشن إلى أعلى السلم . نزلت توتوتشن تحته ورفعت قدميه ثم وضعت رأسها أسفله لرفعه وهو أيضا حاول بكل قوته وأخيرا وصل إلى القمة الحمد لله .

ولكن مع وصوله إلى قمة السلم فإنه لم يستطع الانتقال إلى الشجرة إنه كان أملا ضائعا وجهدا مبذولا بلا جدوى . قفزت توتوتشن إلى ملتقى الفروع وحاولت ان تجذبه إلى الشجرة من فوق السلم ولكنها لم تستطع . نظرياسواكى تشن إلى توتوتشن بينما كان قابضا على السلم وقد بدت كأنها تريد أن تصرخ ، لقد أرادت أن تدعوه إلى شجرتها لترى كل أنواع الأشياء ، ولكنها لم تصرخ لأنها خافت إذا فعلت فربما يبدأ ياسواكى تشن الصراخ أيضا .

ويدلا من ذلك فإنها أمسكت يده ذات الأصابع الملتصقة من الشلل لقد كانت يده أكبر من يدها وأصابعه أطول من أصابعها ، وقد ظلت قابضة على يده مدة طويلة ثم قالت له :
- استلق على بطنك وسأحاول أن أجذبك .

وعندما فعل ذلك بدأت تجذبه وهى واقفة بين فرعى الشجرة بأقصى قوة مخاطرة بحياتها . فلو رآها الناس الكبار واقفة بين فرعى الشجرة وياسواكى تشن يرقد ببطنه على السلم وهى تجذبه بكل قوتها إلى الشجرة لأرسلوا صيحات الخوف والإشفاق . إنه كان منظرا يثير القلق والاضطراب لأنها كانا في موقف

غير ثابت ومتأرجح . ولكن ياسواكى تشن اطمأن إلى توتوتشن وكانت هى مخاطرة بحياتها لأجله ، ممسكة بيديها الضعيفتين يديه لتجذبه بكل قوتها ، ولقد كانت سحابة كبيرة تظللها بحنان ورحمة من وقت لآخر وتحميها من الشمس المحرقة .

وبعد انتهاء هذه المحاولة وقفنا وجها لوجه على الشجرة .
ثم قالت توتوتشن وهى تمسح شعرها المبلل وقد انحنى بأدب :
- مرحبا بك إلى شجرتى .
فانحنى ياسواكى تشن إلى جذع الشجرة مبتسما بنجمل ثم قال :
- هل أستطيع أن أدخل ؟
لقد كان يستطيع أن يرى مناظر لم يسبق له رؤيتها ، ثم قال بسعادة وسرور :
- لهذا السبب نحب أن نتسلق الشجرة .
لقد مكثا على الشجرة وقتا طويلا وتحدثا حول كل الأشياء .
وقال ياسواكى تشن بحماس :

- تقول أختى التى تعيش فى أمريكا أن عندهم شيئا يسمى تليفزيون .
إنها تقول : عندما يحضر هذا التليفزيون إلى اليابان فإنكم تستطيعون أن تجلسوا فى منازلكم وتروا مصارعة السومو .
وتقول : إنه يشبه الصندوق .

لم تفهم بعد ماذا يعنى ياسواكى تشن الذى لم يذهب أبعد من الحقل وكيف يستطيع أن يرى كل الأشياء وهو فى منزله ؟ ولقد دهشت كيف يستطيع المصارعون فى السومو أن يدخلوا فى صندوق فى المنزل ، وهم ضخام جدا .

ولقد اعتقدت أن هذه القصة غريبة جدا .
في تلك الأيام لم يكن هناك أحد يعرف شيئا عن التلفزيون وكان ياسواكي
تشن هو أول من يخبر توتوتشن عنه .
كانت فراشات الحصاد تغني وكان الاثنان سعيدين وكان هذا أول وآخر
وقت يتسلق فيه ياسواكي تشن شجرة .

اختبار الشجاعة

- ما هو الشيء المخيف والكريه الرائحة واللذيذ الطعام ؟
إنهم يحبون هذا اللغز كثيرا لدرجة أنهم مع معرفتهم الجواب فإن توتوتشن
وأصدقائها لا يملون أن يقول بعضهم بعض :

- اسألني عن لغز الشيء المخيف الكريه الرائحة -
جواب هذا اللغز :

- إنه شيطان في توالت يأكل كعكا .

لقد كانت نتيجة اختبار الشجاعة في مدرسة توموى مثل ذلك :

- ما هو الشيء الذى يخيفك ويشعرك بالهرش ويضحكك ؟
في الليلة التى نصبوا فيها الخيام في صالة المدرسة ثم أقاموا فيها أعلن السيد
المدير :

- ستقوم بعمل اختبار للشجاعة ذات مساء في معبد كوهنبتسو ومن يرد أن
يمثل الشبح فليرفع يده .

حوالى سبعة أولاد رشحوا أنفسهم ، وعندما اجتمع الأطفال في المدرسة في
المساء المحدد ذهب هؤلاء الأطفال إلى فناء المعبد ليخفوا أنفسهم وقد أحضروا
الملابس التى صنعوها بأنفسهم لذلك ، وقد قالوا لزملائهم عندما خرجوا
للمعبد :

- سنخيفكم حتى الموت من الخوف .
قسم الأطفال الباقون وكانوا حوالى ثلاثين - أنفسهم كل خمسة أطفال فى مجموعة ثم ذهبوا إلى كوهنبتسو على فترات .

لقد كان من المفروض السير حول فناء المعبد ثم المقبرة ثم يعودون إلى المدرسة . وقد شرح لهم المدير أنه مع أن ذلك اختبار للشجاعة فإنه لا مانع أبدا إذا خاف أحدهم ولم يستطع مقاومة الخوف أن يعود قبل انتهاء المباراة .
لقد استعارت توتوتشن من أمها كشافا لتأخذه معها ، وقد حذرتها أمها أن تضعه بقولها : أحدى أن تضعيه .

بعض الأولاد قالوا إن لديهم شبكا لصيد الفراشات وسيحضرونها لإمسك الأشباح بها ، بينما قال الآخرون إنهم سيحضرون حبلا يربطون بها الأشباح .

لقد كان الظلام نجما عندما كان المدير يشرح لهم ما سيعملون ، وقد أجروا القرعة لترتيب الأدوار ومن سيذهب أولا ، ومن بعده وهكذا . خرج تلاميذ المجموعة الأولى من المدرسة للذهاب إلى المعبد فرحين صائحين ، وأخيرا جاء دور مجموعة توتوتشن ، وقد أخبرهم المدير أن الأشباح سوف لا تظهر قبل أن يذهبوا إلى معبد كوهنبتسو ولكن الأطفال لم يكونوا متأكدين من ذلك وتقدموا وهم فى خوف حتى وصلوا إلى مدخل المعبد فأروا تمثال الحارسين وبدأت أرض المعبد مظلمة بالرغم من سطوع ضوء القمر ، وضيقه مع أنها فى أثناء النهار واسعة ومبهجة ولكن الآن لا يعلمون متى يصطدمون بواحد من الأشباح ، فكانوا خائفين ولا يستطيعون أن يتحملوا ذلك . فإذا اهترت الأشجار من الرياح أو وطئت رجل أحدهم شيئا طريا صرخوا من الخوف وظنوا أن ذلك من الأشباح .

وإذا أمسكت يد أحدهم يد الآخر ظن أنه أمسك الأشباح .
قررت توتوتشن ألا تذهب كل الطريق إلى المقبرة حيث ينتظر هناك الأشباح
وأحست أنها الآن قد عرفت كل ماحول اختبار الشجاعة وتستطيع العودة ، وفي
نفس الوقت كان كل أعضاء مجموعتها قد قرروا ذلك الأمر الذي يؤكد أن الفكرة
لم تكن لواحد ، وجرى الجميع عائلدين بسرعة كبيرة .

وعند عودتهم بسرعة فائقة إلى المدرسة وجدوا أن المجموعة التي سبقتهم في
الذهاب قد سبقتهم أيضا في العودة وقد ظهر أن كل واحد تقريبا لم يذهب إلى
المقبرة من شدة الخوف .

وفي أثناء ذلك حضر ولد وقد غطى رأسه بقماس أبيض ودخل من الباب
بصحبة مدرس وهو يبكي بكاء مرا . هذا الولد كان واحدا من الأشباح ، وكان
قابعا في المقبرة طول الوقت ولكن لم يأت إليه أحد وقد خاف خوفا شديدا
وأخيرا خرج وهو يبكي في الطريق فوجده المدرس الذي يتجول لحراسة التلاميذ
فعاد به . وبينما كان الكل يحاول أن يسرى عن هذا الولد إذا بولد ثان كان من
الأشباح أيضا حضر بصحبة ولد آخر وهما يبيكان . وكان الولد الذي من الأشباح
مختبئا في المقبرة وعندما سمع بعض الناس يجرى نحو المقبرة قفز أمامه محاولا إخافته
فاصطدمت رأساهما فاشتد ألمها وخوفها وأخذتا يجريان عائلدين سويا . إنه كان شيئا
مضحكا . ولقد كانت المسرة التي أحسوا بها بعد الخوف الشديد سببا في ضحكهم
حتى مالت رؤوسهم من شدة الضحك . أما الأشباح فقد ضحكوا وبكوا في آن
واحد . ثم حضر واحد من فصل توتوتشن لقيه (ميغيتا) وكان لابساً قلنسوة شبح
مصنوعة من ورق الصحف وكان نائرا لأن أحدا لم يحضر إلى المقبرة وقال :

— لقد انتظرت طول الوقت هناك ، هذا شيء قاس .

وكان يهرش رجليه ويديه من عض الناموس . فقال بعضهم :

- كيف يعض الناموس شبعا ١٤

وبدا الجميع يضحكون ثانيا . وقال المدرس (ماروباما) مسئول الصف الخامس :

- حسنا ، سأذهب لأحضر بقية الأشباح .

وخرج يبحث عنهم فوجد بعضهم منتظرا تحت مصباح الشارع والأشباح التي كانت شديدة الخوف رجعوا إلى منازلهم ، فأحضرهم جميعا إلى المدرسة . بعد هذه الليلة لم يعد يخاف تلاميذ مدرسة توموى من الأشباح لأنه حتى الأشباح أنفسهم كانوا خائفين .

لم يخافوا ١٤

قاعة التدريب

مشت توتوتشن برزانه . الكلب روكى مشى برزانه أيضا ناظرا إلى توتوتشن من وقت لآخر . هذا يعنى شيئا واحدا فقط . لقد كانا فى طريقهما إلى قاعة تدريب والدها . ومن عادة توتوتشن أنها عندما تسير تجرى على قدر ما تستطيع أو تمشى هنا وهناك باحثه عن شىء قد فقدته أو تسير بجانب حقائق الناس واحدة تلو الأخرى . زاحفة تحت الأسوار . ولقد كانت المسافة بين منزلهم وصالة تدريب الوالد ، حوالى خمس دقائق سيرا على الأقدام وكان عمله مساعد القائد فرقة موسيقية يعنى عازف الكمان .

ولقد أثار إعجابها مرة أنها عندما أخذت إلى حفلة موسيقية أنه بعد أن انتهى الناس من التصفيق استدار المايسترو - الذى كان بتصبب عرقا - نحو المشاهدين ثم نزل من مكانه على المسرح ليسلم على والدها الذى كان يعزف الكمان فوقف الوالد ووقف جميع أعضاء الفرقة أيضا .

سألت توتوتشن أمها هامسة :

- لماذا يسلم بعضهم على بعض ؟

أجابت الأم :

- لقد أراد المايسترو أن يشكر أعضاء الفرقة على حسن أدائهم ، ولهذا سلم

على الوالد وعلى نائب الفرقة على سبيل الشكر .

لقد كانت توتوتشن تحب الذهاب إلى قاعة تدريب والدها لأنها تخالف المدرسة حيث يحضر في المدرسة في الغالب أطفال بينما يحضر في القاعة . كبار وهم يعزفون بكل أنواع الأدوات الموسيقية علاوة على أن المايسترو السيد روزنشتوك يتكلم اللغة اليابانية بطريقة ساخرة .

لقد أخبرها والدها أن السيد يوسف روزنشتوك مايسترو مشهور في أوروبا ، ولما أراد هتلر أن يطهر أوروبا من اليهود هرب روزنشتوك إلى اليابان ليواصل رسالته الموسيقية .

ولم تكن تفهم توتوتشن معنى التطهير وسببه . حيث لم تك تعرف شيئا عن أخبار العالم حينذاك وعن هتلر الذي كان يطهر أوروبا من اليهود .

وإذا لم يحدث فانه كان من المستحيل أن يحضر روزنشتوك إلى اليابان ، وربما لم يستطع الاوركسترا الذي اسسه الملحن كوساكو يامادا أن يصنع مثل هذا التقدم في مثل هذا الزمن القصير من خلال هذا المجهود الذي قام به هذا المايسترو العالمى .



لقد أراد روزنشتوك مستوى عاليا في التقديم مثل الذى توقع من الاوركسترا الممتاز في أوروبا ، وقد كان هذا هو السبب الذى جعله يبكى دائما بعد الانتهاء من كل تدريب ويقول :

- هذا قصارى جهدى ولكنكم لا تتجاوبون معى .
- هدير يوسايتو عازف الشيلو الذى كان يقوم بقيادة الفرقة في غياب روزنشتوك
- وكان يتكلم اللغة الألمانية جيدا - يجب على ذلك :
- نحن نبذل قصارى جهدنا ولكن تعليمنا لا يزال غير كاف
- أنا أؤكد لك أن فشلنا ليس متعمدا ، وكان أحيانا يحمر وجهه حين يغضب وكان البخار يخرج من رأسه ويصرخ باللغة الألمانية . في مثل هذه الحالة تود توتوتشن أن تترك شباكها المحبب الذى تنظر منه وخذودها على كفيها وتقعدها القرفصاء على الأرض مع كلبها روكى وتنفس بصعوبة وتنظر استئناف الموسيقى . ولكن المايسترو روزينشتك في العادة رجل لطيف ولغته اليابانية مسلية ، وعندما يتقنون التدريب فإنه يسر ويقول :
- حسنا جدا ياسيد كوريانا جى ، ممتاز .

لم تدخل توتوتشن قاعة التدريب مطلقا ، ولكنها تحب أن تستمع إلى الموسيقى وترى أعضاء الأوركسترا من خلال شباك صغير ولذلك كان والدها يراها هناك عندما تتوقف الموسيقى . ويخرج الموسيقيون ليدخنوا فيقول لها :

- أوه . أنت هناك يا توتوسكى ؟!

وعندما يراها روزينشتوك يقول لها :

- صباح الخير ، نهارك سعيد ، في لغته اليابانية المكسرة ومع أنها لم تعد

صغيرة فإنه يحملها كما كان يعمل في أثناء صغرها ثم يضع وجهه على وجهها .
ومع أن هذا كان يضغط على وجهها ولكنها كانت تحب السيد روزينشتوك .
وقد كان يلبس نظارة ذات إطار فضي رفيع وله أنف كبير وكان متوسط
الطول . ولكن وجهة لطيف تستطيع أن تعرف منه أنه وجه فنان .

لقد أحببت توتوتشن قاعة التدريب ، وقد كانت على الطراز الغربى نوعا
ما ومهدمة قليلا ، وكانت الريح التى تهب من بركة (ستروكو) تحمل صوت
الموسيقى بعيدا وراء صالة التدريب ، وكان فى بعض الأحيان يختلط صوت
الموسيقى بصوت بائع السمك الذهبى الذى يباع للزينة .

رحلة إلى العين الساخنة :

أوشكت عطلة الصيف على الانتهاء ، وأقبل يوم الرحلة إلى العين الساخنة ، ولقد كان تلاميذ مدرسة توموى يعتبرونه الحدث الرئيسى . وعندما عادت توتوتشن من المدرسة ذات يوم وطلبت من أمها السماح لها بالاشتراك فى رحلة إلى العين الساخنة دهشت الأم التى لا تتدهش غالبا من أشياء كثيرة لقد سمعت قبل ذلك أن الناس المسنين هم الذين يزورون العين الساخنة فى مجموعات وليس التلاميذ الذين هم فى الصف الأول فى المدرسة ، ولكنها بعد أن قرأت خطاب السيد المدير بعناية فكرت أن هذه فكرة جيدة وامتثلت بالإعجاب بهذه الخطة . ولقد كانت الرحلة ستكون فى مدرسة بجانب البحر بمكان يسمى توى بمحافظة (شيزوكا) بشبة جزيرة (إزو) . كانت هناك عين ساخنة كائنة فى البحر حيث يستطيع التلاميذ الاستحمام والسباحة وستستغرق الرحلة ثلاثة أيام بليلتين وسيبقى التلاميذ من الصف الأول إلى الصف السادس فى منزل استراحة يملكه والد تلميذ من تلاميذ المدرسة . فوافقت الأم طبعاً ، فاجتمع تلاميذ توموى فى اليوم المحدد فى المدرسة قبل أن يذهبوا وقال المدير بعد اجتماعهم :

— إذن ، الآن نحن مسافرون بالقطار والسفينة ، ولا أريد أن يضل أحدكم . هل تفهمون ؟ حسناً ، لنذهب .

كانت هذه فقط هى التعليمات التى أعطاهها المدير للتلاميذ ولكنهم عندما ركبوا قطار خط طويوكو من محطة جيوغاوكا لم يحدث أحد منهم ما يخالف بالرغم من أنه ليس هناك أحد علمهم أن يسيروا فى صف واحد وأن يكونوا مؤدبين وألا يلقوا بفضلات الطعام فى القطار إلى آخر هذه المخالفات وكان الحديث هادئا بين هؤلاء الجالسين بجانب بعضهم . لقد علمتهم حياتهم اليومية فى المدرسة ألا يدفعوا الناس الصغار أو الضعاف ، فضلا عن بعضهم البعض تلك الأشياء التى تدعو إلى التحجل ، وأن يرفعوا الأوراق من الأرض وألا يحاولوا عمل شىء يضايق الآخرين أو يزعجهم .

وأغرب شىء أن توتوتشن التى لم تدخل مدرسة توموى إلا منذ أشهر قليلة والتى كانت قبل ذلك عاملا من عوامل الإزعاج بالحديث إلى الموسيقيين فى الشارع من الشباك الذى كان فى وسط الفصل أصبحت تجلس على مقعدها وتعمل دروسها بنظام من أول يوم قد بدأت فى توموى . ولو رآها أى مدرس من المدرسة السابقة الآن جالسة بنظام مع الآخرين فى القطار فإنه سيقول إنها أصبحت شيئا آخر .

من نوماز ركب الجميع سفينة .

لقد كانت هذه السفينة تشبه تماما ما رآوه فى أحلامهم . إنها لم تكن سفينة كبيرة ولكنهم كانوا فى حالة هياج عندما رأوا كل ركن من سطحها ، يلمسون هذا ويتعلقون فى ذاك وعندما أقلعت السفينة أخذ الجميع يلوحون للناس الموجودين على الرصيف ولم يبعدوا إلا قليلا حتى بدأت السماء تمطر . على أى الحالات كان عليهم أن يدخلوا السفينة ، وسريعا صار البحر هائجا ، وبدأت توتوتشن تشعر بدوار البحر كما حدث لبعض الآخرين ، وفى نفس

الوقت وقف ولد من الأولاد الكبار ووقف في وسط السفينة وهي تهتز محاولا أن يثبت نفسه ولكنه كان يصرخ ويميل يمينا وشمالا حسب اهتزاز السفينة . والأطفال يضحكون ومع شعورهم بدوار البحر فقد استمروا في الضحك حتى وصلت السفينة توى ، وبعد أن نزلوا كان من الغريب أن الولد الذى كان يتظاهر بالثبات على سطح السفينة صار يشكو من دوار البحر بينما شفى الجميع من هذا الألم . عين توى الساخنة كانت فى قرية هادئة جميلة على البحر محاطة بتلال عليها غابات كثيفة ، وبعد فترة راحة قصيرة اصطحب المدرسون الأطفال إلى البحر . وقالوا لهم : إذا جلست القرفصاء فى المكان الذى تعرف أنه العين الساخنة فإن الماء الساخن يصل إلى رقبتك وتشعر بالراحة تماما كما تكون فى حمام ساخن . وإذا أردت أن تذهب من العين الساخنة إلى البحر فما عليك إلا أن تتحرك خمسة عشر قدما فى أى جانب فسوف تحس بالماء البارد بالتدريج وإذا تحركت مسافة أكثر فسوف تحس بالماء أكثر برودة ، وكل ما تعمله هو أن ترجع سريعا إلى العين الساخنة ثم تأخذ حماما ساخنا يعلو فيه الماء إلى رقبتك فتشعر شعورا طيبا كما لو كنت فى حمام المنزل ويبدو ذلك عجيبا . وبينما كان الأطفال الذين يرتدون قبعات البحر يسبحون فى البحر كالمعتاد كان الآخرون الذى هم فى العين الساخنة مسترخين فى دائرة مغنين كما لو كانوا تماما فى حمام حتى من يراهم يسأل :

– لماذا حتى الأطفال الصغار يعملون تماما كالناس الكبار عندما يدخلون حمام العين الساخنة ؟

فى هذه الأيام كانت شواطئ البحر مهجورة فلم يكن هناك زوار كثيرون ولذلك فإن الشواطئ كانت تبدو وكأنها البلاج الخاص واستطاع الأطفال أن

يتمتعوا بالسباحة والعين الساخنة إلى درجة كبيرة ، وعندما رجعوا إلى مكان الاستراحة في المساء بعد مكثهم الطويل في الماء كانت أصابعهم كتلة من شدة الانكماش . وفي كل ليلة حين يلتفون بأغطيتهم يعود التلاميذ إلى الحديث عن قصص الأشباح . توتوتشن وأطفال الصف الأول يخافون ويصرخون ولكن بالرغم من دموعهم يسألون :

— وحينئذ ماذا حدث ؟!

لقد كانت هذه الأيام الثلاثة التي قضاها التلاميذ في عين توى الساخنة تجربة في حياتهم تختلف عن حياة الحيام في المدرسة وعن تجربة أختبار الشجاعة . فثلا عندما كانوا يرسلون بدورهم ليشتروا خضروات وسمكا للعشاء ، وعندما كانوا يسألون من بعض الناس عن مدرستهم التي هم فيها ، ومن أين هم ؟ كان عليهم أن يجيبوا بأدب . بعض التلاميذ تاهوا بين الأشجار ، وبعضهم سبح إلى مسافات بعيدة ولم يستطيعوا العودة وأصبح كل واحد قلقا عليهم ، وبعض آخر جرحت أقدامهم بزجاج مكسّر على الشاطئ ، في مثل هذه الأحوال كان من الواجب على كل واحد منهم أن يفعل ما يستطيع للمساعدة . ولكن في الغالب كان هذا شيئا سارا لقد كانت هناك غابة مملوءة بالفراشات ، ودكان لبيع الآيس كريم ، وقابلوا هناك على الشاطئ رجلا يصنع زورقا خشبيا كبيرا بنفسه وقد أخذ فعلا شكل الزورق . وفي كل صباح كان أول شيء يعملون أنهم يحرون إلى البلاج ليروا ما أنجز منه الرجل ، وقد أعطى الرجل توتوتشن بعض نشارة الخشب الطويلة الملتفة كهدية .

وقال السيد المدير في اليوم الذي كانوا سيرجعون فيه :

— مارأيكم في التقاط بعض الصور التذكارية ؟

كان التلاميذ فرحين لأنه لم يسبق أن التقطت لهم صورة جماعية وعندما كانت المدرسة مستعدة للتصوير ذهب بعض التلاميذ للتواليت وآخر قد لبس حذاءه معكوسا وكان عليه أن يعدل لبس الحذاء. وعندما قالت المدرسة أخيرا :

- هل كلكم مستعدون ؟

رقد على الأرض واحد أو اثنان من التعب حيث طال وقت استعدادهم للصورة . لقد أخذت هذه العملية - أخذ الصورة - وقتا طويلا جدا .

ولكن هذه الصورة مع البحر من خلفهم وكل تلميذ يقف لأخذ الصورة في الوضع الذي يريده أو يتخيله صارت ملكا عزيزا لكل منهم كالكثر : واحد ينظر إليها فيتذكر كثيرا من الحوادث : رحلة الزورق ، العين الساخنة ، قصص الأشباح والولد الذي كان يهتز في السفينة .

وهكذا كانت هذه أول عطلة صيفية سعيدة لتوتوتشن بحيث لا يمكن أن تنساها مطلقا .

لقد كانت في تلك الأيام تجد سمك الاستاكوزا في البركة القريبة من منزلهم في طوكيو ، وعربة القمامة كانت تجر بوساطة ثور كبير .

فن الايقاع :

بعد انتهاء العطلة الصيفية ، بدأ الفصل الدراسى الثانى حيث يبدأ العام الدراسى فى اليابان فى إبريل بالإضافة إلى أن توتوتشن أصبحت صديقة لتلاميذ فصلها كما أصبحت صديقة لكل الأولاد والبنات الكبار وذلك من خلال الاجتماعات المختلفة فى عطلة الصيف وازداد حبها لمدرسة توموى . بجانب ذلك ، فإنه حقا قد اختلفت مدرسة توموى عن المدارس الأخرى : كان فيها وقت أطول للموسيقى وكان فيها دروس لكل أنواع الموسيقى متضمنة مدة يومية للفن الايقاعى - نوع خاص من تعليم فن الايقاع أو الرقص التوقيعى اخترع بوساطة دالكروز المدرس والملمن السويسرى . الذى عرف بحوئه أولا فى سنة ١٩٠٤ وأصبح نظامه مطبقا سريعا فى أوروبا وأمريكا وانتشرت بعد ذلك معاهد التدريب والبحث فى كل مكان .

هنا قصة كيف جاء فن الايقاع الذى أنشأه دالكروز ليطبق فى مدرسة توموى .

قبل بدء مدرسة توموى ، ذهب السيد المدير سوساكو كوباياشى إلى أوروبا ليرى كيف كان الأطفال يتعلمون فى الخارج . وزار كثيرا من المدارس الابتدائية وتحدث مع كثير من المعلمين . وفى باريس قابل دالكروز وهو معلم وملحن ماهر .

لقد صرف دالكروز وقتا طويلا يفكر كيف يسمع الأطفال الموسيقى ويشعرون بها بعقولهم لا بأذانهم ، وكيف يجعلهم يحسون الموسيقى كشئ متحرك لا كشئ بطلء لالحياة فيه ، وكيف يوقظ إحساس الطفل بشكل أفضل .

وأخير اكتشف الفكرة عندما رأى الأطفال يقفزون ويمرحون ويهرجون بحرية ثم أنشأ تمرينات الإيقاع التى سماها (فن الإيقاع) لقد مكث الأستاذ كوياباشى فى باريس أكثر من عام وحضر مدرسة دالكروز وتعلم هذا النظام بدرجة جيدة .

لقد تأثر كثير من اليابانيين بدالكروز : الملحن كوساكويامادا ، ومبدع الرقص الحديث فى اليابان باكويشىء ، وممثل الكابوكى سادانجى إيتشيكافا ، رائد الدراما الحديثة وكاؤروا أوساناي ، والراقص ميتشيو إيتوكل هؤلاء فكروا أن تعاليم دالكروز كانت هى أساس جميع الفنون ولكن كان سوساكو كوياباشى أول من استعملها فى التعليم الابتدائى فى اليابان .

ولو سألت السيد كوياباشى عن ماهية فن الإيقاع لأجاب .

- إنه رياضة بدنية تهذب حركات الجسم وتعلم العقل كيف يستعمل الجسم ويتحكم فيه ، وتجعل الجسم والعقل قادرين على فهم الإيقاع ، وممارسة فن الإيقاع يجعل الشخصية إيقاعية . والشخصية الإيقاعية جميلة وقوية ومطبعة ومتفقة مع قوانين الطبيعة .

توتوتشن وزملاؤها بدءوا تدريب أجسامهم على فهم الإيقاع . يعزف السيد المدير على البيانو فى المسرح الصغير فى صالة الاجتماعات والتلاميذ فى أى مكان يقفون :

وعند سماع الموسيقى يسيرون على الإيقاع حيثما وكيفما يريدون إلا أن يصادم بعضهم بعضا ولهذا فإنهم كانوا يميلون للسير في اتجاه مستدير . وإن تصوروا أن الموسيقى ضربتان في الوقت الواحد فإنهم يحركون أذرعهم أعلى وأسفل في سيرهم كما يفعل المايسترو ولا يضغطون على أقدامهم في السير ولكن ليس كما يسير راقصو الباليه على أطراف أصابعهم أى يسيرون سيرا مريحا يحركون أصابعهم . المهم أن يكونوا طبيعيين ولهذا يستطيعون أن يسيروا بأى طريقة تريحهم . وإذا تغيرت دقات الموسيقى إلى ثلاث دقات فإنهم يحركون أذرعهم طبقا لدقات الموسيقى وينظمون خطواتهم طبقا للإيقاع مسرعين أو مبطئين كما هو مطلوب ، وكان عليهم أن يتعلموا رفع أذرعهم أو خفضها ليناسب الإيقاع حتى ست ضربات في المرة ، وكانت أربع ضربات بسيطة للغاية :

- أسفل ، مستدير ، جانبا ، أعلى

وحين تكون خمس ضربات تكون هكذا :

- أسفل - مستدير - أمام - جانبا - أعلى

وحين تكون ست ضربات تكون هكذا :

- أسفل - مستدير - أمام - مستدير - جانبا - أعلى .

وعندما تكون الضربات متغيرة فإنها تكون تقريبا صعبة .

وتكون أكثر صعوبة عندما يعلن المدير :

- حتى إذا غيرت الإيقاع على البيانو فلا تغير حتى أخبرك أن تغير . على

فرض أنهم كانوا يسيرون على دقتين في المرة ثم تغيرت الموسيقى إلى ثلاث دقات

فإن عليهم أن يستمروا في المشي على دقتين مادام الإيقاع ثلاثيا . إنه يكون

صعبا جدا ولكن المدير يريد أن يزرع قدرة في التلاميذ على التدرج .

أخيرا هو يصيح :

- تستطيع أن تغير الآن .

بهدهو سيفير التلاميذ إلى إيقاع ثلاثي ولكن يكون هذا بعد أن ينبه عليهم بهذا الخصوص فينسوا الإيقاع بدقتين . وفي أثناء ذلك يأمر المدير فجأة بتغير الإيقاع إلى خمس دقات فيرتبك الأطفال ثم ينادون على الأستاذ :

- يا استاذ انتظر . انتظر .

ولكن حينما يتعودون عليه فإنهم يحسون بالسعادة ويفكرون في عمل أشياء مختلفة ويتمتعون . عادة يتحرك كل واحد بنفسه ولكن في بعض الأحيان يقرر اثنان أن يتحركا سويا وقد أمسك كل واحد بيد الآخر عندما يكون الإيقاع دقتين أو يحاولان أن يسيرا وأعينها مغمضة . الشيء الوحيد الممنوع هو الحديث سويا .

في بعض الأحيان عندما يكون هناك اجتماع مجلس الآباء والمدرسين فإن الأمهات ينظرن من النوافذ . إنه كان محببا أن ينظروا إلى كل تلميذ يحرك ذراعيه ورجليه بسهولة ويقفز هنا وهناك فرحا موافقا لدقات إيقاع الموسيقى .

هكذا كان الغرض من فن الإيقاع هو تدريب العقل والجسم أن يكونا متيقظين للإيقاع ، وحينئذ يستطيعون انسجام العقل مع الجسم وأخيرا بتنبيه الخيال في الإبداع .

عندما وصلت توتوتشن إلى المدرسة لأول مرة ونظرت إلى اسمها على البوابة سألت أمها :

- مامعنى توموى ١٩

توموى تعنى فاصلتين أحدهما مقلوبة ولونها أسود والأخرى لونها أبيض في دائرة ترمز إلى أمنية المدير أن بتواءم جسم الأطفال وعقولهم في النماء .



وقد ضمن السيد المدير من الإيقاع برامج الدراسة في مدرسته لأن هذا يؤدي إلى نتيجة حسنة ويساعد شخصية الأطفال أن تنمو طبيعيا من غير أن يتأثروا بتدخل طبيعة المراهقة التي تفسد الشباب .

لقد كان المدير ناقما على طريقة التعليم المعاصر التي تؤكد فقط على الكلمة المكتوبة التي تنجح إلى ضمور الإدراك الحسى الشهوانى للطبيعة والتفتح الوجدانى للصوت الذى لايزال صغيرا وهو الوحي الإلهى . هذا هو شعر باشو الذى كتبه :

- استمع هذه ضفدعة .

تقفز في الصمت .

من بركة قديمة .

ومع ذلك فإن مشهد الضفدعة التي تقفز في البركة لا بد وأن يكون قد شاهده كثير من الناس غير باشو على مر العصور ، وفي كل العالم ليس وات ونيوتن فقط هما اللذان رأيا البخار يخرج من الإبريق عند غليان الماء والتفاح يسقط من الشجرة

لهم عيون ولكن لا ترى الجمال ، ولهم آذان ولكن لا تسمع الموسيقى ، لهم عقول ولكن لا تدرك الحقيقة ، ولهم قلوب ولكن لا تتحرك وحينئذ تحترق أبدا . هذه هى الأشياء التي يخاف منها .

هذا قول السيد المدير .
مثل توتوتشن لقد قفزت ثم جرت هنا وهناك عارية القدمين ، تشبه
أسادورادنكن ، كانت سعيدة جدا ، ولا تعتقد أن هذا كان جزءا من الذهاب إلى
المدرسة إلا بصعوبة .



طلب واحد في حياتي :

إنها كانت أول مرة في حياة توتوتشن لتذهب إلى السوق السنوى الذى يقام في معبد (بنتين) . في وسط بركة ستروكو قريبا من مدرستها السابقة كان يوجد جزيرة صغيرة بها معبد موقوف على (بنتين) إلهة الجبال والموسيقى . في ليلة هذا السوق السنوى عندما كانت تسير توتوتشن مع والديها في شارع خافت الضوء توهج الليل فجأة بأنوار شديدة بمجرد وصولهم إلى السوق . إنها كانت أضواء السوق فانهزت بهذا الضوء وبدأت تدخل رأسها في كل كشك واحدا تلو الآخر وكانت هناك أصوات غريبة في كل مكان : صرير ، صوت طهى طعام ، فرقعات وكل أنواع الروائح العطرية المغربية . لقد كان كل شيء جديدا وغريبا . وكان هناك أشياء مثل غليون التدخين تخرج منه رائحة النعناع عند شمه وكانت مزينة بصور كلب أو قط أو (بتي بوب) وبعض الحلوى مثل الكاندى وغزل البنات ومسدسات مصنوعة من الغاب تطلق صوتا عندما تدخل فيها شيئا معيناً من جذوع النباتات .

وعلى جانب الطريق كان يوجد رجل يدخل السيف في فمه ، ويأكل آخر قطع الزجاج أو رجل يبيع نوعا من المساحيق إذا دحك به حافة الطبق فإنه يحدث صوتا . وكان هناك حلقات ذهبية تحق النقود إذا وضعت عليها وصور تزداد عندما تعرضها لضوء الشمس وأوراق أزهار تتفتح إذا وضعت في كوب

به ماء . وكانت توتوتشن على طول الطريق تنظر هنا وهناك وفجأة توقفت
وصرخت عندما رأت صندوقا مملوءا بكتاكيت صفراء صغيرة كلها تصيح .
وقالت :

- أريدها !

جذبت توتوتشن يدي أمها وأبيها .

- من فضلك ، اشترها لي !

التفت الكتاكيت إلى توتوتشن وهزت ذيلها ورفعت مناقيرها أعلى
وشقشقت بصوت عال : فقالت توتوتشن :

- أليست لطيفة ؟ !

لقد فكرت توتوتشن أنها لم يسبق لها رؤية شيء أعجبها في حياتها مثل هذا
ثم جلست القرفصاء بجانب الكتاكيت : ثم رفعت نظرها إلى والدتها راجية :
- من فضلكما . ولشد ما كانت دهشتها عندما حاولا أن يجراها بعيدا
فقالا لها :

- ولكنكما قلنا لي إنكما ستشتريان شيئا لي وهذا هو الشيء الذي أريده
فقط . فقالت والدتها :

- لا يا عزيزتي ، هذه الكتاكيت المسكينة ستموت حالا .

فقال توتوتشن :

- لماذا ؟

ثم بدأت تبكي . فأنجدها والدها جانبا حتى لا يسمع البائع ثم شرح لها :



- إنها ظريفة الآن ياتوتوسكى ولكنها ضعيفة بدرجة فظيعة وسوف لا تعيش طويلا . وأنت سوف تبكين فقط عندما تموت . هذا هو السبب الذى يمنعنا من شراء واحد لك .

ولكن توتوتشن صممت على الحصول على واحد ، ولم تسمع ما قال أبوها وقالت :

- سوف لا أتركه يموت ، أنا سوف أراعاه وأحافظ عليه .

ولكن ظل والدها يجرانها بعيدا من الصندوق وهى تنظر بشوق شديد إلى الكتاكيت والكتاكيت تنظر إليها باشتياق مشققة بصوت أعلى . ولكن توتوتشن قد قررت فى عقلها أن الشيء الوحيد الذى تريده هو واحد من الكتاكيت فأخلفت تتوسل إلى والديها :

- من فضلكما من فضلكما اشترى لى واحدا . ولكنها تشددا أيضا فى رفض الطلب وقالوا :

- لانريد أن نشترى لك واحدا لأنه سيجعلك فقط تبكين فى النهاية ولكن توتوتشن انفجرت باكية وبدأت تسير نحو المنزل ودموعها تسيل على خدودها وفى أثناء سيرهم فى طريق مظلم قالت بصوت متشنج :

- إننى لم أطلب فى حياتى شيئا كثيرا وسوف لا أسألكم شراء شيء لى مرة أخرى فن فضلكما اشترى لى واحدا من هذه الكتاكيت .

وأخيرا رضخ الوالدان لطلبها . إنه كان شبيها بسطوع الشمس بعد المطر فلقد أخذت توتوتشن تبتسم على طول الطريق إلى المنزل حاملة صندوقا صغيرا يحتوى كتكتوتين فى راحتيها . وفى اليوم التالى طلبت أمها من النجار أن يصنع صندوقا

خاصا من شرايح الخشب مزودا بلمبة كهربية لتحافظ على دفء الكتكوتين . وظلت توتوتشن تراقبها بعناية طول اليوم وقد كان الكتكوتان الأصفران قليلا ظريفين . ولكن - لشدة الأسف - فى اليوم الرابع توقف أحدهما عن الحركة وفى اليوم الخامس توقف الآخر عن الحركة أيضا فحاولت تحريكها ونادت عليها ولكنها لم يعطيا شقشقة واحدة فانتظرت ثم انتظرت ولكنها لم يفتحأ أعينها . لقد كان الأمر كما قال الوالد والأم بكت توتوتشن ثم حفرت حفرة فى الحديقة ثم دفنتها ووضعت فوقها زهرة صغيرة جدا .

لقد أصبح الصندوق الذى كان فيه الفرخان يبدو كبيرا وخيفا وفارغا وعندما رأت فى زاوية من زواياه ريشا أصفر صغيرا تذكرت كيف شقشقت هذه الكتاكيت الصغيرة عندما رأتها فى السوق . ثم كرت على أسنانها وبكت بصوت خافت وحزن شديد . إنها لم تطلب شيئا بالحاح هكذا فى حياتها وهما وقد ذهب سريعا .

لقد كانت هذه أول تجربة فى حياتها لفقدان شيء ثم مفارقتة .

الملابس الرثة :

لقد كان المدير ينبه على أولياء الأمور أن يرسلوا أولادهم إلى المدرسة دائما في الملابس الرثة ، وقد أراد بذلك ألا يكون هناك أهمية إذا ما أصاب ملابسهم اتساخ أو تمزق ، ولقد فكر أنه سيكون منجلا للتلاميذ أن يخافوا أن يلاموا إذا ماتمزت ملابسهم أو أن يترددوا في اشتراكهم في بعض التمرينات الرياضية . ولقد كان هناك بعض المدارس الابتدائية القريبة من توموى حيث تلبس التلميذات ملابس على الطراز البحرى ويلبس الأولاد بدلا بياقات عالية وبنطلونات قصيرة ولكن تلاميذ مدرسة توموى كانوا يحضرون إلى المدرسة بملابسهم العادية وكان الأساتذة يسمحون لهم أن يلعبوا بما يريح قلوبهم من غير أن يهتموا بأمر ملابسهم . لم تكن البنطلونات في تلك الأيام مصنوعة من قماش متين مثل الجينز في هذه الأيام ولهذا كانت بنطلونات الأولاد تحتوى رقعا وكانت ملابس البنات عبارة عن جونلات أو ملابس صنعت من أقوى الأقمشة الموجودة .

لقد كان أحب تسلية لتوتوتشن أن تزحف تحت أسوار حدائق الناس في وقت الفراغ الطويل ولهذا فقد ألبستها أمها ملابس جيدة ولم تفكر في أمر ملابسها . لقد كان هناك في تلك الأيام أسوار من أسلاك شائكة وبعض هذه الأسوار أسلاك إلى مستوى الأرض ولأجل أن تزحف تحت واحد من هذه

فإنه يجب عليك أن تحفر حفرة مثل الكلب . لم تكن تهتم توتوتشن وكانت تتمكن من امساك ملابسها على الأسلاك الشائكة ثم تمزقها . وفى مرة من المرات وكانت تلبس ملابس من قماش قطنى رفيق رث قديم ، مزقت كل ثيابها من أعلى إلى أسفل ومع أنها كانت قديعة فإن أمها كانت تحبها حبا جيا ولذلك فإن توتوتشن فكرت - لئلا تغضب أمها - أن تخلق سببا . انها لا تجرؤ أن تحبر والدتها أنها زحفت تحت سلك شائك ، وعلى ذلك فكرت فى كذبة تكون مخرجا من هذا المأزق ويمكن أن تصلق أنها لم تكن تستطيع أن نتجنب تمزيق ملابسها .

وأخيرا استقرت فى ذهنها هذه القصة الكاذبة :

- بينما كنت أسير فى الطريق للعودة إلى المنزل إذ بكثير من أطفال لا أعرفهم ألقوا بسكاكينهم إلى ظهري . هذا هو السبب فى تمزيق ملابسى هكذا . ولكنها فى أثناء حديثها كانت تخشى أن تسألها أمها أسئلة أخرى لاستطيع الإجابة عليها . ولكن لمحاسن الصدف لم تقل أمها سوى :

- إنه شيء مربع .

تنفست الصعداء توتوتشن . لقد تحققت الأم بوضوح أنه تحت هذه الظروف لاتستطيع توتوتشن أن تمنع تمزيق الملابس المحببة لأمها . طبعاً ، لم تصلق الأم قصة توتوتشن عن السكاكين فلو أن هذه السكاكين قذفت إلى ظهرها فلا شك أن تجرحها كما مزقت ملابسها ولكن لم يظهر على توتوتشن أى خوف من هذا الحادث ولذلك فإن الأم فكرت أن هذا هو من صنع ابنتها . على أى الحالات ، إنه لم يكن من المعتاد لتوتوتشن أن تذهب إلى هذا المدى لتخلق عذرا . ولكن تحققت أن توتوتشن قد أحست إحساسا سيئا للتمزيق

الملبس وهذا قد أرضاها ، ولكن كان هناك شيء أرادت الأم أن تعرفه أحيانا وقد بدت هذه كأحسن فرصة لنكشفه فقالت لها :

- أستطيع أن أفهم كيف مزقت ملابسك بوساطة السكاكين وأشياء مثل ذلك ولكن كيف تمكنت من تمزيق سراويلك أيضا يوما بعد يوم ؟

لم تستطع الأم أن تفهم كيف أن سراويل توتوتشن المزركشة بأشرطة منتظمة تكون ممزقة كل يوم في مؤخرتها .

إنها تستطيع أن تفهم كيف تلتطخ سراويلها بالطين أو تمزق تمزيقا رديعا بوساطة نزولها من المنحدرات أو سقوطها على إلتيتها ولكن كيف تأتي ممزقة إلى نسايات .

فكرت توتوتشن لحظة ثم قالت :

- ترين ، عندما تخففين تحت سور فإنك لاتستطيعين أن تمنعي إمساك جونتلك عندما تدخلين ، وسراويلك عندما تعودين ويجب أن تقدمي اعتذارا : هل أستطيع أن أدخل ؟!

ثم الوداع من نهاية سور إلى آخر ، ولهذا فإن سراويلك والاشياء الأخرى لابد من تمزيقها . ومع أن الأم لم تفهم حقيقة ولكنها قالت متسائلة :

- أهذه فزورة ؟!

- هل هي فزورة ؟

فقالت توتوتشن مندهشة من سؤال أمها :

- لماذا لاتحاولي ذلك ؟ إنها شيء مضحك وستمزقين سراويلك أيضا .

اللعبة التي أحببتها توتوتشن حبا شديدا ووجدتها مثيرة شرحتها لأمها مثل هذا :

- أولا : أن تجدى أرضا واسعة خالية محاطة بسور من السلك الشائك ، ثم الاستئذان بالدخول بقول : هل تسمح لي بالدخول ؟ ثم رفع طرف السلك ثم حفر حفرة ثم الزحف تحت السلك للدخول ومن الداخل يرفع السلك الشائك المجاور ثم حفر حفرة أخرى ثم الخروج مع الوداع بقول « أراكم بخير » وهكذا الاستمرار في الدخول والخروج .

أصبح ظاهرا للأم كيف تتمزق سراويل وجونلات توتوتشن بتعلقها في السلك الشائك وتكرار الدخول والخروج ، وبين الاستئذان لقول « هل تسمح لي بالدخول ؟ » والوداع « أراكم بخير » فإن توتوتشن بسرور قد صنعت خطأ متعرجا زاحفة تحت الأسلاك الشائكة فلا عجب أن تمزق جونلاتها وسراويلها .

مثل هذه الرياضة التي تتعب الكبار ولا تسرههم مطلقا تكون سارة ومسلية للأطفال . ولقد أحست الأم بالغيرة عندما تصورت مراقبة توتوتشن في شعرها وأظفارها وآذانها القذرة في أثناء هذه الرياضة ، ولم تستطع أن تخفى إعجابها بالمدير الذي يفهم الأطفال فهما حقيقيا والذي اقترح أن يلبس الأطفال الملابس التي لا يهتمون بها إذا اتسخت أو تمزقت وكان هذا مثلا آخر على فهمه طبيعة الأطفال جيدا .

تاكاهاشى :

فى الصباح بينما كان الأطفال يجرون فى فناء المدرسة قال السيد المدير :
- هنا صديق جديد لكم واسمه الأخير « تاكاهاشى » وسيكون تلميذا فى
الصف الأول فى القطار . فنظرت توتوتشن وبقية الأطفال إلى تاكاهاشى فخلع
قبعته وانحنى محييا خجلا :
- إبنى سعيد برؤيتكم .

وعلى الرغم من أن توتوتشن وزملاءها كانوا لا يزالون صغارا لأنهم فى
الصف الأول فإن تاكاهاشى كان أصغر منهم - مع أنه ولد - وكانت ذراعا
قصيرتين ورجلاه كذلك . وكانت يده التى أمسك بها قبعته صغيرة أيضا .
ولكن كفاه عريضتان . وقد وقف وعليه سيماء اليأس فقالت توتوتشن لميوتشن
وساكوتشن :

- دعونا نتكلم معه .

فذهبن إليه ، فلما اقتربن منه ابتسم لهن بلطف وابتسمن له بدورهن . لقد
كانت عيناه كبيرتين وبدا كأنه أراد أن يقول شيئا .
فقالت له توتوتشن :

- ألا تريد أن تشاهد فصل الدراسة فى القطار ؟ !

فأجاب تاكاهاشي وقد وضع قبعته على مؤخر رأسه :

- نعم .

فأسرعت توتوتشن لترية فصل الدراسة ثم قفزت إلى القطار ونادته من الباب :

- تعال بسرعة .

ولقد بدا أنه يمشي بسرعة ولكن لا يزال بعيدا لأن خطواته قصيرة ثم قال وهو يحاول الجري :

- أنا آسف . أنا آت إليك .

تحققت توتوتشن أنه بينما لايجر تاكاهاشي رجله مثل ياسواكي تشن المريض بشلل الأطفال فإنه يأخذ نفس الوقت الذي يأخذه ياسواكي تش للوصول إلى القطار . فانتظرته بهدوء من غير أن تطلب منه السرعة مادام يبذل جهدا في الوصول إلى القطار . لقد كانت رجلاه قصيرتين وكان معوج الساقين ، ويعلم المدرسون والناس الكبار أن نموه قد توقف . ولما رأى توتوتشن تنتظره حاول أن يجرى بسرعة أكثر مطوحا ذراعيه ، وعندما وصل إلى الباب قال :

- أنت تَجْرين بسرعة . أنا من أوساكا .

فقال بصوت عال مضطربة :

- أوساكا ١١٩ !

لقد كانت أوساكا مدينة الأحلام التي لم يسبق لها رؤيتها .

وكان الأخ الأصغر لأمها - خالها - الذي يدرس في الجامعة معتادا عندما

يحضر إلى المنزل أن يأخذ رأسها بين يديه ويرفعها على قدر ما يستطيع ويقول :

- سأريك أوساكا ، هل تستطيعين أن تشاهديها ؟

أنها الطريقة التي يداعب بها الكبار الأطفال الصغار فكان قوله مجرد مداعبة ولكنها صدقته وفي أثناء ذلك مط جلد وجهها بطريقة مرعبة وشد عينها وآلم أذنيها وهي تنظر بجنون إلى مسافات محاولة رؤية أوساكا ، ولكنها لم تستطع ولكنها تعتقد على أى الحالات أنها في يوم من الأيام ستكون قادرة على رؤيتها ، ولهذا فكلما جاء خالها سألتته :

- أرنى أوساكا .

وهكذا أصبحت أوساكا مدينة الأحلام ، وقد أتى منها تاكاهاشي .
فقلت له :

- أخبرني عن أوساكا .

فقال مبتسما سعيدا :

- عن أوساكا ؟

وكان صوته واضحا وناضجا كصوت الكبار : وحيث ذق ناقوس الحصاة الأولى فقلت توتوتشن :

- يا خسارة .

ذهب تاكاهاشي في سرور وابتهاج مطوحا جسمه الصغير الذي لا يكاد يرى من حقيقته وجلس في الصف الأول ، وجلست توتوتشن سريعا بجانبه ، وكانت مسرورة حيث كان في استطاعتها الجلوس في أى مكان تحب . فلم ترد أن تتركه وهكذا صار تاكاهاشي واحدا من أصدقائها .

انظري قبل أن تقفزي :

في طريق عودة توتوتشن من المدرسة وقد أصبحت قرية من البيت اكتشفت شيئا مغريا بجانب الطريق . إنه كان كومة كبيرة من الرمل . كيف يوجد على غير العادة هناك رمل والمكان بعيد عن البحر ؟ هل كانت تحلم ؟ لقد كانت مسرورة . بعد استعداد القفزة جرت بسرعة نحو كومة الرمل وقفزت فوق قمتها ولكنها لم تكن رملا وإنما كانت كومة في داخلها جيس رمادي معد للبياض وهو مخلوط بالماء فكان لنا فغرت فيه ووجدت نفسها مغطاة بالمخلوط حتى صدرها كالتمثال بحقية ظهرها وحقية حذاؤها ، وكلما حاولت الخروج كلما غطست في المعجون ، وكان لابد أن تأخذ حذرنا حتى لا نفقد حذاءها فظلت واقفة ويدها كيس نعلها ، وكلما مرت عليها بعض الأمهات اللاتي لاتعرفهن نادى عليهن :

- من فضلك ، .

بصوت منخفض .

إلا أنهن جميعا اعتقدن أنها تلعب ثم ابتسمن وسرن في طريقهن فظلت على هذا الوضع حتى أدركها المساء ولم تعد ، فخرجت أمها لتبحث عنها ، ولشد ما كانت دهشتها عندما رأت رأس توتوتشن خارجا عن الكومة وجسمها في الداخل ورأت أنها لو ملئت لها يدها لتخرجها فرمما تدخل رجلها أيضا

يصعب خروجها فبحثت عن عصا ثم مدتها لتوتوتشن فأمسكت بطرفها
يشدتها الأم بالطرف الآخر. لقد كانت توتوتشن مغطاة بالمعجون الرمادي مثل
لحائط. قالت لها الأم :

– لقد أخبرتك مرة قبل ذلك إذا وجدت شيئا يبدو جذابا لاتقفزى عليه
بباشرة. لابد أن تنظري قبل أن تقفزى .

ذكرت الأم تلك المرة مشيرة إلى ما حصل في خلال ساعة الغداء في
لمدرسة لقد كانت توتوتشن تتجول على الطريق خلف صالة الاجتماعات فرأت
ورقة جريدة في وسط الطريق ، فظنت أنه سيكون عملا سارا إذا استطاعت أن
تقفز على الورقة فرجعت إلى الوراء واستعدت للجري ثم جرت بسرعة وقفزت
على الورقة .

ولكنها لم تكن سوى غطاء مؤقت للبالوعة التي أسقطت توتوتشن فيها
حافظتها من قبل ، وضعها فراش المدرسة كغطاء مؤقت للبالوعة التي فقدت
غطاؤها وحتى لاتنبعث رائحتها الكريهة فسقطت توتوتشن في البالوعة ، ولكن
لحسن حظها فقد استطاعوا أن يجعلوا من توتوتشن ابنة نظيفة مرة أخرى . هذا
كان الوقت الذي تحدثت عنه أم توتوتشن . فقالت توتوتشن بهدوء :

– لا – سوف لا أقفز على شيء مرة أخرى

فارتاحت الأم لذلك ولكن ما قالت توتوتشن ثانيا جعل الأم تظن أن ارتياحها
كان شيئا مبتسرا سابقا لأوانه .

– أنا سوف لا أقفز على ورق الجرائد ولا كومات الرمل مرة أخرى .

لقد كانت الأم متأكدة أن توتوتشن ستأخذ الأمر بسهولة ثم تقفز
على بعض الأشياء الأخرى مرة أخرى .

كان طول النهار آنذاك آخذا في القصر وصارت الدنيا ظلاما عندما وصلتا
إلى المنزل .

وبعد ذلك :

لقد كان وقت تناول طعام الغداء فى توموى وقت هو ولذلك كان الأطفال يحبونه ، ولكن أضيف إليه شىء جديد مهم .

لا يزال المدير يقوم بالتفتيش على صناديق الطعام (البستو) لخمسين طفلا ليرى هل تحتوى شيئا من البحر وشيئا من البر ، ونحمل زوجته كسرولتين فى واحدة منها شىء من البحر وفى الأخرى شىء من البر لتكمل النقص إذا وجد فى صندوق أحدهم . وبعد ذلك يغنى الأطفال « أمضغ أمضغ . أمضغ أمضغ جيداً ، كل شىء تأكله » ثم يتبعون ذلك بـ « أنا اشترك فى الطعام شاكراً » ولكن من الآن بعد ذلك سيعطى بعض واحد حديثاً قصيراً .

لقد قال المدير ذات يوم :

– أظن أننا جميعاً يجب أن نتعلم كيف نتكلم . فإذا تظنون ؟

بعد ذلك ، بينما نحن نأكل طعام الغداء دعونا نشاهد واحداً مختلفاً كل يوم يقف فى وسط الدائرة ويخبرنا عن بعض الأشياء .

ما رأيكم فى هذا ؟!

بعض الأطفال فكروا أنهم لا يحسنون الكلام ولكن سيكون شيئاً ساراً أن

يستمعوا إلى الآخرين . وفكر البعض الآخر أنه سيكون من نافلة القول أن يجربوا الناس عن شيء هم يعرفونه .

لم تكن توتوتشن تدرى ماذا ستقول ولكنها كانت ترغب فى محاولة ذلك . وكثير من الأطفال أحبوا هذه الفكرة ولهذا قرروا أن يتكلموا فى اليوم التالى . والأطفال اليابانيون تعلموا فى البيت أنهم لا يتكلمون فى أثناء الطعام ولكن نتيجة لتجربة المدير فى الخارج فإنه اعتاد أن يشجع تلامذته أن يأخذوا وقتا طويلا على الأكل ويتمتعوا بالحديث .

وبجانب ذلك فكر أنه من الضرورى أن يتعلم التلاميذ كيف يقفون أمام الجماهير ويعبرون عن آرائهم بوضوح وبحرية تامة من غير خجل ، ولهذا قرر أن هذا هو الوقت المناسب لوضع هذه النظرية موضع التنفيذ . وبعد أن وافق التلاميذ على هذه الفكرة قال لهم - وكانت توتوتشن تسمع كلامه بانتباه : -

لستم فى حاجة أن تكونوا متحدثين ممتازين ويستطيع كل واحد منكم أن يتكلم فى أى شيء يحبه . تستطيعون أن تتكلموا عن الأشياء التى تحبون أن تعملوها . أى شيء بأى كلام .

دعونا نحاول .

لقد حدد دور كل متكلم كما حدد أيضا أن الشخص الذى سيتكلم هذا اليوم سيتناول طعام الغداء سريعا ويتوجه مباشرة بعد انتهاء الأغنية . ولكن التلاميذ اكتشفوا أن الحديث إلى المجموعة لا يشبه الحديث إلى اثنين أو ثلاثة من الأصدقاء فى أثناء ساعة الغداء . فإن الوقوف فى وسط صالة المدرسة يحتاج إلى كثير من الشجاعة وهو من الأمور الصعبة . بعض التلاميذ كان خجلا أولا لدرجة أنهم ابتسموا بفتور فقط وبعضهم اجتهد فى إعداد الحديث اجتهد

كبيراً ولكنه نسي كل شيء عندما وقف ولم يزد على أن كرر مراراً عدة اسم الموضوع « لماذا تقفز الضفادع بجانب الطرق ؟ ثم بدأ راجعاً وهو يقول : عندما تمطر... » ولكنه لم يقل أكثر من ذلك وأخيراً قال :

« هذا كل ما عندي » ثم أخنى رأسه وذهب راجعاً إلى مكانه . لم يأت دور توتوتشن بعد ولكنها قررت أنها ستحدثهم عن أحب القصص إليها « الأمير والأميرة » كل واحد يعرف هذه القصة فقد قصتها عليهم كثيراً في أثناء الطعام حتى إنها عندما تريد أن تقصها يقولون « لقد تعبنا من هذه القصة » ولكن كلها نفس الحكاية لقد قررت أنها ستكون القصة التي ستخبرهم بها وهكذا تعود التلاميذ هذه العادة أن يتحدث واحد تلو الآخر أمامهم كل يوم . وهناك طفل رفض الكلام عندما جاء دوره وأعلن قائلاً :

— ليس عندي شيء أقوله .



فتعجبت توتوتشن أن يكون هناك شخص ليس لديه مايقوله ولكنه قال
هكذا . فذهب المدير إلى مكتب الطفل وكان عليه صندوق الطعام فارغا .
فقال له :

– ولهذا ليس لديك شيء تقوله .

– لأشياء .

لم يحاول التلميذ أن يكون شجاعا أو شيئا مثل ذلك
فضحك المدير حتى مالت رأسه إلى وراء غير مكترث بما بين أسنانه .
من فراغات وقال :

– دعنا نحاول لنجد شيئا نقوله .

بدأ التلميذ وكأنه مذعور وقال :

– نبحث ؟ !

أخذ المدير الولد ليقف في مركز الدائرة وجلس هو على كرسيه وقال :
– حاول أن تتذكر ، ماذا فعلت هذا الصباح بعد أن استيقظت وقبل أن
تحضر إلى المدرسة ، ماذا فعلت أولا ؟

قال التلميذ :

– حسنا

وهو يهرش في رأسه كمن يتذكر . فقال المدير :

– إنك قلت : حسنا . هناك شيء يمكن أن تقوله ، ماذا فعلت بعد
ذلك ؟

— حسنا وهرش رأسه أكثر ، بينما كانت توتوتشن والتلاميذ الآخرون متعجبين ومستمعين بانتباه .

واستمر الطفل . وقال :

— ثم .. أوه ..

وهرش رأسه مرة ثالثة

وجلس المدير مراقبا له بصبر وابتسام ويداه متشابكتان على المكتب ثم قال :

— هذا ممتاز ، ويمكن ، أنت استيقظت هذا الصباح ، أنت استطعت أن تجعل كل واحد يفهم ذلك . لاداعى لأن تسلي الناس أو تجعلهم يضحكون حتى تكون متحدثا جيدا .

إن أهم شيء أنك قلت ليس عندك أى شيء تتحدث عنه ثم وجدت شيئا تحدثت فيه . ولكن الطفل لم يجلس وقال فى صوت مرتفع جدا :

— وحيثذ ... أوه

فانحنى التلاميذ جميعا إلى الأمام . ثم تنفس الطفل نفسا عميقا ثم استمر :

— وحيثذ أوه أمى .. أوه ...

قالت :

— فرش أسنانك ... أوه ولهذا فرشت أسنانى .



فصفق المدير وصفق كل التلاميذ أيضا ثم صاح بصوت أعلى من ذي قبل
ثم استمر مرة أخرى .
- وحينئذ ... أوه .

فتوقف الجميع عن التصفيق واستمعوا إليه بأنفاس لاهثة منحنين إلى
الأمام أكثر من ذي قبل . وأخيرا قال الولد مزهوا بالنصر :
- وحينئذ أوه حضرت إلى المدرسة .

واحد من التلاميذ الكبار انحنى إلى الإمام لدرجة أنه فقد توازنه ثم ضرب
وجهه في صندوق الطعام (البنتو) ، ولكن كان كل واحد مسرورا بدرجة عظيمة
لأن التلميذ قد وجد بعض الأشياء ليتحدث عنها .
صفق المدير بشدة وكذلك توتوتشن والآخرون أيضا حتى (وحينئذ

أوه... الذى كان لا يزال واقفاً فى وسطهم صفق مثلهم . فكانت صالة الاجتماعات مليئة بصوت التصفيق .

وحتى عندما يكبر هذا التلميذ فمن المحتمل أنه سوف لا ينسى أبداً صوت هذا التصفيق .

كنا نلعب فقط :

لقد حدث اليوم لتوتوتشن حدث رهيب . وكان ذلك بعد رجوعها إلى البيت من المدرسة عندما كانت تلعب مع روكى لعبة (الذئب) فى حجرتها قبل العشاء .

لقد بدأ بلعبة يتدحرج كل واحد منهما إلى الآخر من جانب مقابل للجانب الآخر من الحجرة وتنتهى بعراك شديد عندما يصطدم كل بالآخر. لقد لعبا هذه اللعبة مرات عديدة ثم قررا أن يحاولا شيئا صعبا قليلا مع أن توتوتشن - طبعاً - هى التى أشارت بذلك . فكرة هذه اللعبة الأخرى : عندما يتقابلان فى وسط الحجرة بعد التدحرج نحو بعضهما فالذى يستطيع أن يقلد وجه الذئب المقترس إلى الآخر هو الذى يكسب الجولة . الكلب روكى كان راعى غنم ألمانى ولهذا لم يكن من الصعب عليه أن يشبه الذئب . كل ما عليه أن ينصب أذنيه ويفتح فمه ويظهر كل أسنانه ويستطيع أن يجعل عينيه أيضا كعيون الوحش فيكون منظره مخيفاً ، ولكن هذا كان صعباً على توتوتشن . إنها تستطيع أن ترفع يديها على جانبي رأسها لتشبه الأذنين وتفتح عينها على قدر ما تستطيع لتكون واسعة وتعمل صوتاً مزجراً وتتظاهر بأنها ستعض روكى .

لعب روكى أولاً مع توتوتشن كأنه كلب صغير فكان جيداً جداً ولكن بعد لحظة نسى أنها لعبة وفجأة عض توتوتشن عضه شديدة . ومع أن روكى

لا يزال صغيرا فقد كان حجمه ضعف حجم توتوتشن علاوة على أسنانه المدببة الحادة . ولهذا قبل أن يتحقق مما حدث كانت أذنها اليمنى قد استرخت من رأسها ونزف الدم منها بشدة فلما سمعت أمها صراخها جاءت مهرولة من المطبخ فوجدتها في ركن من الغرفة مع روكي وقد أمسكت أذنها اليمنى بكلتي يديها وكانت ملابسها ملطخة بالدم وحضر والدها مهزولا وكان يجري بعض القرينات على الكمان في حجرة الجلوس أما روكي فقد تحقق أنه عمل شيئا مربعا فتعلق ذيله بين رجليه خوفا وأخذ ينظر إلى توتوتشن بعطف وحنان .

الشيء الوحيد الذي فكرت فيه توتوتشن هو أنه إذا غضب والدها على روكي طردها من المنزل أو أعطياه لشخص ما وهذا هو الشيء المحزن والمروع كما أن لها دخلا في وقع هذا الحادث . ولهذا فإنها جلست القرفصاء بجانب روكي ممسكة بأذنها اليمنى صائحة مرددة :

- لا تغضبا على روكي ! لا تغضبا على روكي .

لقد كان والدها يريدان أن يعرفا ما حصل لأذنها وحاولا أن يبعدا يديها عن أذنها ، فلم تترك أذنها وصاحت :

- إنها لا تؤلني ، لا تغضبا على روكي ، لا تغضبا .

حقيقة لم تكن توتوتشن تحس بالألم من ذلك الوقت ، وكل الذي كانت تفكر فيه هو روكي .

استمر الدم يتزف من أذن توتوتشن وقد تحقق الوالدان أن روكي قد عضها ولكنها أكدت لها أنها سوف لا يغضبان على روكي وأخيرا أزاحت توتوتشن يديها عن أذنها .

عندما رأت الأم أذن توتوتشن متدلّية صرخت وحملها أبوها إلى دكتور بمصاحبة أمها التي أرشدت إلى الطريق وكانت تعرفه ، ولأنها عولجت بسرعة استطاع الدكتور أن يربط أذنها كما كانت قبل ذلك فارتاح الوالدان لعمل الدكتور ، وكان الشيء الوحيد الذى تهتم به توتوتشن هو: هل الوالدان سيحافظان على الوعد بالآلا يغضبا من روكى ؟

وعادت توتوتشن إلى المنزل وقد ربطت من أعلى رأسها إلى ذقنها مثل الأرنب الأبيض . وبالرغم من الوعد بالآلا يغضبا من روكى فإن الوالد شعر بميل شديد إلى عزل روكى ببعض الطرق ولكن الأم نظرت إليه نظرة كأنها تقول له :

- من فضلك حافظ على وعدك .

فأطاع هذا الرجاء مع التردد .

أسرعت توتوتشن وهولت إلى المنزل مشتاقة لتخبر روكى فى أقرب وقت ممكن أن كل شيء على مايرام وأنه لا أحد غاضب بعد ذلك .

ولكنها لم تجد روكى فى أى مكان . ولأول مرة صرخت توتوتشن إنها لم تصرخ فى عيادة الدكتور لأنها كانت خائفة إذا هى صرخت فإن ذلك سيزيد غضب الوالدين على روكى . ولكن الآن ليس هناك مايقف دموعها ، وكانت وهى تصرخ تنادى :

- روكى.. روكى .. أين أنت ؟

بعد نداءها مرات عديدة رفعت وجهها الذى لطحته الدموع فى ابتسامة عندما بدأ ظهر رمادى مألوف ببطء من وراء الأريكة . وعندما ذهب إلى

توتوتشن لعق الأذن السليمة التي كانت طاهرة من الرباط . فوضعت توتوتشن ذراعيها حول عنق روكي وشمّت داخل أذنيه . لقد كان أبواها يقولان أن أذنيه دائما لها رائحة كريهة إلا أنها بالنسبة لها رائحة مألوفة .

روكي وتوتوتشن كانا متعبين وميالين إلى النوم لقد كانت نهاية الصيف والقمر ينظر من السماء إلى الحديقة وإلى البنت الصغيرة معصوية الرأس وإلى الكلب الذي لا يريد مطلقا أن يلعب لعبة (الذئب) مرة أخرى . وحتى مع ذلك لقد أصبح الاثنان الآن أشد صداقة مما كانا عليه من قبل .

يوم الرياضة :

لقد كان يعقد يوم الرياضة في توموى في اليوم الثالث من نوفمبر من كل عام كما قرر السيد المدير بعد بحث طويل اكتشف منه أن اليوم الثالث من نوفمبر كان هو يوم فصل الخريف الذى فيه تمطر السماء مطرا قليلا . ربما كان هذا طبقا لمهارته في جمع بيانات الجو ، أو ربما لأن الشمس والسحب قد استجابت لأمنيته في عدم نزول المطر حتى لا يشوّه يوم الرياضة وكذلك توقع التلاميذ الذين زينوا أفنية المدرسة في اليوم السابق وعملوا كل أنواع الاستعدادات . على أى الحالات كان هذا . لقد كان تقريبا خارقا للطبيعة أن المطر لم يتزل في ذلك اليوم مما أحدث نوعا من الغرابة عند الجميع .

وكما أن كل أنواع الأشياء كانت تجري في توموى بطريقة مختلفة عنها في أى مكان فكذلك كان يوم الرياضة فيها عديم النظير . وكانت الأشياء التي نتفق فيها مع المدارس الابتدائية الأخرى هي لعبة شد الحبل وسباق الثلاثة أرجل ، وكل الباقي قد اخترع بوساطة المدير لايحتاجون إلى أدوات خاصة أو متقنة فقد استخدموا أشياء المدرسة المألوفة كل يوم .

فثلا كان هناك سباق الشبوط (نوع من السمك) : يعنى (يصنع كيس كبير من القماش على شكل سمكة الشبوط ويطلّى بشكل السمكة) وهو كالليارق التي تنشرها الناس على خشب في أعياد الأطفال - ويبدأ السباق

بالجري قليلا من نقطة الانطلاق بعد سماع إشارة البدء . ثم يدخل الأطفال في الشباييط المقامة في وسط الفناء - من فتحة الفم إلى نهاية الذيل ثم يعودون إلى نقطة الابتداء وفي هذه المسابقة يوجد ثلاثة ألوان من الشباييط أثنان باللون الأزرق والثالث باللون الأحمر . وعند البدء يخرج الثلاثة في وقت واحد . وهذه اللعبة وإن كانت تبدو سهلة إلا أنها في الحقيقة صعبة إذ يدخل الطفل في الشبوط وهو مظلم في الداخل ثم إن الشبوط طويل فمن السهل أن يفقد الطفل الاتجاه الذي يوصله إلى الوسط مرة أخرى .

فتوتوتشن مثلا أخرجت رأسها من فم الشبوط ثم ادخلتها مرة أخرى بسرعة وتكرر هذا مرات . وهذا العمل كان يسر المشاهدين من الأطفال ثم تأتي لعبة البحث عن الأم بعد ذلك .

وتبدأ اللعبة بالانطلاق جريا عند سماع إشارة البدء نحو سلم من الخشب مرتكز على جانبه ثم يزحفون في خلاله بين درجاته ثم يأخذون ظرف خطاب من سلة ويفتحون الظرف ويقرءون ما في الخطاب الداخلي ومعين في هذه الورقة اسم والددة أحد التلاميذ فثلا يكون مكتوبا اسم والددة سأكوتشن فعلى التلميذ أن يبحث عن هذا الاسم بين المشاهدين ثم يأخذ يدها ثم يذهبان سويا إلى خط الانتهاء وعلى التلميذ أن يسهل حركة نفسه خلال السلم بطريقة رشيقة كالقطة حتى لا يعلق ردفه بالسلم . وبجانب ذلك . ربما يعرف أحد الأولاد أم سأكوتشن جيدا ولكن إذا كان المكتوب في الورقة الآنسة أخت الأستاذ أوكوا أو أم الأستاذ شوى ، أو ابن الأستاذ كونيورى ولا يعرف هؤلاء الأشخاص فلا بد أن يذهب إلى المشاهدين وينادى بصوت عال :

- أخت الأستاذ أوكوا وهذا يحتاج إلى شجاعة . فالأولاد المحظوظون الذين

وجدوا أمهاتهم سيقفزون هنا وهناك صائحين :

- أمى . أمى . تعالى بسرعة .

والمشاهدون أيضا يجب أن يكونوا متيقظين لهذه الحركة فليس عندهم معرفة متى ينادى عليهم وسيكون النداء عليهم فجأة فيجب أن يكونوا مستعدين أن يقفوا من مقاعدهم أو من الحصير الذى يجلسون عليه ثم يعتدرون ثم يأخذون طريقهم سريعا إلى المكان الذى ينتظر فيه الطفل وتأخذ يده ويحريان سوبا . ولهذا عندما يأتى طفل أمام الكبار حتى الآباء فإنهم يجلسون أنفاسهم متطلعين إلى من سينادى عليه . لاوقت للكلام ولا للأكل فكأنهم يشتركون مع الأطفال فى اللعبة .

وفى لعبة شد الحبل يشترك المدير والمدرسون مع التلاميذ عندما ينقسمون فريقين ثم يشد كل فريق صائحين بينما الأطفال المعوقون مثل ماسواكى تشن . الذين لا يستطيعون شد الحبل عليهم أن يراقبوا فقط المندبل المربوط فى وسط الحبل ليروا الفائز فى اللعبة مثل حكام المباراة .

واللعبة الأخيرة كانت لعبة سباق التناوب وهى تختلف فى توموى عنها فى المدارس الأخرى يشترك فيها جميع المدرسة .

لا يجب أن يجرى أحد بعيدا جدا ، بل كل ما يجب عليه أن يجرى أعلى وأسفل فى دوران نصف دائرى ليصعد درجات سلم المدرسة المبنى من الأسمنت الذى يوصل إلى صالة الاجتماعات . لأول وهلة يبدو أن ذلك سهل ، ولكن درجات السلم كانت على غير العادة منخفضة وملصقة بجانب بعضها ولم يكن مسموحا لواحد أن يصعد أكثر من درجة واحدة ولذلك كان هذا صعبا جدا وخصوصا إذا كان الواحد طويلا وأقدامه كبيرة . ومع العلم فإن

هذه الدرجات أصبحت مألوفة للتلاميذ كل يوم يصعدون عليها وقت الغداء ولكنها في يوم الرياضة كانت شيئا جديدا ومضحكا ، وجرى الأطفال أعلى وأسفل هذه الدرجات صائحين مسرورين .

ويبدو المشهد منظرا جميلا لأى إنسان ينظر من بعيد وعدد درجات السلم ثمانى درجات .

وكان هذا اليوم الرياضى هو الأول من نوعه لتوتوتشن وزملائها وكان الجو لطيفا تماما كما تمنى السيد المدير ، وقد بدا اليوم كأنه عيد لما قام به التلاميذ في اليوم السابق من تزيين المدرسة بالسلاسل الورقية والنجوم الذهبية وتسجيلات الفوغراف للمارشات الموسيقية التى توقظ انتباه الناس .

ولقد كانت توتوتشن تلبس سروالا بحريا أزرق وبلوزة بيضاء مع أنها كانت تفضل أن تلبس سراويل خاصة بالألعاب الرياضية لأنها أصبحت طويلة ويمكن أن تلبسها . في يوم من الأيام بعد المدرسة كان المدير يعطى درسا في فن الإيقاع لبعض مدرسى رياض الأطفال ، وقد رأت توتوتشن بعض النساء يلبسن هذه الملابس الخاصة بالألعاب الرياضية فأعجبتهما والذي جذب توتوتشن لهذه الملابس هو أن النساء عندما ضرن بأقدامهن على الأرض اهترت أفخاذهن تحت هذه الملابس مثل طريقة الكبار المحبوبة .

جرت توتوتشن إلى المنزل وأخرجت سراويلها ثم لبستها ثم ضربت على الأرض ولكن أفخاذها الرفيعة لم تهتر مطلقا ، وبعد المحاولة مرات عديدة توصلت توتوتشن إلى السبب . إنه كان بسبب ارتداء هؤلاء النسوة هذه الملابس . فسألت أمها عن ذلك فقالت لها :

لأن هذه الملابس ملابس الألعاب الرياضية ، فأخبرت أمها أنها كانت

تريد أن تلبس هذه الملابس في يوم الرياضة فأخبرتها أنهم لم يجدوا أيا من هذه الملابس في حجم صغير ، وهذا هو السبب في أنها ذهبت إلى الحفل بهذه الملابس القصيرة التي لا تنتج هز الأفخاذ للأسف .

لقد حدث شيء عجيب في يوم الرياضة . لم يكن من المعتقد أبدا أن الطفل ناكاهاشي ذا الذراعين القصيرتين والرجلين الصغيرتين وأصغر التلاميذ في المدرسة يكون الأول في كل شيء .

فبينما كان التلاميذ الآخرون لا يزالون يتسللون إلى داخل الشبوط كان ناكاهاشي في داخله في لحظة ، وعندما كانت رموس الآخرين في خلال السلم فقط كان هو فعلا خارجا عنه ومتقدما كثيرا من الباردات إلى الأمام ، وبخصوص الصعود على درجات السلم إلى صالة الاجتماعات ، بينما كان الآخرون يتفاوضون بغلظة على درجة واحدة في المرة كانت رجلا ناكاهاشي القصيرتين تتحركان مثل مكبس الطلمبة وكان في أعلاها في دفعة واحدة ثم أسفلها مرة أخرى مثل الصور المتحركة بسرعة . لقد قالوا جميعا :

– لقد حاولنا أن نهزم ناكاهاشي . لقد صمموا أن يهزموه وقاموا بكل ما في وسعهم ولكن ناكاهاشي فاز في كل مرة . لقد حاولت توتوتشن أيضا ولكنها لم تتمكن أبدا أن تهزمه .

إنهم يستطيعون أن يسبقوه على الطريق جريا ولكنهم خسروا في الأشياء الصعبة لقد ذهب ناكاهاشي ليجمع جوائزه سعيدا مفتخرا ، ولقد كان الأول في كل شيء ولهذا فإنه تسلّم جائزة بعد جائزة وجميعهم ينظرون إليه حسدا وقال كل واحد :

– أنا سأهزم ناكاهاشي في السنة القادمة .

ولكن تاكاهاشى كان الفائز كل عام وصار نجم الرياضة .

وكانت الجوائز طبق الأصل من جوائز المدير . الأولى فجلة كبيرة ، والثانية جذور أرقطيون (نبات شائك) ، والثالثة حزمة من الاسفاناخ ، ودالما كانت الجوائز أشياء مثل ذلك ، حتى إلى أن كبرت توتوتشن كانت تظن أن كل جوائز المدارس من الخضروات . فى تلك الأيام كان كثير من المدارس يعطى كراسات وأقلام وأساتيك جوائزاً للفائزين ولم يكن يعرف أطفال توموى ذلك ولكنهم كانوا غير سعداء بالخضروات . فثلاً كانت توتوتشن حائرة كيف تحمل فى القطار جوائزها من جذور الأرقطيون وبعضاً من البصل وكل تلاميذ توموى أعطوا جوائز للمهارات المختلفة ولهذا فى نهاية اليوم الرياضى كان كل الأطفال يختارين كيف يذهبون إلى البيوت بالخضروات ولايتذكر واحد منهم أن أمه أرسلته ليشترى خضروات أبداً وقد أحسوا على ما يبدو أن منظرهم سيكون شاذاً وهم يحملون الخضروات إلى المنزل من المدرسة . لقد احتار تلميذ بدين ماذا يفعل بالكربة التى فاز بها وقال :

— لا أحب أن يرانى الناس حاملاً هذه وأظن أنه من الأفضل أن أرميها .

ويظهر أن المدير قد سمع شكائهم عندما ذهب إليهم بجوائزهم من الجزر والفجل والأشياء الأخرى ، فسألهم :

— ماهى الحكاية ، ألا تريدونها ؟

ثم استمر :

اطلبوا من أمهاتكم أن يطبخن لعشاءكم باللبل . إنها خضروات قد اكتسبتموها بأنفسكم . لقد أحضرتكم طعاماً لأسرتكم بجهدكم . كيف ذلك ؟ أنا أراهن أن طعامها جيد .

بالطبع ، كان صحيحا ، إنه كان أول مره فى حياة توتوتشن مثلا لتحضر
أى شىء للعشاء . ولذلك فقد أنجرت المدير :

- سأطلب من أمى أن تعمل أرقطيون عطرى ، ولم أقرر بعد ما سأطلب
منها أن تعمل بالبصل . وقال الآخرون نحن نفكر فى ألوان الطعام أيضا
وأخذوا يصفونها للمدير .

قال المدير بسعادة وقد احمرت خدوده :

- حسنا ، لقد فهمتم الفكرة .

ربما كان يفكر أن هذا سيكون لطيفا عندما يأكل الأطفال وعائلاتهم
الخضروات بينما يتحدثون عن حوادث يوم الرياضة . بلا شك إنه كان يفكر
خصوصا فى تاكاهاشى الذى ستردحم مائدة عشائهم بالجوائز الأولى ومتعنيا أن
الطفل سيتذكر عزة نفسه وسعادته بفوزه بالجوائز الأولى قبل أن تنمو غريزة
مركب النقص فى نفسه بينما الحقيقة أن جسمه سوف لا يكبر .

وربما - من يدرى - أن المدير قد فكر أن تاكاهاشى سوف يكون الأول
دائما فى لعب نظام توموى الفريدة .

إسّا كوياباشى الشاعر :

لقد كان الأطفال يحبون أن يطلقوا على السيد المدير بعض الأسماء مثل :

- إسّا كوياباشى .

وحتى قد آلف البعض الشعر العاطفى نحوه مثل :

- إسّا كوياباشى .

شيخنا الكبير .

برأسه الصلعاء

وكان هذا لأن اسم عائلة المدير كان « كوياباشى » نفس اسم الشاعر المشهور فى القرن التاسع عشر « إسّا كوياباشى » صاحب الشعر المسمى (هايكو) والذى كان يحبه السيد المدير ويقتبس منه غالباً ، وقد أحس الأطفال كما لو كان (إسّا كوياباشى) صديقاً لهم مثل مديرهم السيد سوساكو كوياباشى .

وكان السيد المدير يحب نظام شعر إسّا كوياباشى لأن هذه الطريقة كانت حقاً تتفق مع واقع الحياة ، وعندما يكون هناك آلاف من أشعار (الهايكو) فإن إسّا يخلق عالماً من تأليفه بحث لا يستطيع إنسان أن يقلده . ولقد أعجب المدير بأشعاره ذات الأسلوب البسيط الذى يتفق مع الأطفال ، ولهذا كان فى

كل مناسبة يعلم تلاميذه أشعارا من شعر إسّا يمكن أن يتعلموها بقلوبهم
وشعورهم مثل :

- أيها الضفدع الهزيل ، لاتستسلم ، هنا إسّا معك .

- يافراخ العصافير ، افسحى الطريق ، لمرور الحصان .

- لاتضرب الذباب ، يلوح بيديه وقدميه ، يلتمس رحمتك .

وقد لحن المدير مرة لحنا لأغنية وقد غناها الجميع .

- تعال العب معي ، أيها العصفور اليتيم .

ومع أن درس الهايكو- هذا النظم من الشعر- لم يكن ضمن بروجرام
المدرسة الرسمي فإن المدير كان كثيرا ما يدرسه للتلاميذ . أو الهايكو عبارة عن
قالت شعري ياباني تتألف القصيدة فيه من سبعة عشر مقطعا ويبدأ بخمسة
مقاطع ثم سبعة ثم خمسة وكان إسّا هو أبرز الشعراء في هذا القالب .

وأول مجهود لتوتوتشن عندما أرادت أن تقرض شعر الهايكو وصفت
(نوارا كورو) صاحب السجية الضاحكة المحبوبة لها وهو كلب أسود ضال من
أبطال إحدى قصص الأطفال انضم إلى الجيش من نفسه وبالتدريج اكتسب
ترقية بالرغم من العلو والانخفاض في سجيته ، ولكنه ترك الجيش وهاجر بعيدا عن
القارة .

لقد قال المدير للتلاميذ :

- حاولوا أن تقرضوا شعرا من الهايكو رفيعا ومستقيما عن أى شيء يكون
في تفكيركم . إنكم لاتستطيعون أن تحسبوا أن ما قالت توتوتشن من الهايكو

المنتظم ولكنه يعبر عن نوع الشيء الذى أثر فيها فى تلك الأيام . إن شعرها (الهابكو) لا يتفق تماما مع المطلوب ٥ - ٧ - ٥ بل إنه ٥ - ٧ - ٥ ، وقد كان واحد من شعر إسّا عن فراخ العصافير باللغة اليابانية ٥ - ٨ - ٧ ولهذا توتوتشن فكرت أنه يمكن أن يكون هكذا . فى أثناء سير الأطفال إلى معبد كوهنبسوا أو عندما تمطر السماء ولا يستطيعون اللعب خارج الأبواب ويجمعون فى صالة الاجتماع يقوم توموى إسّا كوياباشى بالحديث عن الهابكو ، وكان يستخدم فى تصوير أفكاره عن الحياة والطبيعة . بعض أشعار إسّا ربما كتبت خصوصا لأجل توموى .

- يذوب الثلج ، وفجأة تمتلئ القرية بالأطفال (إسّا) .

شيء غامض :

لقد وجدت توتوتشن بعض النقود لأول مرة في حياتها عند ركوبها القطار راجعة إلى المنزل من المدرسة . لقد ركبت قطار أويماثشي من جيواؤكا ، وقبل أن يصل القطار المحطة التالية (ميدوريغاؤكا) كان هناك في طريق القطار منحني عنيف يجعله ينحني بدرجة عنيفة وبصوت شديد ، وكان عليها أن تشد قدميها حتى لا تفقد توازنها ، وكانت دائما تقف بجانب الباب الأيمن في مؤخرة القطار متوجهة نحو الجهة التي يسير فيها القطار ، وكان وقوفها في هذا المكان لأن الرصيف عند المحطة التي ستزول فيها كان على ناحية اليد اليمنى وكان هذا الباب أقرب إلى سلم الخروج وأيضا تستطيع النزول فورا عند وصول القطار ووقوفه في المحطة ولأنه يفتح إلى اليمين . في ذلك اليوم عندما كان القطار ينحني في المنحنى السالف الذكر توتوتشن لاحظت شيئا يشبه النقود قرب قدميها ، وكانت قد التقطت قبل ذلك شيئا ظنته نقودا ولكنها وجدته زرا ، ففكرت في هذه المرة أن تدقق النظر لتأكد من هذا الشيء ، وعندما سار القطار مستقيما بعد هذا المنحنى خفضت رأسها ثم نظرت بعناية وكان هذا الشيء قطعة نقود من فئة الخمسة سنتات فظنت أن هناك بعض الناس قد وقعت منه هذه القطعة ثم تدرجت إليها عند انحناء القطار ، ولكن لم يكن هناك أحد قريبا من توتوتشن فتعجبت وقالت :

– ماذا أفعل ؟

وفي الحال تذاكرت أنها سمعت بعض الناس يقول :
– إذا وجدت نقودا فإنه يجب عليك أن تسلمها إلى رجل البوليس ولكن
لم يكن في القطار رجل البوليس . هل هو هناك ؟!

وفي نفس الوقت فتح كمسارى القطار العربة التي تركب فيها توتوتشن
ودخل ولم تدر ماذا حملها على أن تضع رجلها اليمنى على قطعة النقود –
الخمس سنات – ولأن الكمسارى يعرفها ابسم لها ، ولكنها لم تستطع أن ترد له
الابتسامة من قلبها لأنها كانت تشعر بإثم وضع قدمها على قطعة النقود ، وكل
ما استطاعته كان تقطية فاترة .

في هذه اللحظة وصل القطار إلى محطة أوكاياما وهي التي قبل محطتها التي
ستنزل فيها ، ثم فتحت الأبواب التي على الجانب الأيسر فاندفع للركوب عدد
كبير من الناس ودفعوا توتوتشن وانحشرت بينهم ولم يكن عندها استعداد أن
تحرك قدمها اليمنى ولكنها بقوة استطاعت أن تثبتها ، وفي أثناء ذلك فكرت في
خطة :

– عندما تنزل من القطار ستأخذ هذه القطعة وتعطيها للبوليس ، وهناك خطة
أخرى طرأت لها : لوراها أحد الناس الكبار وهي تأخذ قطعة النقود من تحت
قدمها فربما يظنون أنها سارقة . في تلك الأيام تستطيع أن تشتري بخمسة سنات
باكوصغيرا من الكراملة أو إصبعيا من الشكولاته ، ولهذا فيينا لايعتبر هذا المبلغ –
الخمس سنات كبيرا بالنسبة للكبار فإنه يعتبر مبلغا كبيرا بالنسبة لتوتوتشن ولذا فإنها
صارت قلقة لأجل هذا الأمر . وقالت في نفسها :

– يمكن أن أقول بهدوء : آه ، لقد سقطت منى بعض النقود ، يجب أن

آخذها وحيثذ يعتقد كل واحد أنها ملكى .

ولكن فى الحال خطرت لها فكرة أخرى :

— ماذا أفعل إذا قلت ذاك ثم نظر الناس إلى وانبرى واحد منهم ليقول :
إنها ملكى أنا ؟ ماذا أفعل ؟

وبعد أن ادارت أوجه الرأى قررت أن تجلس القرفصاء عندما يقترب
القطار من محطتها وتتظاهر أنها تربط حذاءها ثم تأخذ قطعة النقود سرا .
وقعلت ذلك ، وعندما نزلت إلى الرصيف شعرت بالتعب والانهاك وتصببت
عرقا ، وفكرت لو ذهبت إلى كشك البوليس فإنها ستتأخر فى رجوعها إلى أمها
وستقلق عليها حيث أن كشك البوليس بعيد . ولكنها بعد تفكير كثير فى أثناء
نزولها سلم المحطة قررت أن تضع هذه القطعة من النقود فى مكان خفى ثم
تأخذها فى غد إلى المدرسة وتسأل كل واحد عن رأيه فيها ، ويجب أن تعرضها
عليهم بأى طريقة لأنه ليس هناك واحد آخر قد وجد نقودا قبل ذلك .

لقد تحيرت أين تخفى هذه النقود ؟ إذا أخذتها إلى المنزل فرما تسألها
أمها عنها . ولهذا فإنه يجب أن تخفى فى مكان آخر . تسلفت توتوتشن داخل غابة
كثيفة قريبة من المحطة . لا يمكن أن يراها أحد هناك ولا يبدو أن أحدا يدخل فيها ،
ولهذا فإن هذا المكان يبدو لطيفا وآمنا ، فحفرت حفرة صغيرة بعضا ثم أسقطت
هذه القطعة الثمينة من النقود فيها وغطتها بالتراب ثم وضعت حجرا غريب الشكل
عليها كعلامة ثم جرت بسرعة كبيرة إلى البيت .

فى أغلب الليالى كانت تبقى مدة طويلة تتكلم عن المدرسة حتى تعلن
أمها :

- إنه وقت النوم فادهبي إلى سريرك .

ولكن في تلك الليلة لم تتكلم كثيرا وذهبت للنوم مبكرة . وفي الصباح التالي استيقظت وهي تشعر أن هناك شيئا مهما بدرجة عظيمة يجب أن تقوم به ، وكانت سعيدة عندما تذكرت فجأة كنزها المخفى . فتركزت البيت مبكرة أكثر من المعتاد وسابت روكى - الكلب - إلى الغابة ثم زحفت إلى الداخل :

- إنها هنا .. إنها هنا !

لقد كان الحجر الذى وضعته علامة كما تركته تماما .

قالت لروكى :

- إنى ساريك شيئا ظريفا .

ثم حركت الحجر وحفرت بعناية ، ولكن لشدة الغربة لم تظهر قطعة النقود . إنها لم تكن هكذا مندهشة . هل رآها أحد وهي تخفيا أو تحرك الحجر ؟ ثم حفرت مساحة كبيرة ولكن لم تجد القطعة أبدا . لقد كانت مكتبة لأنها لم تكن قادرة على أن تريها لأصدقائها فى المدرسة ولكن الأكثر من ذلك أنها لم تستطع أن تكتشف السر فى ذلك . وكانت كلما مرت فى هذا المكان دخلت تلك الغابة وحفرت ولكنها لم تعثر عليها أبدا . طالما فكرت :

- ربما أخذتها الفأرة العمياء

أو :

- ربما كنت أحلم .

أو :

- ربما رأى الله وأنا أخفيها .

ولكن مهما يكن تفكيرها فإنه كان غريبا جدا حقا . إنه كان أمرا غامضا
لا يمكن أن تنساه .

محادثة بالأيدي :

في مساء يوم قريبا من بوابة الغابة في محطة جيوغاؤكا كان يقف سوريا ولدان يكبران قليلا عن توتوتشن وبنت واحدة ويبدو أنهم كانوا يلعبون لعبة يابانية (الحجر والورق والمقص) وهذه اللعبة تؤدي بالأيدي . وقد لاحظت توتوتشن أنهم كانوا يعملون إشارات كثيرة بأصابعهم أكثر من المعتاد . لقد بدا هذا غريبا . ذهبت توتوتشن قريبا منهم لتنظر بدقة ماذا يفعلون :

لقد بدا أنهم يتحدثون من غير صوت . واحد يعمل إشارات كثيرة بيديه ويقوم شخص آخر كان مراقبا لها في الحال بعمل إشارات مختلفة أكثر ويعمل الثالث إشارات أقل ثم ينفجر الجميع ضاحكين من غير صوت كبير وكان يبدو أنهم يمتعون أنفسهم بالحديث ، وبعد مراقبتهم بعض الوقت تأكدت توتوتشن أنهم كانوا يتحدثون بأيديهم . فحسدتهم على ذلك وقالت :

- أنا أود لو أستطيع الكلام بيدي أيضا .

أرادت توتوتشن أن تذهب وتنضم إليهم ولكن لاتعلم كيف تسألهم بيديها ، وعلاوة على ذلك فإنهم ليسوا تلاميذ توموى ولهذا ربما يكون ذلك من الوقاحة ، ولكنها ذهبت لمراقبتهم فقط حتى صعدوا إلى رصيف قطار تويوكو . فقررت في نفسها :

- فى بعض الأيام سأذهب لأتعلّم كيف أتحدّث إلى الناس بيدي .

ولكنها لم تكن تعلم بعد عن الناس الصم أو أن هؤلاء الأطفال قد ذهبوا إلى مدرسة الصم البكم فى أويما تشى فى المحطة الأخيرة للقطار الذى تركبه كل يوم .

لقد فكرت توتوتشن فقط أنه كان هناك شيء جميل فى الطريقة التى كان الأطفال ينظرون بها إلى أصابع أيديهم بعيون لامعة ثم أرادت أن تصادقهم يوماً ما .

معبد سنغا كوجي :

لقد كان نظام كوياباشي في التعليم نظاما فريدا ولكنه كان متأثرا إلى حد كبير بالأفكار الأوربية والبلاد الأجنبية الأخرى كما نرى من فن الإيقاع في توموي والعادات عند الأكل والسهر في المدرسة والغناء عند تناول الغداء الذي كان ينشده التلاميذ على طراز جلف وجلف . جلف زورقك الذي اقتبس من الإنجليزية والأشياء الأخرى من هذا القبيل - وقد كان الأستاذ ماروياما وكيلا للأستاذ كوياباشي كالوكيل في المدارس العادية . وكان نقيضا للأستاذ كوياباشي في طرق كثيرة مثل اسمه الذي يعنى باليابانية (التل الدائري) فقد كان رأسه مستديرا تماما وليس فيه شعر إلا خصلا بيضاء في مستوى أذنيه ، ويلبس نظارة مستديرة وكانت حدوده حمراء لامعة ، وكان لا يختلف تماما عن الأستاذ كوياباشي في ذلك فقط بل في اعتياده ترتيل الشعر الصيني القديم الذي كان يرتله بصوت جليل وقور حتى كانت قراءته لهذا الشعر مشهورة بين التلاميذ وإن كانوا يسمعونهم محرفا ويفهمونه بطريق الخطأ فثلا كلمة (بينسي معناها في أغنيته : صوت الضرب) والأغنية : بينسي يعبر النهر في الليل ساكنا .

يحرفها الأطفال مثل توتوتشن فيقولون :

بينكي يعبر النهر في الليل باكيا .

وينكى هذا قسيس مشهور والأغنية بوصفها المحرف توحى بالحزن وفي صبيحة اليوم الرابع عشر من ديسمبر عندما اجتمع التلاميذ في صالة المدرسة أعلن السيد ماروياما الاعلان التالى :

- فى هذا اليوم ، تقريبا منذ قرنين ونصف انتقم سبع وأربعون ساموراي من العدو وقتلوه ثم انتحروا ودفنوا في معبد سنغاكوجى ، ولذا ستزور هذا المعبد على الأقدام لتقديم احتراماتنا لقبورهم . ولقد أخبرت أمهاتكم بذلك . ولم يعترض المدير على خطة السيد ماروياما ، ولم يعرف الآباء ماذا كان تفكير السيد كوباياشى في ذلك ولكنهم عرفوا أنه مادام لم يعترض فكأنه موافق عليه وأن البحث في زيارة أطفال توموى لمقابر السبعة والأربعين ساموراي يعتبر دسيسة . وقبل أن يذهب الأطفال أخبرهم السيد ماروياما قصة هؤلاء السبعة والأربعين ساموراي المشهورين وكيف أن رجال اللورد أسانوا الشجعان المخلصين ال ٤٧ تأمروا حوالى سنتين ليثأروا لشرف رئيسهم الذى مات . وكيف أنه ظلم بدرجة محزنة .

وعلاوة على هؤلاء السبعة والأربعين ساموراي كان هناك تاجر شجاع أمدهم بالسلاح اسمه (ريشى أمانويا) وعندما قبض عليه موظفوا الملك (شوجون) أعلن :

- أنا ريشى أمانويا ، أنا رجل .

ورفض أن يعترف أو يعطى سرا واحدا . لم يفهم الأطفال كثيرا من هذه القصة ولكنهم كانوا متضايقين من فوت دروسهم والذهاب مشيا على الأقدام إلى مكان بعيد كثيرا عن معبد كوهنيتسو ومعهم طعام الغداء .



وبعد الاستئذان من المدير والاساتذة الآخرين بدأ الأطفال الخمسون الرحلة يقودهم السيد ماروياما وهم في صف واحد . وكان صوتهم يسمع هنا وهناك محتجين ، أنا ، ريهي أمانويا ، أنا رجل) وكذلك البنات احتججن مما دعا المارة إلى أن يديروا رءوسهم ويضحكوا . لقد كانت المسافة إلى سنفاكوجي حوالى سبعة أميال ولكن السيارات نادرة ، والسماء صافية في ديسمبر ، واستمرار الأطفال في تكرار القول (أنا ريهي أمانويا رجل) كل ذلك جعل الطريق لا يبدو طويلا .

وعندما وصل الأطفال إلى سنفاكوجي أعطى الأستاذ ماروياما . لكل تلميذ عودا من البخور وقليلًا من الزهور . هذا المعبد أصغر من معبد كوهينتسو ولكن هناك كثير من القبور في صف واحد .

وعندما عرفت توتوتشن أن هذا المكان مقدس لذكرى السبعة والأربعين

ساموراي أحست بالخشوع ثم قدمت أعواد البخور والزهور ، ثم انتشر الهدوء
والخشوع بين الأطفال ولم يكن ذلك من عادة أطفال توموى وارتفع دخان
أعواد البخور التي وضعت أمام القبور ورسمت صوراً في السماء لوقت طويل
جداً .

ومنذ ذلك اليوم أصبحت رائحة أعواد البخور تذكر توتوتشن بماروياما
وريهي أمانويا وينيكي ورائحة الهدوء العطرية .

ربما لم تفهم الأطفال كل ما قيل عن السبعة والأربعين ساموراي .

- لكن لأن الأستاذ ماروياما تكلم عنهم بحس قوى فإن الأطفال شعروا
باحترامه وحبه مثل الأستاذ كوباياشي على ما بينهما من اختلاف . وقد أحببت
توتوتشن عينيه الصغيرتين اللتين تنظران من خلف عدسات نظارته السمكية
وصوته الحنون الذي بدا كأنه لا يتلاءم مع هذا الجسم الكبير .

هذا وقد قرئت إجازة رأس السنة .

ماساؤتشان :

لقد تعودت توتوتشن في طريق ذهابها وعودتها من المحطة أن تمر بمنزل يقطن فيه كوريون وبالطبع هي لاتدري أنهم كوريون ، والشئ الوحيد الذي تعرفه عنهم أنه كان هناك امرأة تفرق شعرها من الوسط وتربطه من الخلف على شكل كعكة وكانت ممثلة قليلاً وتلبس حذاء أبيض من المطاط رفيعاً من الأمام مثل الزورق كانت تلبس جونلة طويلة بشريط معقود على صدرها فوق البلوزة القصيرة ، وكانت دائماً تبدو باحثة عن ولدها بصوت مرتفع « ماساؤتشان » وكانت دائماً منادية باسمه ولكن بطريقة تخالف طريقة اليابانيين وكان صوتها يوحى بالحزن لتوتوتشن .

لقد كان هذا المنزل يقع على جسر مطل على خط حديد أو يمانشى وكانت توتوتشن تعرف هذا الطفل ماساؤتشن وكان أكبر قليلاً منها ويحتمل أن يكون في الصف الثاني في المدرسة ولكنها لم تكن تعرف في أى مدرسة هو ، وكان له شعر غير مرتب ، ودائماً يرافقه كلب . وذات يوم كانت توتوتشن تسير إلى المنزل فمرت بهذا الجسر وكان ماساؤتشن يقف على قمة الجسر وقدمه على جنب ويداه في وسطه في وضع كوضع المتكبرين وكأنه قاطع طريق فصاح إلى توتوتشن « كورية » وكان صوته حاداً ومملوئاً بالكراهية . فخافت منه ودهشت لأنها لم تفعل أى شئ له ولم تتكلم معه ولهذا كانت مذعورة عندما نزل إليها

من فوق الجسر بمثل هذه الطريقة الحقودة .

وعندما ذهبت إلى المنزل أخبرت أمها بذلك وقالت لها إن ماساوتشن ناداني كورية . فلما سمعت الأم ذلك وضعت يدها على فمها ورأت توتوتشن عينيها وقد ذرفت منها الدموع فاضطربت توتوتشن وظنت أنه لابد أن يكون هناك شيء سيء بينا الأم لم تكفكف من دموعها واستمرت في بكائها حتى احمرت أرتبة أنفها ثم قالت دون أن تسمح دموعها :

- ولد مسكين يدعو الناس دائما كوري كوري حتى ظن أنها كلمة رديئة ربما هو لم يعرف معنى هذه الكلمة لأنه لا يزال صغيرا . هو يظن أنها تشبه كلمة مغفل تلك التي يقولها الناس عندما يريدون أن يقولوا : أنت مغفل . ربما كان هناك من قال له : كوري فظن أنها شتمة ولا بد أن يرد ببعض الكلمات الرديئة عليه أيضا ، ولهذا هو ناداك كورية . لماذا يكون الناس قاسين هكذا .

جففت الأم دموعها ثم قالت لتوتوتشن ببطء شديد

- أنت يابانية وماساوتشان أتى من بلد آخر يدعى كوريا ولكنه طفل مثلك تماما . ولهذا توتوتشن ياعزيزتي ، لاتظني أبدا أن الناس مختلفون ، لاتظني أن هذا ياباني وهذا كوري . كوني لطيفة مع ماساوتشن .

إنه من المحزن أن يظن بعض الناس أن الآخرين ليسوا ظرفاء فقط لأنهم كوريون لقد كان هذا صعبا على توتوتشن أن تفهمه ، ولكن مافهمته هو أن ماساوتشن ولد صغير يتكلم الناس إليه كلاما رديئا من غير أي سبب ، ولعل هذا هو السبب الذي جعل أمه دائما تبحث عنه وتقلق عليه . ولهذا في صباح اليوم

التالى عندما مرت بالمتزل الذى يقطن فيه الكوريون وسمعت أمه تنادى عليه بصوت مرتفع (ماساؤتشان) بصوتها الخاد تعجبت أين يكون ؟ وفكرت أنها ولو لم تكن كورية فإنها سترد عليه إذا ناداها كورية بقولها :

— نحن كلنا أولاد ، نحن كلنا متساوون . وستحاول أن تتصادق معه .

على كل حال فإن صوت أم ماساؤتشن بمافيه من انفعال وقلق وصفات أخرى خاصة به يبدو وقد أبطأ فى الهواء لمدة طويلة حتى يغطى عليه صوت القطار الجارى .

(ماساؤتشان)

إذا سمعت هذا الصوت الباكي مرة فسوف لانتساه أبدا .

صفيرتا الشعر الطويلتان :

في ذلك الوقت كانت توتوتشن تطمح إلى شيئين ، أولهما أن تلبس سروالاً نسائياً خاصاً بالرياضة وهو الذى رآته في يوم الرياضة ، والثانى أن تضفر شعرها . وقد قررت ذلك عندما رأت تلميذات المدارس الكبيرات في القطار وقد ضفرن شعورهن ، بينما كانت شعور البنات الصغيرات في فصلها قصيرة بقصة مستقيمة فوق جبينهن فإن توتوتشن كان شعرها طويلاً مصفداً إلى جانب الرأس ومربوطاً بشرط حسب ما أحببت أمها وعلاوة على ذلك فإن توتوتشن أرادت أن ينمو هكذا لتعمل صفيرتين .

وأخيراً في يوم من الأيام جاءت إلى أمها لتضفر لها شعرها في صفيرتين صغيرتين محكنتين في نهايتها بعصابتين من المطاط ومربوطتين بشرطين رشيقيين وأحسّت كأنها تلميذة أكبر . وعندما نظرت إلى نفسها في المرآة تحققت أنها مخالفة للبنات في القطار لأن صفيرتها ريفعتان وقصيرتان وتشبه حقيقة الصفائر الطويلة ولكنها جرت إلى الكلب روكى ثم رفعتها أمام عينيه بفخر واعتزاز ليراهما فرمش روكى مرة بعينه أو مرتين . فقالت :

- أود لو استطعت أن أضفر شعرك أيضاً .

وعندما ركبت القطار أمسكت برأسها على قدر ما تستطيع ليظل هادئاً

ساكننا خوفا على صغيرتها أن يتلفا وفكرت :

كيف يكون الأمر لطيفا إذا لاحظتها واحد من الناس في القطار ثم قال :
ما أجمل صغيرتها . إلا أن أحدا لم يقل ذلك كيفما كان الأمر فإنها عندما
وصلت إلى المدرسة ميوتشن وساكوتشن وكيكوتشن ، وكن في فصلها .
صحن وقلن في نفس واحد :

- أوه صغيرتان !!

فكانت مسرورة جدا وتركتها للبنات يلمسها .

لم يبد أحد من الأولاد أى تأثير بذلك ولكنهم جميعا فوجئوا بعد الغداء
بعد أن أعلن ولد اسمه أوى من فصلها بصوت عال قائلا :

- واو ، توتوتشن جاءت اليوم بتسريحة جديدة .

سرت توتوتشن لترى واحدا من الأولاد لاحظ ذلك ثم قالت بافتخار :

- إنها صغيرة .

اقترب الطفل أوى منها ثم أمسك بصفائرها بكلتا يديه ثم قال :

- أنا متعب ، أظن أنني سأعلق بهذه الصفائر ، لأنها أفضل بكثير من
علاقات القطار .

ولكن لم يكن هذا هو نهاية مضايقاتها فلقد كان أوى في حجم ضعف
حجم توتوتشن الهزيلة وفي الحقيقة إنه كان أكبر وأضخم تلميذ في الفصل ،
ولهذا فإنه عندما جذب صفائرها تمايلت ثم وقعت وارتطم ردفها بالأرض ،

وقد كان يكفيا ألما لو أن أوى جذبها من يديها ليساعدها على الوقوف من غير ان يحرها على الأرض ولكنه عندما حاول أن يوقفها شدها من ضفائرها بقوله (هب) هو مثل يوم الرياضة فانفجرت توتوتشن بالبكاء . ولقد كانت ضفيريها رمز البنت أكبر ولذلك توقعت أن يكون كل واحد مؤدبا معها بسببها . جرت توتوتشن باكية إلى مكتب المدير وعندما سمعها تدق على الباب منتحبة فتح الباب ثم انحنى كالعتاد حتى كان وجهه في مستوى وجهها ، ثم سألها :

- ماذا حدث ؟

بعد أن تأكدت توتوتشن أن ضفيريها لاتزالان كما كانتا منتظمتين قالت :

- لقد جلبها أوى وقال هب هو .

فنظر المدير إلى شعرها - بالمقارنة إلى وجهها الباكي - فكانت ضفيريها كأنهما ترقصان من الفرح

جلس المدير وأجلس توتوتشن أيضا أمامه وكالعتاد غير عابئ بأسنانه الساقطة قال لها :

- لانبكى ، إن شعرك يبدو جميلاً .

رفعت توتوتشن وجهها المبلل بالدموع وقالت باستحياء :

- هل تحبه ؟

قال :

- إنه هائل .

كفكتف توتوتشن دموعها ثم نزلت من كرسيها قائلة :

- سوف لا أبكى مرة أخرى حتى ولو أوى قال لى : هب هو .

فهز المدير رأسه موافقا مبتسما وابشمت توتوتشن أيضا فتناصب وجهها الضاحك مع صغيرتها ، ثم انحنى تحية للمدير وجرت راجعة تلعب مع الأطفال الآخرين . ولقد نسيت بكاءها عندما رأت أوى واقفا أمامها يحك رأسه ويقول فى صوت عال صريح :

- أنا آسف ، لقد جذبتها ، لقد لامنى المدير وقال لى يجب أن تكون لطيفا مع البنات وأن تكون دمث الأخلاق معهن وتحافظ عليهن .

فكانت توتوتشن مندهشة قليلاً لأنها لم تسمع أبدا من يقول : يجب أن تكون لطيفا مع البنات . الأولاد دائما هم الأهم ، وفى العائلات تعرف هى أنه فى أى مكان يخدم الأولاد أولا عند الأكل وعندما يتكلم البنات تقول أمهاتهن : البنات الصغار يرون ولا يسمعون وبالرغم من كل ذلك فإن المدير أخبر أوى أن البنات يجب أن يحافظ عليهن .

وبالنسبة لـ أوى فإنها كانت صدمة وكان غريبا أن يؤمر أن يعامل البنات بلطف وأكثر من ذلك أنها أول وآخر مرة يؤنبه فيها المدير فى توموى وأنه سوف لا ينسى ذلك اليوم أبدا .

شكرا :

اقررت إجازة السنة الجديدة التى لاتشبه إجازة الصيف حيث لايجتمع التلاميذ فى المدرسة مطلقا ولكنهم يقضون الوقت كله مع ذويهم .

لقد قال ميغيتا مخبرا كل واحد :

— سوف أذهب لأقضى إجازة السنة الجديدة مع جدى فى كيوشو .

بينما قال تايشن الذى يميل دائما إلى تجارب العلوم :

— أنا سأذهب مع أخى الأكبر لزيارة معمل الطبيعيات الذى انتظر رؤيته منذ زمن .

وكان الأطفال يتحدثون عن خططهم التى سيعملها كل واحد منهم ثم تفرقوا محيا كل منهم الآخر... إلى اللقاء .

أما توتوتشن فقد ذهبت للانزلاق على الجليد مع أبيها وأمها . فى هضبة شيقا حيث يملك صديق والدها السيد هديو سايتو — عازف الشيللو وقائد الأوركسترا — منزلا جميلا هناك . فقد اعتادوا أن يبقوا معه كل شتاء ، وكانت توتوتشن قد بدأت تعليم الانزلاق على الجليد منذ كانت فى روضة الأطفال عندما تأخذ مركبا يحورها حصان من المخططة إلى منطقة الانزلاق على الجليد فإنك ترى قمة عالية من الثلوج البيضاء لم تحظها مصاعد أو أى شىء آخر

ولكن هنا وهناك قد وضعت قطع من جذوع الأشجار ، ولأجل الناس الذين يذهبون إلى هناك وليس لهم بيوت مثل السيد هديوسايتو فقد قالت الأم إن هناك فندقا واحدا على الطراز الياباني وواحدا آخر على النظام الغربي ، ولكن يهتم كثير من الأجانب بالذهاب إلى هناك .

ولقد كانت هذه السنة مختلفة عن السنة الماضية بالنسبة لتوتوتشن فلقد أصبحت الآن تلميذة في الصف الأول بالمدرسة الابتدائية ولا تعرف إلا كلمة واحدة إنجليزية علمها لها أبوها وهي (شكرا Thank You) ولقد كان الأجانب الذين يمشون عليها وهي في مركبة الانزلاق يقولون شيئا من المحتمل أن تكون كلمة :

- أليست جميلة ؟!

أو شيئا مثل ذلك ولكنها لا تفهم .

إنها لم تكن قادرة على أن ترد طوال هذه السنة ولكنها من الآن بدأت تحاول أن تحني رأسها وتقول (شكرا Thank You) وكلما مر بها الأجانب وسمعوا منها هذا الشكر كانوا يتسمون لها ويتحدثون معها وكان بعضهم يقبلها وبعضهم يحتضنها حنانا وإعجابا ، وبوساطة كلمة «شكرا» استطاعت أن تعمل صداقات مع الناس وفي يوم من الأيام اقترب منها شاب لطيف وأشار إليها إشارة يدل معناها على :

- هل تحبين أن تركبي أمامي على مركبتى ؟

وأخبرها والدها بالموافقة فقالت :

شكرا .

فأخذها الشاب وأجلسها القرفصاء عند قدميه على مركبته وأمسك بها ثم انحدرت بها المركبة في منحدر سهل طويل انحدار الريح وكانت الرياح تحدث صفيرا في أذنيها من شدة اندفاعها . وكانت توتوتشن تضم ركبتها بقوة حذرا من الوقوع إلى الأمام . وإن كان في ذلك قليل من الازعاج والحتجل فإنها كانت سعيدة جدا . ولقد صفق الناس الذين شاهدوها عندما وصلا إلى محطة الوقوف فوقفت توتوتشن من المركبة ثم أحت رأسها قليلا لهم ثم قالت :

شكرا .

فصفقوا أكثر من ذى قبل .

وبعد فترة طويلة من الزمن عرفت أن ذلك الشاب اسمه شونايدا وهو لاعب مشهور في الترحلق على مستوى العالم كان يستخدم عصاتين من الفضة في أثناء ترحلقه . ولقد أحببت منه في هذا اليوم أنها عندما انحدرا من المنحدر إلى أسفل وصفق الناس لها جلس القرفصاء بجانبها ثم أخذ رأسها ونظر إليها نظرة اهتمام ثم قال :

— شكرا .

ولم يعاملها كطفلة بل كسيدة كبيرة ، وعندما انحنى لها شعرت من قلبها بالسليقة أنه رجل لطيف وكانت الطبيعة بثلوجها البيضاء تبدو وراءه ممتدة إلى ما لا نهاية .

المكتبة :

بعد أن رجع الأطفال إلى المدرسة بعد انتهاء إجازة الشتاء اكتشفوا شيئا جديدا ولطيفا وحبا هذا الاكتشاف بهتافات الفرح والسرور - في الجهة المقابلة لفصول الدراسة وقفت عربة جديدة بجانب أحواض الزهور عند صالة الاجتماعات . لقد صارت هذه العربة في أثناء الإجازة مكتبة ، وقد بذل في إعدادها جهدا كبيرا عامل النظافة المسمى ريوتشن الذى يحترم كل واحد والذى يستطيع أن يعمل كثيرا من الأعمال ، ولقد وضع كثيرا من الأرفف في العربة ورتب فيها صفوفًا من الكتب من جميع الأنواع والألوان ، كما وضع فيها المكاتب والكراسى حيث يستطيع الطالب أن يجلس ويقرأ .

قال المدير :

- هذه هى مكتبتكم ، وأى كتاب من هذه الكتب ربما يقرأ بوساطة أى واحد ، لانتهموا إذا كانت بعض هذه الكتب مخصصة لبعض الصفوف أو أى شئ مثل هذا ، وتستطيعون أن تحضروا هنا فى أى وقت تحبون ، وإذا أردتم أن تستعيروا كتابا ثم تأخذوه إلى المنزل فلا مانع ، ولكن بعد قراءته لابد من إرجاعه إلى المكتبة ، وعندما تأخذون كتابا إلى منزلكم فيجب أن تفكروا أن هناك من يحب أن يقرأه ، وسأكون مسرورا عندما تردونه إلى هنا ، وبأى طريقة من فضلكم اقرءوا على قدر ما تستطيعون . فصاح التلاميذ فى صوت واحد :

- فلنكن الحصاة الأولى في المكتبة اليوم .

فقال المدير وقد ابتسم وسعد لرؤية هذا منهم :

- حسنا . ولماذا لا أوافق ١٢

وحينئذ احتشد كل تلاميذ توموى - وكلهم خمسون - في عربة المكتبة باهتياج شديد وأخذ كل واحد الكتاب الذى يريده وحاولوا أن يجلسوا ولكن نصفهم لم يجد مقاعد فجلس نصفهم واستمر الباقون واقفين .

فبدأ المنظر تماما كزحام القطار والناس واقفون يقرأون في الكتب ، وكان هذا منظرا مضحكا تماما . وكان الأطفال في منتهى السعادة . ولما كانت توتوتشن لم تستطع القراءة بعد فقد اختارت كتابا يبدو أن فيه صورا مسلية . وعندما أصبح في يد كل واحد كتاب وبدأ الجميع يقلبون الصفحات ، بدأت العربة فجأة في هدوء ولكن سرعان ما انقلب هذا الهدوء إلى خليط من الأصوات : كان بعض التلاميذ يقرأ في الممرات بصوت مرتفع ، بينما كان البعض الآخر يسأل الآخرين على معنى بعض الحروف التى لا يعرفونها ، ومن يريد أن يستبدل كتابا بآخر ، وامتلأت عربة القطار بالضحك .

وكان هناك تلميذ قد بدأ فعلا في قراءة كتاب يسمى (الصور المغنية) وكان يرسم وجها وهو يقرأ بصوت مرتفع يصاحبه جلجلة عالية معبرة عن الرسم .

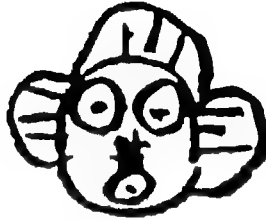
- دائرة ونقطة ... دائرة ونقطة .

علامة صليب لأجل الأنف وآخر مدور ونقطة ثلاث شعرات ... ثلاث شعرات ... ثلاث شعرات ثم واو سريع كالريح ، هناك مدام بدينة .

يجب أن يكون الوجه قد استدار عند كلمة واو وثلاث شبه دوائر ترسم

عندما يغنى (سريع مثل الريح) .

إذا رسمت هذه الخطوط الفاصلة حقا فسوف تكون النتيجة وجه امرأة سمينة بتسريحة يابانية ذات طراز قديم .



في توموى حيث يسمح للتلاميذ أن يدرسوا موضوعاتهم بأى طريقة تسرههم فإنه سيكون محرجا أن يترك الأطفال أنفسهم يتضايقون من عمل أى إنسان آخر ، ولقد كانوا مدرّبين على أن لا يهتموا بما يدور حولهم ، ولهذا لم يهتم أحد بهذا الطفل الذى كان يغنى بصوت مرتفع عند رسمه للسيدة السمينة بل إن واحدا أو اثنين قد انضموا إليه ولكن الآخرين كانوا يتدقون ما فى كتبهم .

وكان كتاب توتوتشن حول قصة شعبية . وكان عن ابنة رجل غنى لم تتزوج لأنها كانت دائما تخرج رائحة كريهة ، وأخيرا تمكنت والدها من العثور على زوج لها ، ولكنها كانت مضطربة فى ليلة زفافها لدرجة أنها أخرجت ريحا قويا أزاح الزوج عن سريره وجعله يلف سبع مرات ونصف حول السرير ثم دفعه دفعة أطاحت بعقله . وكانت الصورة التى كانت أكثر تسلية ولها تلك التى عرضته طائرا خلال الغرفة . وبعد ذلك كثر الطلب على هذا الكتاب بدرجة كبيرة .

كل تلاميذ المدرسة الذين ازدحموا فى عربة القطار كالسرددين التهموا الكتب بشغف من الصباح عندما انتشر ضوء الشمس ودخل من خلال النوافذ

بدرجة - أنهم أهدوا منظرا جميلا يسر قلب مدير المدرسة . وقد قضوا طوال هذا اليوم في المكتبة وبعد ذلك ، إذا لم يستطع التلاميذ أن يخرجوا بسبب المطر أو في أى وقت آخر فإن المكتبة تصبح أفضل مكان لاجتماعهم . ولذلك قال المدير يوما ما :

- أظن أنه من الأفضل بناء دورة مياة قريبة من المكتبة وذلك لأن الأطفال سيستغرقون في كتبهم حتى آخر لحظة ثم يندفعون إلى دورة المياه وراء صالة الاجتماعات وأجسامهم في حالات تقلصات غريبة .

ذيل :

كان الوقت بعد الظهر وقد انتهى اليوم الدراسى وكانت توتوتشن تستعد للعودة إلى المنزل عندما أتى أوى جريا إليها وهمس لها :

- المدير غاضب مع بعض الناس . فسألته توتوتشن :

- أين ؟

لقد اندهشت لأنها لم تسمع أبدا أن المدير غضبان ، وكان واضحا أيضا انه هاش أوى من الطريقة التى جاء بها يجرى مسرعا ليخبرها .

- إنهم فى المطبخ .

قال ذلك أوى وقد فتحت عيناه الواسعتان بطبيعتها الطيبة واتسعت فتحتا أنفه الخارجيتان قليلا .

- هيا نذهب .

أمسكت توتوتشن يد أوى وجريا نحو بيت المدير ، وكان ملاصقا لصالة الاجتماعات وكان المطبخ يمينا بالقرب من المدخل الخلفى إلى فناء المدرسة وهذا المطبخ هو الذى أخذت إليه توتوتشن عندما وقعت فى البالوعة وأدخلت دورة المياه للاستحمام وتنظيف معلق بها من الأقدار . وفى هذا المطبخ أيضا كان

يطبخ الشيء الذى من البحر والشيء الذى من البر ليقدم عند تناول طعام الغداء .

وعندما تقدما على أطراف أصابعهما نحو المطبخ سمعا صوت المدير العاضب من خلال الباب المغلق :

- ما الذى جعلك تقولين بغير تعقل تاكاهاشى أن له ذبلا ١٩

فسمعا المدرسة تقول :

- أنا لم أقصد هذا المعنى بجدية ، وإنما الذى حدث أنى لاحظته فى هذا الوقت ، وقد بدا ذكياً جداً .

- لكن ألا ترين مدى جدية ما قلت ؟ ماذا أستطيع أن أفعل لأجعلك تفهمين مدى العناية التى أعملها خاصة مع تاكاهاشى ؟

فتذكرت توتوتشن ماذا حدث فى الفصل هذا الصباح . لقد أخبرتهم مدرسة الفصل أن الناس أصلاً كانت لهم ذبول ، فظن الأطفال أن هذه فكاهة عظيمة ، والكبار ربما يسمون قولها هذا مدخلا إلى نظرية النشوء والارتقاء . لقد أعجبت الأطفال إعجاباً عظيماً ، وعندما أخبرتهم المدرسة أن كل واحد عنده أثر هذا الذيل ويسمى العصص بدأ كل واحد متعجباً يبحث : أين هذا الأثر عنده ، وسريعا أصبح الفصل فى ضجيج . وأخيرا قالت المدرسة مازحة :

- ربما يوجد هنا .. واحد لا يزال له ذيل !! ماذا بخصوصك يا تاكاهاشى ؟

وقف تاكاهاشى سريعا وهز رأسه بشدة وقال فى غيرة مهلكة :

- أنا ليس عندى ذيل .

تحققت توتوتشن أن المدير كان يتحدث عن هذا وقد تحول صوته من الغضب إلى الحزن . يقول :

- هل خطر لك أن تفكرى ماذا يكون شعور تاكاهاشى إذا سئل هل له ذيل ؟ ولم يسمع الطفلان ماذا كان جواب المدرسة لم تفهم توتوتشن لماذا كان المدير غاضبا هكذا من الذيل !

ولقد أحببت أن يسألها السيد المدير إذا كان لها ذيل .

بالطبع إنها ليس عندها عيب فى جسمها ولهذا فلا بأس أن تسأل مثل هذا السؤال ولكن جسم تاكاهاشى قد توقف عن النمو وهو يعرف ذلك ، وكان هذا السبب الذى حدا بالمدير أن يفكر يوم الرياضة فى ألعاب يمكن أناكاهاشى أن يؤديها بطريقة حسنة فمثلا تركهم يسبحون فى حمام السباحة من غير أن يلبسوا المايوهات حتى يمكن أن يفقد الأطفال مثل تاكاهاشى - شعورهم بالتحجل لقد عمل المدير كل جهده ليساعد الأطفال المعوقين مثل تاكاهاشى وبأسواكى تش أن يتخلصوا من مركب النقص والشعور الداخلى نحو الآخرين .

لقد كان كل هذا وراء مفهوم المدير كيف يمكن لكل واحد أن يكون غير مكترث ليسأل أمثال تاكاهاشى - بالرغم من ذكائه - هل له ذيل ؟ .

لقد حدث أن زار المدير هذا الفصل ووقف فى مؤخرته عندما قالت المدرسة باكية وكانت توتوتشن تسمع ماتقول :

- إنها كانت غلطة فظيعة منى . ماذا أستطيع أن أعمل لاعتذارى إلى تاكاهاشى ؟

قال المدير :

لأشياء .

ولم تستطع توتوتشن أن تراه من خلال الباب الزجاجي ولكنها ودت لو كانت معه . ومع أنها لاتدري ماذا كان بعد ذلك ولكنها عرفت أكثر من ذى قبل أن المدير صديق لهم . أوى يجب أن يكون قد أحس كذلك أيضا . ولا يمكن أن تنسى توتوتشن كيف أن المدير وبخ مدرسة الفصل في مطبخه وليس في حجرة المدرسين حيث يجتمع جميع المدرسين وهذا يدل على أنه كان معلما بكل ماتحتوى هذه الكلمة من معنى ، ومع أن توتوتشن لم تعرف ذلك في هذا الوقت فإن جرس صوته وكلماته بقيت في قلبها إلى الأبد .

إنه كان وقت الربيع الثانى لتوتوتشن في توموى وابتداء السنة الجديدة بالمدرسة .

الربيع الثاني لها في توموى :

كانت الأوراق الخضراء اللينة نابتة على جميع الأشجار في فناء المدرسة وكانت الأزهار في الأحواض كثيرة حركات التفتح : الزعفران والرجس الأصفر وزهرة الثالوث أطلت من رموسها بدورها لتقول لأطفال توموى (كيف حالكم ؟) وأزهار الخزامى أطلت سيقانها كأنها تمد نفسها وبراعم الساكورا تهترى النسيم العليل كلها مستعدة ومتنظرة الإشارة لتنتقل في التفتح . الأسماك السوداء جاحظة العينين تتبعها الباقي من الأسماك الذهبية اللون التي تعيش في حوض صغير مستدير من الأسمنت لغسل أقدام التلاميذ بجانب حمام السباحة ، كل هذه الأسماك اهترت بنفسها ثم بدأت تعوم سعيدة فرحة .

لم يكن هناك حاجة لأن تقول : « إنه الربيع » الفصل الذى يبدو فيه كل شيء زاهيا وجديدا وحيا لا يحتاج إلى الإعلان . كل واحد يعلم أنه الربيع . إنها كانت سنة تماما منذ الصباح التي وصلت فيه توتوتشن وأمها إلى مدرسة توموى وكانت مندهشة حينما وجدت بوابة خارجة من الأرض وكانت مضطربة حينما رأت فصول الدراسة في قطار لدرجة أنها قفزت أعلى وأسفل ، وكانت متأكدة أن المدير سوساكو كوباياشى كان صديقها .

الآن سرت توتوتشن وزملاؤها في موقعهم الجديد كتلاميذ في السنة الثانية بينا

حضر تلاميذ السنة الأولى ينظرون حولهم بحب استطلاع كما فعلت توتوتشن وزملائها تماما . لقد كانت هذه السنة بالنسبة لتوتوتشن مليئة بالأحداث وكانت تنظر بشغف إلى كل صباح منها . إنها لا تزال تحب موسيقى الشارع ولكنها تعلمت كثيرا وكثيرا من الأشياء المحيطة بها والبنت الصغيرة التي طردت لأنها كانت مزعجة كبرت وصارت تلميذة تستحق الالتحاق بمدرسة توموى .

بعض الآباء خالجهم الشك في طريقة التعليم في توموى . وكانوا في بعض الأوقات حتى والدي توتوتشن - يفكرون : يا هل ترى هم قد فعلوا الشيء الصحيح ؟ ومن بين الآباء الذين اعتبروا نظام تعليم كوياباشي مشكوكا فيه وحكموا عليه أنه ظاهري تماما بما رأوه وبعضهم كان مترعجا من ترك أولادهم في هذه المدرسة لدرجة أنهم أعدوا لنقل أولادهم إلى مكان آخر ، ولكن الأطفال أنفسهم لم يريدوا أن يتركوا توموى وبكوا . ولحسن الحظ لم يكن هناك أحد من فصل توتوتشن سيترك المدرسة ، ولكن طفلا في فصل أعلى من فصل توتوتشن - وقد جرت دموعه على خدوده - أظهر يأسه بدقه على ظهر المدير بقبضة يده وقد قشرت ركبته المجروحة وتدلّت القشرة طول الوقت بينما كانت عينا المدير محمرتين من البكاء وأخيرا سحب الوالدان ولدهما من المدرسة ، وكان وهو ذاهب ، يتلفت حوله ثم يلوح بيديه مرة بعد مرة ولم يكن هناك كثير من المناسبات الحزنة مثل ذلك والآن أصبحت توتوتشن تلميذة في الصف الثاني ومعها توقعاتها لأموir يومية أعجب وأسر . وفي هذا الوقت كانت حقيقة توتوتشن وظهرها قد أصبحت على معرفة تامة وصارا أليفين لا يجب أحدهما أن يفارق الآخر .



بحيرة البجع :

أخذت توتوتشن إلى صالة هيبيا لترى باليه بحيرة البجع ، وكان أبوها يعزف بالكمان عزفا منفردا وكانت هناك فرقة باليه لطيفة للأداء . وكانت هذه أول مرة لتوتوتشن لتحضر الباليه . وقد لبست ملكة البجع تاجا صغيرا لامعا على رأسها وكانت تقفز في الهواء بخفة مثل البجعة الحقيقية أو هكذا بدت لتوتوتشن ، وقد وقع الأمير في حب ملكة البجع ورفض كل الأخريات ، وأخير رقص الاثنان معا برقة وحنان كأنهما عاشقان ، وقد أثرت الموسيقى أيضا تأثيرا كبيرا في توتوتشن وعندما عادت إلى المنزل لم تستطع أن توقف تفكيرها في ذلك ، وفي اليوم التالي عندما استيقظت من النوم ذهبت فورا إلى أمها في المطبخ من غير أن تمشط شعرها وقالت :

– لم أعد أريد أن أكون جاسوسة أو موسيقية في الشارع أو بائعة تذاكر ، أنا سأكون راقصة باليه وأرقص في بحيرة البجع .

لم يبد على الأم دهشة وقالت :

– أوه .

لقد كانت أول مرة لتوتوتشن لتشاهد الباليه وكانت قد سمعت كثيرا من المدير عن (إسادورا دنكن) السيدة الأمريكية التي رقصت رقصا جميلا . لقد تأثرت

السيدة الأمريكية كما تأثر كوياباشي بدالكروز ، ومادام كوياباشي الذى تُعجب به قد أحب إسادورا دنكن فإن هذا يكفى لتوتوتشن وإن كانت لم ترها ترقص فإنها تشعر كأنها تعرفها ، لهذا فإنه ليس أمرا غريبا لتوتوتشن أن تكون راقصة باليه .

ولحسن الحظ كان هناك صديق للأستاذ كوياباشي وهو معلم لفن الإيقاع فى مدرسة وله قاعة للتدريب على رقص الباليه بالقرب من المدرسة . فرتبت الأم لتوتوتشن إن تأخذ دروسا عنده بعد خروجها من المدرسة . ولم تكن الأم لتأمر توتوتشن بهذا أو بذلك ولكن توتوتشن إذا أرادت شيئا فإن الأم توافق ومن غير أن تسأل أى سؤال فإنها تذهب وتعمل كل الإجراءات .

بدأت توتوتشن دروس رقص الباليه فى الاستديو مثبقة إلى اليوم الذى تكون فيه قادرة على أداء رقصة بحيرة البجع ، ولكن الأستاذ له طريقته الخاصة بجانب فن الإيقاع الذى يدرسه فى توموى . إنه يترك الأطفال يسيرون سيرا خفيفا على البيانو أو موسيقى الفوتوغراف ويكرر لهم بعض الجمل مثل « ومضة فوق الجبل » من الصلاة « طهر روحى أوه ومضة فوق الجبل » التى ينشدها الحجاج عندما يتسلقون جبل فوجى . وفجأة يصبح المدرس « وضع » وحينئذ يقف الأطفال كل عند وضع قد اتخذ كل منهم وهو أيضا يتخذ لنفسه وضعاً بصرخة انفعالية مثل (آتش) ثم ينظر عاليا إلى وضع السماء أو فى بعض الأوقات وضع شخص يتألم أو يموت جالسا القرفصاء ويمسك رأسه بكلتا يديه ، خيال حفظته توتوتشن فى عقلها ، وعلى أى الحالات ، ذلك وضع بجمعة تلبس تاجا زاهيا وثوبا أبيض ذا أهلاب . وقد كان ذلك ليس بومضة فوق الجبل ولا بآتش التى كان يقولها قبل ذلك .

وفى يوم من الأيام استجمعت توتوتشن شجاعتها ثم ذهبت إلى المدرس .
ومع أنه رجل فقد كان له شعر مجعد وقصة شعر مستقيمة فوق جبينه . فهدت
توتوتشن ذراعها إلى جانبيها ورفرفت بهما مثل جناحي البجعة وسألته :
- هل سنستطيع أن نفعل شيئاً مثل هذا ؟

لقد كان المدرس رجلاً وجيهاً بعينين مستديرتين كبيرتين وأنف أقي .
أجابها :

- نحن لانعمل هذا النوع من الرقص هنا . وبعد ذلك توقفت توتوتشن من
الذهاب إلى هذا الاستديو .

والحقيقة أن توتوتشن كانت تحب القفز بدون حذاء ولا تلبس حذاء الباليه
وترقص بالأوضاع التي تبتكرها بنفسها وبعد كل ذلك فإنها كانت تود أن تلبس
واحداً من هذه التيجان المتألقة . قال الأستاذ لتوتوتشن قبل وداعها :
رقصة بحيرة البجع حسن ، ولكن أود أن تكونى قد أحببت الرقص حسب
ما كنت تتخيلين .

لقد اكتشفت توتوتشن بعد سنوات أن اسمه كان (باكويشى) وأنه هو
الذى أدخل الباليه الحر إلى اليابان ، وهو الذى أعطى للمنطقة اسم جيواو كا
(تل الحرية) بالإضافة إلى أنه كان فى الخمسين من عمره ، وهذا الرجل هو
الذى حاول أن يعلم توتوتشن الرقص بحرية ويدخل على قلبها الفرح والسرور .

أستاذ التربية الزراعية :

قدم المدير مدرسا جديدا اليوم إلى التلاميذ بهذه الكلمات :

- « هذا هو مدرسكم اليوم ، إنه سيربكم كل أنواع الأشياء » .

ف نظرت توتوتشن إليه نظرة فاحصة . أولا ، إنه لا يلبس كما يلبس المدرسون مطلقا ، فقد كان يرتدى بدلة تتكون من جاكته عمل مخططه قصيرة من القطن تحته قميص وقد لف فوطة حول عنقه بدلاً من الكرافت وكان بنطلونه من القطن المصبوغ بلون أزرق بأرجل ضيقة ومملوءا بالرقاع من كثرة الحروق التي فيه ، وبدلاً من الخداء فإنه كان يلبس جوريا ذا أصبعين من المطاط السميك ، وعلى رأسه كان يلبس قبعة مهدمة من القش :

لقد كان التلاميذ مجتمعين بجانب بركة عند معب كوهنبتسو ، ولما نظرت إليه توتوتشن فكرت أنها قد رآته من قبل ، ولكن أين ؟ فكانت مندهشة . لقد لوحث الشمس وجهه الكريم الذي امتلأ بالتجاعيد حتى غلبونه النحيل المعلق في شريط أسود - يستخدم كحزام حول وسطه - كان مألوفاً . وتذكرت فجأة فسألته وهي في سعادة غامرة :

- ألسن الفلاح الذى يعمل فى الحقل بجوار هذا الجدول ؟

أجاب المدرس مبتسماً وقد تجعد وجهه وظهرت أسنانه البيضاء :

- هذا صحيح . أنت تمرّين بيتي كلما ذهبت سائرة إلى معبد كوهنبتسو .
ذاك هو حقل المملوء بأزهار الخردل الصفراء . صرخ الأولاد وصرخت توتوتشن
مسرورين :

- أوه ، لهذا أنت ستكون معلمنا اليوم ؟ فقال محركا يده أمام وجهه :
- لا ، أنا لست معلما وإنما أنا فلاح ، لقد طلب مني المدير أن أفعل ذلك ،
هذا كل الموضوع . قال المدير وقد وقف بجانبه .

- أوه ، نعم . هو معلمكم الزراعى ، لقد وافق من فضله أن يعلمكم كيف
تزرعون حقلا ، كما يعلمكم الحباذ كيف يعملون خبزا ثم قال للفلاح :
- حينئذ أخبر التلاميذ ماذا يفعلون ثم دعنا نبدأ .

في المدارس الابتدائية العادية يحتاج المدرس الذى يعلم التلاميذ أى شىء
إلى مؤهلات لهذا التدريس ولكن السيد كوباياشى لا يهتم بذلك وإنما يهيمه أن
يتعلم التلاميذ بالنظر الطبيعى حقائق الأشياء المبنية على التجربة فقال المدرس
الفلاح :

- دعنا نبدأ إذن .

كان تجمع التلاميذ في مكان خاص هادئ جميل بجانب بحيرة كوهنبتسو
الصغيرة التى تظللها الأشجار . ولقد خصص السيد المدير نصف عربة القطار
هناك ليودع فيه الأدوات الزراعية التى يستخدمها التلاميذ مثل الفأس
والجاروف . وقد وضع تماما في وسط قطعة الأرض التى سيزرعها الأطفال . أمر
الفلاح المعلم الأطفال أن يأخذوا الفئوس والجاريف من العربة وبدأ المعلم في
نزع الأعشاب الضارة ثم شرح لهم كل شىء عن هذه الأعشاب : كيف أنها

صعبة وشاقة في انتزاعها ، وكيف ينمو بعضها أسرع من النبات وتجنّب الشمس عنه ، وكيف أنها مكان جيد لإخفاء الحشرات ، وكيف تكون بالغة الضرر لامتصاصها الغذاء من التربة ، وأخذ يعلمهم شيئاً فشيئاً في أثناء نزع العشب ولم تتوقف يده عن ذلك ، وفعل التلاميذ مثله ، ثم علمهم كيف يقبلون الأرض بالفئوس وكيف يشقون الأرض بالمحراث وكيف يسعدونها . وكل شيء آخر يجب عمله لثو المزروعات في الحقل شرحه لهم ووضحه عملياً .

وبينا هم في ذلك إذ أخرج ثعبان صغير رأسه وكاد بعض التلميذ تاتشن وهو واحد من الأولاد الكبار ولكن الفلاح المعلم أكد له قائلاً ليطمئن :

– الثعابين هنا ليست سامة ولا تضر إلا من يضرها .

وبجانب تعليم الأطفال كيف يزرعون الحقل ، علمهم الفلاح المعلم الأشياء الهامة عن الحشرات والطيور والفراشات والجووع عن كل أنواع الأشياء الأخرى . والعقد التي في يديه القويتين تشهد أن كل ما أخبر الأطفال به قد اكتشفه من خلال تجاربه .

لقد كان الأطفال يتصبون عرقاً عندما انتهوا من زراعة الحقل بمساعدة الفلاح المعلم ماعدا بعض خطوط المحراث التي مازالت غير مستوية قليلاً . لقد كان حقلاً جميلاً من أي ناحية تنظر إليه وليس فيه أي خطأ .

من ذلك اليوم فصاعداً وضع الأطفال ذلك الفلاح في عين الاحترام والتقدير وفي أي وقت رأوه حتى من مسافة بعيدة فإنهم يصيحون :

– هناك معلمنا الفلاح .

وفي أي وقت إذا بقي بعض السماد فإنه يحضره معه ثم ينثره في حقل التلاميذ

فنمت مزروعاتهم بطريقة جيدة ، وفي كل يوم يذهب بعضهم إلى الحقل ويخبر المدير والأطفال الآخرين عن حالة الزرع . ولقد عرف الأطفال كيف تكون الدهشة والفرحة عندما يرون البذور التي زرعوها بأنفسهم تنبت وعندما يجتمع اثنان أو ثلاثة سويًا يتحول حديثهم نحو التقدم في حقولهم .

ومع أنه كانت قد بدأت حوادث مزعجة في أنحاء شتى من العالم .

فإن الأطفال الذين كانوا يتناقشون بحماسة في شئون حقولهم الجميل كانوا لا يزالون يرتعون في أحضان قلب السلام .

طهى فى الحقول :

بعد انتهاء المدرسة فى يوم من الأيام خرجت توتوتشن من البوابة من غير أن تتكلم مع أى واحد أو حتى تقول « إلى اللقاء » ثم أسرع إلى محطة جيوغاؤكا وهى تمهم إلى نفسها على طول الطريق « وادى تودو روكى طهى فى الحقول . وادى تودو روكى طهى فى الحقول » وظلت تكررهما خشية أن تنساها وكانت تخشى أن يكلمها أحد فى الطريق بكلمة تعلق فى ذهنها فتنسيتها هذه الجملة أو يحدث لها أى حادث تتكلم بمناسبتها بعض الكلمات فتنسيتها إياها مثلاً يقابلها بركة صغيرة فى الطريق تحاول أن تقفز عليها وتقول « هب هب » فتعلق فى ذهنها كلمة « هب هب » وتنسى الجملة « وادى تودو روكى طهى فى الحقول » المهم أنها استمرت تمهم بها حتى لا تنساها . وشكراً للظروف فلم يكلمها أحد ولم تمر بالبركة الصغيرة التى يتعين عليها أن تقفزها ، ولم تحاول أن تكتشف شيئاً مهماً ، وبهذا تمكنت أن تصل إلى المحطة ، ولقد أراد عامل المحطة أن يكلمها وقال لها :
- هالوه هل رجعت ؟ .

فخشيت أن ترد عليه فيختلط عقلها فتنسيتها الجملة فلوحت له بيدها ثم جرت إلى المتزل . وفى اللحظة التى وصلت أمام المتزل صاحبت لأمها بأعلى صوتها :

- وادى تودو روكى طهى فى الحقول !

ظنت الأم أن توتوتشن تقلد صرخات لاعبي الجودو أو صوت السبعة

والأربعين ساموراى عندما هجموا على عدوهم للانتقام ثم عرفت فوراً معنى هذه الكلمات .

بالقرب من محطة تودوروكى التى بينها وبين جيوغاؤكا ثلاث محطات يوجد مكان اسم (تودوروكى كيكوكى) وهو أحد أماكن طوكيو الصالحة للسياحة مشهور بالمناظر الجميلة وفيه وادى تودوروكى وشلال وجدول وشجر جميل هكذا عرفت الأم معنى (وادى تودوروكى) وأما بخصوص كلمة (طهى فى الحقول) . فقد فهمت الأم أن التلاميذ سوف يقومون بالطهى فيه ويأكلون هناك . دهشت أمها ، كيف تحفظ هذه الكلمات الصعبة ؟ ولكن من الممكن أن يحفظ الأطفال شيئاً إذا أحبوه .

بعد أن تحررت توتوتشن من هذه الكلمات الصعبة أعطت أمها التفاصيل بخصوص هذا الموضوع واحدة بعد الأخرى . سيجتمع التلاميذ فى المدرسة فى صباح الجمعة التالية ، وسيحضر كل واحد معه سلطانية للحساء وأخرى للأرز و « هاشى » * وكوبا من الأرز غير المطبوخ وأضافت ما تذكرته من قول المدير أنها ستصبح كوين مملوءة تبين بعد طبخها ، وسيعملون حساء اللحم أيضاً ولهذا فإنها تحتاج بعض اللحم والخضراوات ، ويستطيعون أن يحضروا شيئاً من الحلوى إذا أرادوا .

فى الأيام القليلة التالية وقفت توتوتشن مع أمها فى المطبخ ولاحظت بعناية كيف استعملت السكين وكيف أمسكت القدر وكيف انضجت الأرز . لقد كان لطيفاً أن تراقب عمل أمها فى المطبخ ولكن توتوتشن أحببت طريقة أمها عندما تلمس شيئاً ساخناً فتقول : « أوه ، أنه ساخن » وبسرعة تمسك بأصبعها

(*) عصاتان رفيعتان من الخشب يؤكل الأرز بها بدلا من المعلقة أو الشوكة

السبابة والإيهام حلمة أذنها وقد شرحت لها أمها السبب :

- هذا لأن حلمتي الأذنين باردتان .

هذه الحركات التي شاهدها أثرت فيها كما لو كانت امرأة كبيرة وكانت شاهدة على المهارة في أعمال المطبخ . فقالت لنفسها :

- عندما نطهو في حقل وادي تودوروكي سأفعل مثل هذا أيضا .



جاء يوم الجمعة أخيرا . وعندما وصلوا وادي تودوروكي ونزلوا من القطار ، راقب المدير اجتماع التلاميذ بين الأشجار وكانت وجوههم الغريزة الصغيرة متألقة في ضوء الشمس عندما سطعت عليهم من خلال الأشجار الطويلة وقد انتظروا ما يقول المدير بحقائقهم الممتلئة بينما كان وراءهم الشلال الشهير يندفع تيار الماء منه فيحدث إيقاعا جميلا .

قال المدير :

- إذن الآن ، أول شيء دعونا ننقسم إلى مجموعات ونصنع الكوانين بالطوب الذى أحضره المدرسون ، وبعضكم يغسل الأرز فى جدول الماء ثم يضعونه على النار للطهى ، وبعد ذلك سنبدأ فى عمل حساء اللحم . الآن إذن . هل نبدأ ؟

أجرى الأطفال القرعة بطريقتهم الخاصة (جانكين) لمعرفة عدد الأطفال فى كل مجموعة ولأن عدد التلاميذ قليل (حوالى خمسين فقط) فإن القرعة لم تأخذ وقتا طويلا حتى تكون ست مجموعات ، ثم حفرت الحفر وأجبطت بالطوب ثم وضع قضيب من الحديد عليه ليساعد على حمل قدور الحساء والأرز ، وبينما كان هذا العمل مستمرا كان بعضهم يجمع الحشب للنار من الغابة ، وذهب آخرون ليغسلوا الأرز فى النهر .

لقد حدد الأطفال بأنفسهم أعمالهم المختلفة . عرضت توتوتشن أن تقوم بتقطيع الخضراوات وتعمل حساء اللحم . وقد رشح ولد آخر أكبر بستين من توتوتشن لتقطيع الخضراوات ولكنه قطعها أجزاء إما صغيرة جدا وإما كبيرة جدا وعمل كوما كبيرا من ذلك وقد عمل باجتهاد كالرجال فى هذا حتى نضج العرق منه ولعت أنفه من العرق ، أما توتوتشن فقد اتبعت طريقة أمها وبمهارة قطعت الباذنجان والبطاطس والبصل والأرقطون (نبات فى اليابان) والخيار فى قطع صغيرة كحجم الفم ، وأخذت على عاتقها عمل الطرشى بواسطة تقطيع الباذنجان والخيار قطعاً رفيعة ثم مزج هذه القطع بالملح ، ونصحت أيضا بعض التلاميذ الكبار الذين كانوا يحسون بالاضطراب فى أعمالهم ، وقد أحست توتوتشن حقيقة كأنها صارت أما وكان كل واحد مسرورا من الطرشى التى عملته

فقلت توتوتشن بتواضع وقد أمسكت خاصرتها بكفها :

- أوه . أنا فكرت فقط أن أحاول وأرى هل أستطيع عمل شيء ؟
وعند مذاق حساء اللحم سئل كل واحد عن رأيه فتعالت أصوات المجموعات
وضحكاتهم فاشتركت الطيور في أشجارها مفردة ومزققة كأنها فرحة بفرحهم .
وكانت تغريهم رائحة الطعام الجيدة التي كانت ترتفع من القدور .

إنه لم يسبق لواحد من الأطفال أن رأى شيئا يطبخ أو أن يضبط تدرج النار
لطهي الطعام . كما أنهم فقط كانوا يأكلون مايقدم لهم على مائدتهم ، ولكن
الابتهاج بطبخهم بعض الأشياء بأنفسهم مع مشقاتها ورؤية التغيرات المختلفة
التي تحصل للعناصر الاساسية ، كل ذلك كان خبرة جديدة لهم .

وأخيرا ، فقد تم العمل على كل موقد مؤقت ، وجعل المدير التلاميذ على
مسافات على الحشائش حيث يستطيع الجميع الجلوس في دائرة وقد وضع أمام
كل مجموعة قدر من الحساء وقد آخروا من الأرز ولكن توتوتشن رفضت أن تترك
قدر الحساء الخاص بمجموعتها يؤخذ حتى تقوم هي بعمل شيء قررت أن
تعمله . رفعت الحساء الساخن ثم صاحت - بإدراك نوعا - : أوه . إنه ساخن . ثم
وضعت أصابع يديها على حلمتي أذنيها ثم قالت :
- تستطيعون أن تأخذوا القدر الآن .

فحملت القدر إلى حيث كان الأطفال يجلسون متعجبين ما هذا الذي يرون ؟
ولم يبد أحد تأثرا مطلقا ، ولكن توتوتشن كانت مقتنعة بما فعلت .

لقد تركز انتباه كل واحد على سلاطين الأرز التي أمامهم وما تحتويه سلاطين
الحساء . لقد كان الأطفال جياعا ، ولكن أولا وأخيرا ، إنها كانت الوجبة التي
صنعوها بأنفسهم .

بعد أن غنى الأطفال « أمضغ ... أمضغ ... أمضغ جيدا كل شيء
تأكله » وقالوا : (اتبادا كيماسو) يعني سأكل شاكرا بدءوا يأكلون وانتشر الهدوء
وكلهم صامتون في الغابة وليس هناك صوت إلا صوت الشلال .

بلا شك أنت بنت طيبة :

- بلا شك أنت بنت طيبة ، أنت تعرفين .

هذا ما اعتاد المدير قوله كلما رأى توتوتشن ، وكلما قال هو ذلك ابتسمت توتوتشن ثم قفزت وقالت :

- نعم أنا بنت طيبة .

وقد اعتقدت ذلك .

لقد كانت حقا بنتا طيبة في كثير من الأمور : فقد كانت عطوفة مع كل واحد وبخاصة مع أصدقائها المعوقين وكانت تدافع عنهم وإذا ضايقهم الأطفال من المدارس الأخرى فإنها تقاتل هؤلاء المضايقين لهم حتى ولو أدى ذلك إلى بكائها ، وكذلك تعمل ما تستطيعه للعناية بالحيوانات المجروحة التي تقابلها ، ولكن في نفس الوقت كان مدرسوها دائما يتعجبون من المشاكل العديدة التي تدخل نفسها فيها دائما فمثلا : إنها تحاول أن ترضي فضولها عندما تكتشف أى شيء غير عادى . وتجعل شعرها ضفيرتين وفي أثناء السير إلى اجتماع الصباح تخرج ضفيريها من تحت إبطها . ومرة عندما كان دورها في تنظيف الفصل لاحظت بعينها الحادثين الباب الأرضي في عربة الفصل ففتحت واسقطت فيه كل القمامة ، مع العلم أن هذا الباب مخصوص للتفتيش على الماكينات عندما كان قطارا

حقا . ولم تستطع أن تقوم بغلق هذا الباب بعد ذلك وسببت مضايقات كثيرة لكل واحد ، وعندما أخبرها بعض الأشخاص كيف تعلق اللحم في الخطاطيف بت وتعلقت بذراعها في قضيب خاص بالتمرينات الرياضية واستمرت مدة طويلة حتى رآها واحد من المدرسين فسألها ماذا تعملين ؟ فصاحت :

أنا اليوم قطعة من لحم البقر .

ثم بعد ذلك فقدت توازنها وسقطت إلى الأرض سقطة قوية انقطعت منها أنفاسها ولم تستطع الكلام طول اليوم . وطبعاً كان هناك الوقت الذي قفزت في البالوعة عندما سارت خلف المدرسة ووجدت ورق الجرائد الذي غطى البالوعة به عامل النظافة بعد رفع غطاءها فقفزت عليه توتوتشن لتلعب فسقطت في البالوعة حتى صدرها .

لقد كانت توتوتشن تفعل أشياء مثل هذه دائماً وتؤلم نفسها ولكن المدير لم يرسل أبداً لأبيها وأمها ليخبرهما بأى شيء وكذلك مع التلاميذ الآخرين وقد كان المدير يقوم بحل كل المشاكل مع أصحابها من التلاميذ ، تماماً كما سمع من توتوتشن أربع ساعات في أول وصولها إلى المدرسة ، وهكذا فإنه يسمع دائماً مايقوله التلميذ حول وقوع حادث ويسمع إلى اعتذاراتهم وإذا فعل التلميذ شيئاً سيئاً ويعرف أنه سيء فإن السيد المدير يقول له «اعتذر الآن» .

وفي حالة توتوتشن فإن الشكاوى والخاوف التي ترددت من آباء الأطفال والمدرسين من غير شك قد وصلت إلى آذان المدير ، وهذا هو السبب الذي جعل المدير إذا حانت الفرصة يقول لتوتوتشن :

«بلاشك أنت بنت طيبة ، أنت تعرفين ؟ وعندما يسمعه الناس الكبار

سيعرفون مغزى طريقته لتأكيد كلمة « بلا شك » والذي أراد المدير أن يجعل توتوتشن تفهمه هو شيء مثل هذا :

- بعض الناس ربما يفكرون أنك بنت ليست طيبة في كثير من الأحيان . ولكن سجيكتك حقاً ليست رديئة وهذه المعاملة حسنة . وأنا مهم جداً بذلك » وللأسف لم تفهم توتوتشن ما عناه المدير إلا بعد عشرات السنين . ومع أنها لم تفهم ما يقصده المدير فإنه بكل تأكيد قد عمق في نفسها الاعتقاد بأنها (بنت طيبة) ولقد كان يتردد في قلبها صدى هذه الكلمة حتى عندما تكون على موعد في مغامرة . وطالما قالت في نفسها « شيء عجيب » عندما تأملت في بعض الأشياء التي عملتها .

وفي أثناء مده بقاء توتوتشن في توموى استمر السيد كوباياشي في تكرار هذه الكلمات المهمة التي يبدو أنها قررت مسلكها في الحياة . « توتوتشن أنت بلا شك بنت طيبة . أنت تعرفين » .

عروس :

توتوتشن حزينة جدا .

لقد كانت في الفرقة الثالثة وقد أحبت تايشن كثيرا .

لقد كان شجاعا وجيدا في علم الطبيعيات ، وقد درس الإنجليزية وهو الذي علمها كلمة ثعلب بالإنجليزية . ولقد قال لها :

- هل تعلمين ما هي كلمة ثعلب بالإنجليزية؟! إنها فوكس Fox فوكس .
لقد ارتاحت توتوتشن لصوت هذه الكلمة طول اليوم وبعد ذلك . كان أول شيء تفعله دائما عندما تدخل الفصل في عربة القطار هو أن تبرى كل الأقلام التي في صندوق أقلام تايشن جيدا بالطواشة . بينما لم تضايق أحدا بأقلامها فقد كانت تسننها بأسنانها ، وبالرغم من ذلك فإنه كان يكلمها بغلظة ، ولقد حدث في أثناء تناول الغداء أن توتوتشن كانت تجول حول خلف صالة الاجتماعات في المكان الذي فيه البالوعة ذات الذكرى السيئة ، نادى تايشن بصوت متعجب :

- توتوتشن .

توقفت مذعورة . تنفس تايشن الصعداء ثم قال :

- عندما أكبر سوف لا أتزوجك مهما ألححت في هذا الطلب .

وبعد أن قال هذا سار وعيناه إلى الأرض .

وقفت توتوتشن ذاهلة تنظر إليه حتى اختفى رأسه الكبير من ناظرها ،
ذاك الرأس المملوء بالأفكار والتي أعجبت به كثيرا ، ذاك الرأس الذى كان
ينبدو أكبر من جسمه وقد اعتاد الأطفال أن ينادوه «العدد الكسرى» .

وضعت توتوتشن يديها فى جيوبها وفكرت . إنها لم تتذكر أنها عملت أى
شئ يغضبه ، ثم تحدثت فى يأس إلى ميوتشن زميلتها فى الفصل وبعد أن
سمعت ميوتشن قالت يالتدقيق .

– لماذا ؟

– طبعا ، لأنك ألقيته خارج دائرة المصارعة اليوم .

إنه لم يكن مدهشا أنه خرج من الحلقة بهذه الطريقة لأن رأسه ثقيل
جدا ، ولكنه لا يزال غاضبا منك .



فندمت توتوتشن من أعماق قلبها .
نعم . إنه كان كذلك .
ما الذى جعلها تضرب الولد الذى أحبته كثيرا وكانت تبرى أقلامه كل يوم ؟
ولكن جاء هذا الندم متأخرا جدا .
إنها لن تكون أبدا زوجة له .
سأستمر فى برى كل أقلامه كالمعتاد . هكذا قررت توتوتشن وقالت :
- وبعد كل ذلك : أنا أحبه .

المدرسة الديمة :

كان هناك جلبة صوتية - نوع من المذاهب الموسيقية المملة - شائعة بين تلاميذ المدارس الابتدائية . وقد عملها الأطفال كثيرا عند مدرستها السابقة . - كان الأطفال في هذه المدارس عندما يخرجون إلى منازلهم من بوابة المدرسة ينشدون بعض هذه الأناشيد المملة على سبيل الإشادة بمدرستهم فثلا يقولون :

مدرستنا قديمة وديمة

ولكنها في الداخل جميلة

وعندما يمر تلاميذ من مدرسة أخرى بهم وهم ينشدون ذلك فإنهم يعكسون النشيد على سبيل الإغاظة فيقولون :

مدرستكم من الخارج جميلة

ولكنها في الداخل دمية

ثم ينهون النشيد بضجة عنيفة .

في الجزء الأول جمال المدرسة أو دمايتها في أن المدرسة جديدة أو قديمة والجزء المهم من النشيد هو الجزء الثاني الذي يعبر عن المدرسة من الداخل ، وحيث لا يهم إذا كان الجزء الأول يقول إن المدرسة دمية من الخارج ولكن والمهم ما تحويه المدرسة من الداخل .

هذا النشيد يشده في الغالب خمسة أو ستة تلاميذ سوياء وفي ذات يوم بعد انتهاء المدرسة كان الأطفال في توموى يقضون وقتاً في الملعب كعادتهم وكانوا يستطيعون أن يقوموا بعمل أى شىء يحبون حتى يذق الجرس النهاى مؤذناً بمغادرتهم أرض المدرسة وذلك لأن المدير فكر أنه من المهم للتلاميذ أن يكون لهم فترة حرة بعد الدراسة يعملون فيها ما يريدون وكانت هذه الفترة في توموى أطول من مثيلتها في المدارس الابتدائية الأخرى وفي ذاك اليوم كان بعضهم يلعب الكرة وبعضهم صير نفسه قذراً باللعب على قضبان الحديد أو في صناديق الرمل وبعضهم اعتنى بأحواض الزهور ، وبعض البنات الكبار كن يجلسن على درجات السلم يتحدثن وبعض التلاميذ كان يتسلق الأشجار كلهم كانوا يعملون ما يريدون .

وبين هؤلاء كان قليل مثل تايشن قد جلسوا وراء فصول الدراسة ليستمروا في إجراء التجارب في الطبعيات وكانوا يغلقون الدوائر لاجراء تجارب في أنابيب اختبار . وكان هناك أطفال يقرءون في المكتبة والطفل أماديرا الذى يحب الحيوانات كان ينعم النظر في قطة ضالة وجدها ويديرها وينظر في أذنها . كانوا جميعاً ممتعين أنفسهم كل في طريقته الخاصة . وفجأة سمع صوت نشيد خارج المدرسة :

مدرسة توموى مدرسة قديمة ودميعة .
وداخلها أيضاً مدرسة قديمة ودميعة

ففكرت توتوتشن أن هذه أنشودة سيئة وقد تصادف أنها كانت بجانب بوابة المدرسة . (إنها ليست بوابه حقاً ولكن الشجرتين اللتين كانتا في مقدمتها كالعمودين قد كبرتاً وصار لهما أوراق خارجة منها) على أى الحالات - لقد سمعتم

بكل وضوح فكانت غاضبة وكذلك الآخرون عندما تصوروا أن مدرستهم سيء من الداخل ومن الخارج كما يصفها هذا النشيد وقد حضروا مسرعين إلى البوابة . « مدرسة قديمة ودميمة » ردها أولاد المدرسة الأخرى ثم جروا محدثين ضجة عنيفة غير مؤدبين . لقد كانت توتوتشن غاضبة جدا فجرت خلف الأطفال بنفسها ولكنهم كانوا مسرعين بدرجة عظيمة وجروا في شارع جانبي ثم اختفوا بنفس الشرعة ، وعندما عادت تسير أُنشِدت :

مدرسة توموى مدرسة بديعة

وبعد خطوات أضافت :

في الداخل والخارج مدرسة بديعة

وقد أحبت هذه الأنشودة وارتاحت لها نفسها ، ولهذا عندما رجعت تظاهرت أنها من مدرسة أخرى ثم صاحت من خلال الأشجار التي سورت المدرسة بصوت عال حتى يستطيع كل واحد أن يسمعه :

مدرسة توموى مدرسة بديعة

في الداخل والخارج مدرسة بديعة

في أول الأمر لم يستطع الأطفال الذين كانوا يلعبون في فناء المدرسة أن يتصوروا من هو؟ ولكن عندما تحققوا أنه من توتوتشن ذهبوا إلى خارج المدرسة وانضموا إليها وأخيرا تماسكوا بأذرعهم وساروا حول المدرسة على طول الطريق ينشدون هذا سويا . وكانت قلوبهم أكثر تجمعا من أصواتهم وإن كانوا لم يحسوا ذلك وكلما داروا حول المدرسة كلما أحسوا بروح الوحدة .

مدرسة توموى مدرسة بديعة

في الداخل والخارج مدرسة بديعة

لم يعرف الأطفال مدى سعادة المدير من إنشادهم عندما جلس يستمع في مكتبة . وكان يجب أن يكون شعور المدرسين نفس هذا الشعور ، ولكن بالنسبة هؤلاء الذين يعرفون طبيعة التلاميذ معرفة حقيقية فإنهم يعتبرون جرى تلاميذ المدرسة لابد أن يجرى إلى سلسلة من المشكلات وبخاصة بطريقة أكثر المدرسة مثل توموى حيث كل شيء فيها غير عادى . ولذلك لم تسلم المدرسة من الانتقاد من الناس الذين تعودوا على نظام تعليم أكثر راحة وهدوءا . وفى مثل هذه الظروف كانت أغنية الأطفال أحسن هدية يمكنهم تقديمها للمدير :

مدرسة توموى مدرسة بديعة
فى الداخل والخارج مدرسة بديعة
وفى ذلك اليوم دق جرس الأنصراف متأخرا عن المعتاد .

شريط الشعر :

في ذات يوم أثناء وقت استراحة التلاميذ بعد تناولهم طعام الغداء كانت توتوتشن تقفز وتطفز عبر صالة الاجتماع عندما قابلت المدير . إنه من الشاذ أن نقول أنها قابلت المدير مع أنه كان معهم طول وقت الغداء ولكنها قابلته لأنه كان آتيا من الاتجاه المضاد . قال المدير :

- أوه ... أنت هنا ، لقد كنت متظرا أن أسالك في بعض الأشياء .
فردت توتوتشن وهي مسرورة لأنها تستطيع أن تعطى المدير بعض المعلومات . فسألها ناظرا إلى الفيونكة التي في شعرها :

- من أين حصلت على هذا الشريط ؟

فكان التعبير على وجهها أبلغ مايكون عن سعادتها . إنها كانت تلبس هذه الفيونكة منذ أمس .. إنها شيء قد وجدته بنفسها ثم تقدمت نحو المدير لتكون قريبة منه أكثر ليرى هذا الشريط جيدا وقالت بفخر واعتزاز :

- إنه كان في ملابس عمتي المدرسة القديمة ، وقد شاهدته عندما كانت تضعه في دولاب ثم أعطته لي وقالت عمتي : إنك قوية الملاحظة .
فقال المدير بعد تفكير عميق :

- هكذا .

لقد كانت توتوتشن فخورة جدا بهذا الشريط وأخبرته كيف أنها ذهبت لرؤية عممتها وكانت محظوظة أن تجدها وهي تهوى بعض الملابس خوفا من العث ، وكان بين هذه الملابس جونلة طويلة طراز قديم أرجوانية ملفوفة كانت تلبسها عندما كانت تلميذة في المدرسة ، وكانت عممتها قد وضعها بعيدا وقد لاحظت توتوتشن بعض الأشياء جميلة عليها فسألت عممتها .

– ما هذا ؟

وعند سؤال توتوتشن توقفت عممتها عن ترتيب هذه الملابس وتحول هذا الشيء الجميل إلى هذا الشريط وكان قبل ذلك متصلا بالحزام السميك الذى يربط به الوسط عند الظهر عاليا بعض الشيء . قالت العمة :

– إنه كان من المفروض أن يجعلك جميلة من الخلف ولكن فى تلك الأيام كل واحد أراد أن يضع بدله قطعة من الدنتلة المشغولة باليد أو شريطا واسعا يربط فى الخلف على شكل فيونكة كبيرة .

ولقد لاحظت العمة كيف أن توتوتشن أطالت النظر إلى هذه الفيونكة وهي تسمع إلى هذا الحديث ثم ملست عليه بيدها لتتحسه ثم قالت :

– أنا سأعطيك إياه لأنى سوف لا أرتديه ثانيا .

ثم أخذت مقصا وقطعت الحيط الذى يوصله بالجونلة ثم أعطته لتوتوتشن . هذا ما كان من أمر الحصول على هذا الشريط وقد كان حقا جميلا . إنه كان واسعا ومن الحرير الجيد جدا وفيه ورود وكل أنواع الرسوم منسوجة فيه ، وكان واسعا وعسيرا عند ربطه حتى إن الفيونكة التى ربطت منه كانت كبيرة فى حجم رأس توتوتشن وقالت العمة إن هذا القماش كان مستوردا .

وفي أثناء كلامها كانت أحيانا تهز رأسها في بعض المناسبات ولهذا فإن المدير استطاع أن يسمع صوت خشخشة صنع الشريط ، وعندما سمع المدير قصتها كان منظره مغموما قليلا ، وقال :

- ولهذا كان ذاك . بالأمس ، ميوتشن قالت إنها تريد شريطا مثل هذا تماما فذهبت إلى كل محلات الشرائط في جيوغاؤكا ولكنهم ليس عندهم شيء مثل هذا ، إنه مهم أليس كذلك ؟.

لقد كان وجهه وجه والد مهموم لعدم وجود ماتطلبه ابنته وليس وجه مدير ثم قال لتوتوتشن :

- ابنتي تهنى كثيرا . ألا يمكن أن تحضري إلى المدرسة دون أن تلبسي ذلك الشريط . إنني أشكر لك إن فعلت . هل ضقت بهذا الطلب ؟..

أمسكت توتوتشن يديها وفكرت في هذا الأمر ثم قالت له :

- وهو كذلك ، سوف لا أرتدى هذا الشريط هنا بعد ذلك .

فقال المدير :

- أشكرك .

لقد كانت توتوتشن آسفة قليلاً ولكن المدير كان في قلق ولهذا فإنها وافقت ، وسبب آخر هو أن التفكير في هذا الرجل الكبير الذي تحبه باحثا هنا وهناك في كل محلات الشرائط جعلها تحس بالأسف لأجله حيث لم يجد ما يبحث عنه .

هكذا كانت الطريقة في توموى من غير أن يفتنوا إلى المعاني . وأصبح كل واحد معتادا أن يفهم مشاكل الآخرين ثم يحاول أن يساعده بدون النظر إلى

السن . لقد أصبحت هذه العادة طبيعية بدون النظر إلى أى اعتبار .
فى الصباح التالى عندما ذهبت الأم إلى حجرة توتوتشن لتنظيفها بعد
خروجها إلى المدرسة وجدت الشريط مربوطا حول رقبة لعبة توتوتشن التى
على شكل دب والتى تحبها كثيرا ، فتحيرت الأم :
لماذا تركت توتوتشن فجأة ارتداء الشريط الذى كانت تسرله ؟ .
ولقد فكرت الأم أن الدب الرمادى يبدو فى حيرة نوعا ما لأنه زين بما
يسره على حين فجأة .

زيارة الجرحى :

لأول مرة في حياتها تزور توتوتشن المستشفى العسكرى وكان هذا المستشفى يضم جرحى الحرب ، ولقد ذهبت مع حوالى ثلاثين طفلا من المدارس الابتدائية المختلفة ولم تكن تعرفهم وكان هذا جزءا من خطة أعدتها الدولة . وكانت كل مدرسة ترسل عادة اثنين أو ثلاثة من الأطفال ولكن المدارس الصغيرة مثل توموى كانت ترسل واحدا فقط ويكون التلاميذ تحت إشراف واحد من المدرسين من إحدى المدارس . كانت توتوتشن ممثلة توموى وكانت المشرفة مدرسة نحيفة تلبس نظارة فقادت الأطفال إلى قسم في المستشفى حيث يوجد خمسة عشر جنديا في ملابسهم البيضاء وكان بعضهم في أسيرتهم والبعض الآخر يمشى قريبا وكانت توتوتشن مضطربة من هيئة الجرحى ولكنهم ابتسموا ثم لوحوا بأيديهم يبدو عليهم السرور لهذا فإنها اطمأنت بالرغم من أن بعضهم قد وضعوا عصابات على رؤوسهم . فجمعت المدرسة الأطفال في وسط القسم ثم خطبت الجرحى فقالت :

- لقد حضرنا لزيارتكم .

وكل الأطفال انحنوا للتحية .

واستمرت المدرسة في الحديث :

- بما أن اليوم هو الخامس من مايو- يوم عيد الأطفال - فإننا سنغنى

أغنية « تعليق الشبوط » ثم رفعت ذراعيها مثل المايسترو وقالت :
- الآن مستعدون ١٩ ثلاثة - أربعة ..

وبدأت تدق للوقت

ومع أن الأطفال لا يعرف بعضهم بعضا فإنهم بدأوا يغنون بإخلاص قلبي
أغنية من الأغاني الشعبية التي يحفظونها جميعا في مدارسهم لمثل هذه
المناسبات وتبدأ هذه الأغنية :

موج من الخزف على أسقف المنازل
وموج من السحب في السماء ثم يكملونها

ولكن توتوتشن لم تكن تعرف هذه الأغنية لأنهم لم يعلموا هذا النوع من
الأغاني في توموى فجلست على حافة سرير واحد من الجرحى وجهه سمح
وكان جالسا ، واستمعت إلى الأطفال يغنون وهي تحس شيئا من الحرج .
وبعد أن انتهوا من هذه الأغنية أعلنت المدرسة بوضوح تام :

الآن سنغني أغنية « عيد البنات » .

فغنوها بطريقة جيدة كلهم إلا توتوتشن :

تعال ودعنا نوقد الفوانيس

أوقدها واحدا بعد الآخر

لم يكن هناك شيء تستطيع توتوتشن عمله إلا أن تبقى ساكنة .

وعندما انتهوا جميعا من الغناء صفق الرجال فابتسمت المدرسة وقالت :

- وحيثذ الآن ، ماذا عن « الفريس الصغير وأمه » ؟

كلكم مع بعض ٣ . ٤ وبدأت تدق الوقت مرة ثانية .

ولم تعرف توتوتشن هذه الأغنية أيضا وعندما انتهى الأطفال من الأغنية ، مسح الجندي الذي تجلس على سريره شعرها ثم قال لها :
- أنت لم تغنى .

فأحست توتوتشن بالأسف ، لأنها قد جاءت لزيارة الجرحى ولكنها لم تستطع أن تغنيهم أغنية واحدة ولهذا فإنها نهضت ثم وقفت على بعد قليل من السرير ثم قالت :

- وهو كذلك ، الآن سأغنى أغنية أعرفها .

كان شيئا سيحدث ولكنه ليس مطابقا للبروجرام . لهذا سألتها المدرسة :

- ماذا ستعلمين ؟

وكانت توتوتشن قد أخذت نفسا عميقا للغناء وكانت ستبدأ لولا سؤال المدرسة فقررت أن تنتظر . ولأن توتوتشن تمثل مدرسة توموى فكرت أن تغنى أغنية توموى المفضلة ، وبعد أن أخذت النفس العميق بدأت :

أمضغ ... أمضغ ... أمضغ جيدا

كل شيء تأكله

بعض التلاميذ ضحكوا وبعضهم أخذ يسأل من جاوره من التلاميذ .

- ماهذه الأغنية ؟ ماهذه الأغنية ؟

وبدأت المدرسة تدق للوقت .

ولكن لاتعرف ماذا تستطيع أن تعمل وظلت ذراعاها مرفوعتين في الهواء

وتوتوتشن مرتبكة ولكنها غنت بكل قوتها :

امضغ .. امضغ .. امضغ ... امضغ
طعامك من الأرز والسّمك واللحم .

وبعد أن أنتهت من الغناء انحنّت وعندما رفعت رأسها اندهشت حينما
رأت الدموع تنهمر من عيني الجندي على وجهه فظنت أنها فعلت شيئا سيئا .
وحينئذ مسح رأسها مرة أخرى ذلك الجندي الذي يبدو أنه أكبر سنا قليلا من
والدها ثم قال :

– شكرا . شكرا .

واستمر يسمح على رأسها ولم يستطع أن يوقف دموعه .
وحينئذ قالت المدرسة بخفة لتزيل ذلك الموقف وكأنها تريد أن تدخل
السُرور على قلبه مرة أخرى :

– الآن أظن أن الوقت قد حان لنقرأ الموضوعات التي كتبناها للجنود .
وأخذ الأطفال يقرءون موضوعاتهم بصوت مرتفع واحدا تلو الآخر نظرت
توتوتشن إلى الجندي فرأت عينيه وأنفه وقد احمرت ولكنه ابتسم فابتسمت
هي أيضا ردا على ابتسامته وفكرت في نفسها :

– أنا مسرورة جدا لأن الجندي قد ابتسم .

ماذا جعل الجندي يبكي ؟ هو فقط الذي يعلم . ربما يكون عنده بنت
صغيرة مثل توتوتشن أو ربما هو تأثر ببساطة طريقتها التي غنت بها على قدر
ماستطيع أو ربما عرف من خلال تجربته في واجهة الحرب مدى الأسف
والحزن الذي يصيب الجهة إذا نفلت المثونة وأن التفكير في أغنية هذه البنت

الصغيرة (أمضغ جيدا) عندما لا يكون هناك شيء يؤكل كل هذا ملاء
حزنا ، وربما عرف مدى الخوف والرغبة التي ستغرق هؤلاء الأطفال .
هؤلاء الأطفال الذين يقرءون موضوعاتهم ربما لا يعرفون أن حرب المحيط
الهادي قد بدأت فعلا .



لحاء الشجر :

أطلعت توتوتشن مراقب المحطة الذى تعرفه ويعرفها فى محطة جيوغاؤكا على الاشتراك المعلق بخيط فى رقبتها ثم انسحبت من المحطة إلى جيوغاؤكا ولكنها رأت شيئا يوجب الاهتمام فى طريقها : شابا يجلس مترعا على حصيرة وأمامه كومة من شئ يشبه قطعا من لحاء شجرة وحوله خمس أو ست أفراد ينظرون إليه . قررت توتوتشن أن تنظم إليهم لأن الرجل كان يقول :

– انظروا لى الآن بعناية ، انظروا إلى بعناية !

وعندما رأى توتوتشن توقف . ثم قال :

– أهم شئ لك هو الصحة ، عندما تستيقظ صباحا وتريد أن تعرف إذا كنت سليما أو غير سليم ، هذه القطعة من اللحاء ستخبرك ، كل ما عليك فى الصباح أن تمضغ قطعة صغيرة من هذا اللحاء فإذا وجدت مذاقه مرًا فأنت مريض وإذا لم تجد فيه مرارة فأنت سليم ولست مريضا . هذا اللحاء الذى يخبرك إن كنت مريضا أو سليما يتكلف فقط عشرين سنا . حسنا . ذلك الرجل الذى هناك حاول أن تمضغ قطعة . ثم سلم اللحاء لرجل نحيف نوعا ما فعضها بأسنانه الأمامية خجلا ثم أمال رأسه بخفة ثم تذوقها :

– إنها تشبه .. قطعة صغيرة .. أوه .. مرة ..

فقفز هذا الشاب واقفا وصاح :

- سيدى . لابد أنك تقاسى من بعض الأمراض . يجب أن تعنى بصحتك ، ولكن لا تهتم ، إنه ليس خطيرا ، أنت قلت إنه يبدو مرا قليلا . الآن ماذا نرى السيدة التى هناك . هل تفكرين فى مضغ هذه من فضلك ؟

كانت امرأة ومعها سلة مشتريات فأخذت قطعة أكبر من اللحاء ثم مضغتها بشدة ثم أعلنت بسرور :

- لماذا . هذه ليست مرة مطلقا ؟

فقال لها الرجل :

- أهنيك يا مدام ، أنت تتمتعين بصحة جيدة حقا .

ثم بصوت مرتفع :

- فقط عشرون سنا ، عشرون سنا هذه كل التكاليف لتكشف كل صباح إذا كنت سليما أو مريضا إنها صفقة رابحة .

أرادت توتوتشن أن تحاول عض هذا اللحاء أيضا ولكنها خجلت أن تسأل وبدلا من ذلك فإنها سألته :

- هل ستظل هنا حتى تنتهى المدرسة ؟

فقال وقد نظر إلى هذه التلميذة الصغيرة :

- بكل تأكيد .

نجرت توتوتشن وقد أخذت حقيبتها تهتر على ظهرها لأنها لا تريد أن تتأخر ولأن هناك شيئا يجب عليها أن تعمله قبل ابتداء المدرسة .

إنها يجب أن تسأل الأطفال شيئا فى اللحظة التى وصلت فيها إلى فصلها .

- هل يستطيع أى واحد أن يقرضنى عشرين سنا ؟

ولكن ليس هناك من يملك عشرين سنا .

واحد من بواكى الحلويات الطويلة يتكلف عشرة سنوات ، ولهذا فإن عشرين سنا ليست نقودا كثيرة حقا ، ولكن لا واحد يملك هذا .

فقال ميوتشن :

- هل أسأل والدى ؟

فى مثل هذا الوقت كان مريحا جدا أن ميوتشن كانت ابنة المدير وكان بيتها متصلا بصالة الاجتماعات ولهذا فإنه كان تماما كأن الأم تعيش فى المدرسة .
قالت ميوتشن لتوتوتشن فى فترة الغداء :

- يقول والدى إنه سيقرضك هذا المبلغ ولكنه يريد أن يعرف لأى شىء هذا المبلغ ؟

فأخذت توتوتشن طريقها إلى المكتب فقال لها :

- هكذا أنت تريدين عشرين سنا ؟

ثم خلع نظارته وقال لها :

- لماذا تريدين هذا المبلغ ؟

فأجابت سريعا .

- أريد أن اشترى قطعة لحاء تخبرك إذا كنت سليما أو مريضا .

فازداد المدير حبا فى الاستطلاع :

- أين يبيعونها ؟

فأجابت بسرعة كبيرة :

- أمام المحطة .

- وهو كذلك ، ولكن واحدة إذا أردت ، ودعيني آخذ قطعة .

ثم أخذ حافظة نقوده من جيب جاكته ثم وضع عشرين سنا في كف توتوتشن .

- شكرا كثيرا . سأخذ هذه النقود من والدتي وسأردها لك . إنها تعطيني دائما نقودا لأجل الكتب أو أى شيء آخر أريد شراءه يجب أن أسأل أولا ، ولكن للحاء الصحة شيء يحتاجه كل واحد ولهذا فأنا متأكدة إنها سوف لا تبلى .

ولما انتهت الدراسة أسرع توتوتشن إلى المحطة قابضة على العشرين سنا . وكان الرجل لا يزال هناك مادحا فائدته في متممة مرتفعة ، وعندما رأى العشرين سنا في يد توتوتشن اندفع في ابتسامة عريضة وقال :

- بنت طيبة ، أبوك وأمك سيكونان مسرورين .

فقالت له :

- وهكذا سيكون روكي .

قال لها وقد أمسك قطعة من اللحاء لها :

- من هو روكي ؟

فقالت له :

- إنه كلبنا . وهو ألماني من فصيلة الشيرد .

توقف الرجل وفكر دقيقة ثم قال :

- كلب ؟ ، حسنا ، أظن أنه أيضا يستعمل للكلب ولكن إذا كان مرأ فإنه

سوف لا يجبه وهذا معناه أنه مريض .

ثم أخذ قطعة من اللحاء عرضها حوالى بوصة وطولها حوالى ست بوصات ثم قال لها :

- إذا شعرت بعد العض بالمرارة كل صباح فعناه أنك مريضة وإذا لم تشعرى بمرارة فإنك فى صحة جيدة .

ذهبت توتوتشن إلى المنزل بعناية حاملة اللحاء الثخين ملفوفا فى ورق الجريدة . وكان أول شيء فعلته عندما دخلت المنزل هو أن أخذت قطعة صغيرة وقد كانت ناشفة وجامدة ولكن ليست مرة وفى الحقيقة إنها لم تتذوق أى شيء مطلقا فقالت :

- آه .. آه .. آه .. أنا فى أتم صحة .

فقالت الأم مبتسمة :

- طبعا أنت فى أتم صحة . ماذا حدث ؟

شرحت لها توتوتشن . فحاولت الأم عض قطعة من اللحاء أيضا :

وقالت :

- إنه ليس مرا . .

فقالت توتوتشن :

- إذن أنت أيضا فى صحة جيدة ياماما .

ثم ذهبت توتوتشن إلى روكى وقدمته له عند فمه فشمها روكى أولا ثم لعقها . فقال له توتوتشن يجب أن تعضها لتعرف إن كنت مريضا أو فى صحة جيدة ولكن روكى لم يعمل أى محاولة لبعضها ولكنه هرش خلف أذنه بمخالبه .

ثم اعدت تكرار المحاولة وقربت اللحاء بالقرب من فيه وقالت : عض -
انك إذا كنت مريضاً فسوف تكون مشكلة لك ؟

فعض روكي عضه خفيفة من طرف اللحاء ثم شم الرائحة فلم تكن
مكروهه عنده ثم فتح فيه باتساع .

-آه .. روكي أيضاً بخير .

وفي اليوم التالي أعطتها أمها ٢٠ سناً .



وعندما وصلت إلى المدرسة ذهبت إلى غرفة المدير أولاً وقدمت له
اللحاء . فاضطرب المدير لأول وهلة وقال :

- ما هذا ؟

كانت اجابة توتوتشن هي أن أعطته ٢٠ سناً فتذكر لماذا طلبت ٢٠ سناً .

ثم قالت :

عض وإن شعرت بمرارة فأنت مريض .

ثم فحص اللحاء جيدا وعضها .. وترقبت توتوتشن رد المدير .. ثم سأله :

- أتشعر بمرارة ؟

قال :

- لا أشعر بشيء .

ثم أعاد لها اللحاء وقالت بعد أن اطمأنت :

المدير أيضا بخير والحمد لله .

ثم جعلت كل المدرسة تعض على اللحاء وتبين أنهم أصحاء . أى أن كل طلاب توموى كانوا بخير . مما جعل توتوتشن فى غاية السعادة . ثم ذهبوا واحدا تلو الآخر لخبروا المدير أنهم بخير وكل مرة كان المدير يقول :

- حسنا .

ولكن المدير الذى جاء من الريف من محافظة «جونا» كان يعرف كثيرا مما يتعلق بالشجر والجبال والأنهار . وإن اللحاء لا فائدة منه فى هذا الموضوع إلا أنه كان سعيدا لأن توتوتشن كانت سعيدة ولأن كل تلاميذ توموى أصحاء وهى التى كانت تقلق إذا شعر أحد بمرارة . هذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن بذور الصفات الكريمة والعفة تنبت داخل توتوتشن .

وليس أدل على هذا من أنها حاولت تكرار هذا مع أحد الكلاب الضالة فى الشارع وبالقرب من المدرسة . عندما اقتربت منه كاد يعضها فصرخت . ولكنها قالت له بعد ذلك :

- لا تخف عض قليلا لكى تعلم عن صحتك .

وسرعان ما نجحت فى جعله يعض وعرفت أنه بخير فقالت له :

- أنت بخير .

ثم انحنى الكلب برأسه شكرا لها لمحاولتها الاطمئنان عليه . ثم جرى إلى مكان ما واختفى عن الأنظار وعن نظر توتوتشن - وهكذا كل يوم في الصباح تخرج اللحاء من درج المكتب ثم تعض عليه وتقول :

إننى نجير .

ثم تخرج من البيت إلى المدرسة .

ويعتقد المدير أن الشاب لن يأتي إلى جيوغاؤكا مرة أخرى لأن كثيرا من الناس سوف يكتشفون أمره .

طفل يجيد الانكليزية :

اليوم جاء إلى توموى تلميذ جديد .. طويل .. عريض الجثة . ضخم بالنسبة لطالب ابتدائى .

وهذا جعل توتوتشن تعتقد أنه فى المرحلة الاعدادية . وخاصة أن ملابسه تختلف أيضا عنهم فيبدو وكأنه رجل كبير .

وفى الصباح قدم المدير التلميذ لكل الموجودين فى فناء المدرسة :

— هذا ميازاكى .. إنه ولد فى الولايات المتحدة ونشأ بها فلا يجيد اللغة اليابانية .. جاء إلى توموى ليتصادق معكم فهو من اليوم من زملائكم . ولكن فى أى صف يكون ؟ ما رأيكم فى الصف الخامس ؟ أى صف تاتشن وآخرين .

تاتشن ولد طيب وله رسم جيد — قال وكأنه أخ كبير وبصوت خفيض :
— موافق .

فقال المدير بعد ابتسامة خفيفة .. مرة ثانية :

— إننى قلت إنه لا يجيد اليابانية ولكنه يجيد الانكليزية فالأجدر بكم أن تتعلموا الانكليزية منه ، كما أنه لم يتأقلم على الحياة اليابانية بعد فلا بد وأن تساعدوه فى التعود على الحياة اليابانية . ويكنكم لأن تستعملوا منه عن الحياة الأمريكية سوف

تسرون بها . فانحنى ميازاكى برأسه للتلاميذ فانحنوا أو لوحوا بأيديهم له أيضا وليس فقط من الصف الخامس ولكن كل التلاميذ . فى أثناء الراحة عندما ذهب ميازاكى إلى بيت المدير تبعه التلاميذ وعندما حاول اعتلاء التاتامى (الحصير القش) بالحداء . قالوا له :

— لا بد قبل اعتلاء الحصير اليابانى أن تخلع نعليك .

فتعجب ولكنه فعل . واعتذر لهم . كما قالوا له يخلع الحداء فى التاتامى ولكن لاداعى أن يخلعه فى الفصول والمكتبة . وأيضا يخلعه فى القاعة الرئيسية بمعبد « كوهنوتسو » وليس فى الفناء وهكذا علموه شيئا عن الحياة فى اليابان .. علموا وتعلموا منه أن الذى يعيش فترة طويلة فى الخارج فإن سلوكه يبدو مختلفا نوعاً .

وفى اليوم التالى أحضر ميازاكى كتاباً مصوراً بالانكليزية إلى المدرسة . وعندما حضر التفوا حوله وكان الكتاب مصدر الجذب لهم أولاً لأنهم لم يشاهدوا مثل هذا الكتاب المصور من قبل .

ثانياً : الألوان الحمراء والصفراء والخضراء .. هذه مثل ألوانهم ولكن هناك ألوان لم يكن عندهم مثلها كاللون القرنفل المشابه للون الجلد . ولون الماء الصافى . بالإضافة إلى اللون الرمادى ذى الدرجات المتعددة .

وكثير من الألوان بجانب متوسط الأربعة والعشرين التى فى صندوق « كرون » ولا حتى فى صندوق تايشن الخاص ذى الثمانية والأربعين مما أثار دهشتهم . وبالنسبة للصور فإن أول صورة كانت لكلب يجذب طفلاً رضيعاً من كفولته^(١) ، والذى أدهشهم أن الطفل لم يبد مجرد رسم وإنما بدا وكأنه

(١) الكفولة خرقه توضع للطفل تنص بوله حتى لا يبتقع على ملابسه .

طفل حقيقى له جلد رمادى ناعم .

لم ير الأطفال مطلقا كتاب صور فخما وكبيرا ومطبوعا على مثل هذا الورق اللامع السميك المحبب إلى الناظر واللامس . ولقد اقتربت توتوتشن بطريقتها المألوفة المعتادة من ميازاكى وكتاب الصور على قدر ما استطاعت ، وقرأ ميازاكى لهم الكتاب الانجليزى وكان جرس صوته فى اللغة الانجليزية سلسا لدرجة أنهم استمعوا مبتهجين ثم حاول ميازاكى باللغة اليابانية ليفهموا . وعلى كل حال فإن ميازاكى بكل تأكيد قد أتى بشيء جديد ومختلف للمدرسة . بدأ ميازاكى بهذه الكلمة :

- أكاتشن يعنى Baby طفل « فكررها بعده كل الأطفال .

- أوتسوكوشى يعنى Beautiful جميل « وعندما نطق الكلمة اليابانية لم يكملها فجاءت أوتسوكوش ، ولكن الأطفال نطقوها جيلا «أوتسوكوشى» فعرف أنه مخطئ فصحيحها .

وهكذا صار ميازاكى وبقية الأطفال أصدقاء وكان يحضر كل يوم كتبا مختلفة إلى توموى ويقرأها للآخرين فى فسحة الغداء ، وكانه معلمهم لخصوصى للغة الإنجليزية ، كما تحسنت لغته اليابانية وبدأ يتحاشى الأخطاء مثل الجلوس فى التوكوتوما أو فى المكان المخصص لتعليق الرسوم والزينة وتعلمت توتوتشن وأصداقاؤها أشياء كثيرة عن أمريكا .

وصارت اليابان وأمريكا صديقتين فى توموى ، ولكن فى الخارج هما عدوتان . وحيث أن الإنجليزية لغة العدو فقد أُلغيت من المناهج فى جميع

المدارس وأعلنت الحكومة أن الأمريكيين شياطين ، ولكن الأطفال في توموى
قد استمروا منشدين في مجموعاتهم أوتسوكوشى يعنى جميل وكان النسيم الذى يهب
على توموى هادئا ودافئا وكان الأطفال أنفسهم فى تمام الجمال .

المسرح :

- المسرح .. المسرح ..

· هذه أول مرة في تاريخ توموى . مازال مستمرا أن تلميذا واحدا يقف أمام التلاميذ في وقت الغداء ويتحدث عن بعض القصص لكن هذه المرة يأتي بعض الزوار إلى قاعة الاجتماع ويمثل التلاميذ أمامهم على خشبة المسرح والتي عليها البيانو الذى يعزف المدير عليه دائما في حصة الإيقاع ..

على كل حال لم يكن أحد قد رأى مسرحية من قبل حتى توتوتشن أيضا . إلا أنها قد رأت حفلة البالية لمرة واحدة وكان موضوعها « بحيرة البجع » .

كل صف ناقش موضوع مسرح . قد قرر فصل توتوتشن أن يقوم بعمل مسرحية اسمها كانجيتشو « دفتر جمع التبرعات » على الرغم من أنها مسرحية تقليدية ولم تكن ملائمة بتوموى ولعلها كانت من المقررات الدراسية . وشرع الأستاذ ماروياما في تدريبهم على تلك المسرحية .

هذه المسرحية تدور حول قصة تاريخية . وقد قرروا أن تقوم الطفلة أبكوسايشو بدور (بينكى) الرجل القوى حيث أنها ضخمة الجسم طويلة ويقوم الطفل أماديرا - حيث أنه يبدو شديدا وذا صوت عال - بدور (توجاشي) وبعد المناقشة قرروا أن تقوم توتوتشن بدور (الأمير يوشيتسونو) تتنكر في المسرحية كجمال والباقون

سيقومون بدور القسس المتجولين . وقبل أن يبدءوا التدريب يجب أن يتعلم الأطفال أدوارهم ، وقد كان لطيفا لأجل توتوتشن والقسس أنهم سوف لا يقولون شيئا . وكل ما على القسس أن يقفوا صامتين من الأول إلى الآخر بينما توتوتشن عليها أن تبقى راكعة ووجهها مخفي في قبعة كبيرة من القش . بينكى ، خادم يوشيتسونى فى الحقيقة ، يضرب ويوبخ سيده فى محاولة شجاعة لجعل المجموعة تعبر نقطة تفتيش أوتاكا منظاهرا أنها مجموعة من القسس تجمع التبرعات لتجديد معبد . أيكو سايشو التى يقوم بدور بينكى عليها دور كبير فإنها بجانب التدخل الفعلى وتفادى توجاشى قائد نقطة التفتيش فإن هناك موقفا مزعجا عندما يجب عليها أن تتظاهر بقراءة دفتر جمع التبرعات عندما تؤمر من القائد أن تفعل ذلك .

والدفتر الذى تقرأه أيكوتشن (بينكى) من ورقة بيضاء لم يكتب فيها شيء وأمر توجاشى بالقراءة فشرع فى القراءة منها - مرتجلا بمهارة - طلبا لأجل الاعتمادات المالية بلغة كنسبة تدل على الأبهة والعظمة :

— (أولا لغرض تجديد المعبد المعروف بـ (تودايجى))

وكانت أيكوسايشى (بينكى) تدرت أولا على الخطابة كل يوم . ودور توجاشى أيضا أخذ كثيرا من الديالوجات كما حاول أن يفند احتجاجات بينكى وناضل أما ديرا ليحفظه ، أخيرا جاء يوم الثمرين على الايقاع توجاشى وبينكى وقفا وجها لوجه والقسس مصطفىون خلف بينكى وتوتوتشن مثلت يوشيتسونى راكعة ، ولكنها لم تفهم ما يجب عمله ، فلما ضرب بينكى يوشيتسونى بالعصا ، توتوتشن قاومت بعنف ورفست أيكو سايشو فى رجليها وخمشتها فبكت أيكو وضحك القسس باستهزاء .

كان من المفروض أن يظل يوشيتسونى كما هو ولا يهتم كم وكيف يضره بينكى وكانت الفكرة : إذا شك توجاشى فى الحقيقة فإنه سيكون متأثراً بخدعة بينكى والألم الذى سيتكلفه لمعاملة سيد شريف هذه المعاملة السيئة فيسمح لهم بعبور نقطة التفتيش ولو اعترض يوشيتسونى أو قاوم فإن الحيلة ستفشل .

وحاول السيد ماروياما أن يشرح ذلك لتوتوتشن إلا أنها قالت :
- لو ضربتنى أيكوتشن أنا أيضا سأضربها .

فتوقفت المسرحية . وفى كل مرة يحرون هذه التدريب فإن توتوتشن تعترض عند هذه النقطة وأخيرا قال الأستاذ ماروياما لتوتوتشن :
- متأسف . دور يوشيتسونى يكون لتايتشن .

كانت توتوتشن سعيدة لأنها لاثحب أن تكون هى الوحيدة التى تضرب
وقال السيد ماروياما :

- توتوتشن ، هل تفضلين أن تكونى قسيسا ؟

وقفت توتوتشن مع القسيسين الآخرين ولكن فى الخلف .

وفكر السيد ماروياما والأطفال أن كل شيء سيكون على مايرام الآن ولكنهم كانوا مخطئين . كان يجب ألا يترك توتوتشن تمسك بعضا القسيس الطويلة ليصعد بها الجبال ويتزل بها وعندما كانت تضيق بالوقوف تدفع بالعصا رجل القسيس الذى بجانبها أو تزغزغ إبط القسيس الذى أمامها ، كما مثلت بالعصا الطويلة قائد الموسيقى . - المايسترو - وكان فى ذلك خطر على

القريبين وأيضا يحطم المنظر بين بينكى وتوجاشى . وعلى ذلك منعت من دورها كقسيس أيضا .

كان تايتشن الذى قام بدور يوشيتسونى صبورا يحرك أسنانه وهو راكع ويظل مضروبا ، والمشاهدون يتعاطفون معه ويتأسفون لأجله . ولهذا كان تقدم التدريب هادئا بدون توتوتشن ولما وجدت نفسها وحيدة خرجت إلى فناء المدرسة وخلعت حذاءها وبدأت ترقص رقص الباليه تحاول إجادته . وكان رقصا محبوبا طبقا لخيالها . بعض الوقت كانت بجعة وبعض الوقت كانت ربحا وبعض الوقت شخصا غريبا وبعض الوقت شجرة . كل ذلك وهى وحيدة فى الملعب الخالى ترقص وترقص ولكنها كانت فى قرارة نفسها تحس أنها تود أن تؤدى دور يوشيتسونى ، ولكن إذا سمحوا لها أن تفعل ذلك فإنها ستضرب وتحمش أيكوسايشو .

وحينئذ لم تستطع توتوتشن أن تشارك فى دراما الهواة الأولى والأخيرة التى أقيمت على مسرح مدرسة توموى .

طباشير :

أطفال توموى لم يشوهوا بالكتابة أبدا حوائط الآخرين أو على الطريق لأنهم قد أتحت لهم الفرصة كثيرا ليفعلوا ذلك فى المدرسة . وفى أثناء أوقات الموسيقى فى حجرة الاجتماعات يعطى المدير كل طفل قطعة من الطباشير الأبيض ويستطيع الواحد منهم أن يضطجع أو يجلس فى أى مكان يجب على الأرض وفى يده الطباشير عندما يكون جميعهم مستعدين يبدأ المدير فى العزف على البيانو فيكتب الأطفال على الأرض اللحن الذى يسمعونه فى النوتة الموسيقية وكانت هذه الكتابة بالطباشير على الأرض الحشوية اللامعة ذات اللون البنى من الأشياء المحبوبة عندهم . ولقد كان فى فصل توتوتشن عشرة أطفال فقط ولذلك فإنهم عندما يتشرون حول صالة الاجتماع الكبيرة فإن كل واحد يأخذ مسافة فسيحة من الأرض يستطيع أن يكتب فيها النوتة الموسيقية بعلامات كبيرة كما يريد بدون أن يعتدى على مِصَافٍ غيره ولم يكن بهم حاجة إلى خطوط للترقيم إذا ما كتبوا الإيقاع لأنهم فى نوت توموى الموسيقية عندهم أسماء مخصصة قد استنبطها الأطفال بأنفسهم يعد الحديث مع المدير . هنا هذه الأسماء :

طفرة

علم (شكله يشبه العلم)



علم - علم
علمان
أسود
أبيض
أبيض ونقطة
دائرة

هذه الطريقة التي تعلموها ليعرفوا الرموز جيدا وكان هذا عجبيا وكان هذا
الدرس محبوبا لديهم .

كانت الكتابة على الأرض بالطباشير فكرة المدير فلم تكن الأوراق بالانتساع
الكافي ولم تكن هناك سبورة كبيرة تسمح بالدوران حولها لجميع التلاميذ
ولذلك فكر المدير أن أرض صالة الاجتماع يمكن أن تكون سبورة كبيرة يمكن
للتلاميذ أن يكتبوا عليها رموز الإيقاع بسهولة مهما كانت سرعة الإيقاع ، ومهما
كانت الكتابة كبيرة كما يريدون ومهما كانت حركة أجسامهم الحرة ، وفوق كل
ذلك فإنهم يتمتعون بالموسيقى ، وإذا كان هناك بعض الوقت فإنهم يستطيعون
أن يرسموا بعض اللعب أو الطيارات أو أى شيء يحبون . وفي بعض الأحيان
يصلون الرسوم ببعضها للتسلية وحينئذ تصير الأرض عبارة عن صورة كبيرة
جدا . وفي وقت الاستراحة أثناء الموسيقى يمر المدير ويفتش كل إيقاع للتلميذ
وربما يقول « هذا حسن » أو ليس هذا . « علما - علما » ولكنه طفرة » وبعد أن
يوافق أو يصحح ماكتبوه يعزف الموسيقى مرة أخرى ثم هم ينظرون ماكتبوا ثم
يعودون أنفسهم على الإيقاعات ، وكان المدير لا يثيب عنه أحدا لهذا الدرس
مهما كان مشغولا وبخصوص التلاميذ فإنهم لا يكونون مسرورين مطلقا بدون
الأستاذ كوياباشي .

كان التنظيف بعد كتابة الإيتاعات وظيفه شاقة : أولاً يجب أن تمسح الأرض من الطباشير بمساحة السبورة ثم يتعاون الجميع لجعلوا الأرض كأنها جديدة مرة أخرى بوساطة مماسح وخرق . وكل هذا عمل كبير ، وبهذا يعرف التلاميذ كيف يكون تنظيف الرصاص متعباً . ولهذا فإنهم لا يكتبون خطوطاً مشوهة في أى مكان إلا على أرض حجرة الاجتماعات ، وعلاوة على ذلك فإن هذا الدرس يحدث مرتين في الأسبوع ، وعلى هذا فإن التلاميذ يكونون قد شعبوا من مثل هذه الكتابة .

وفي توموى أصبح التلاميذ ذوى خبرة بالطباشير وأى نوع أفضل وكيف يسكنونه وكيف يستعملونه لتكون النتيجة أفضل وكيف لا يكسرونه وكل واحد منهم أصبح حقاً خبيراً في الطباشير .

وفاة ياسواكى تشن :

إنه كان أول صباح للمدرسة بعد انتهاء إجازة الربيع .
وقف الأستاذ كوباياشى أمام التلاميذ المجتمعين فى فناء المدرسة ويده فى جيوبه كالمعتاد ولكنه لم يقل شيئا فترة من الوقت ، ثم أخرج يديه من جيوبه ونظر إلى التلاميذ وكانت تبدو عليه علامات البكاء ثم قال ببطء :
- لقد توفى ياسواكى تشن ، وسنذهب كلنا هذا اليوم لنودعه إلى مثواه الأخير .

ثم استمر :

- كلكم تحبون ياسواكى تشن كما أعرف إنه مصاب ألم وأنا أشعر بالحزن العميق .

ثم احمر وجهه وانهمرت دموعه فدهش التلاميذ ولم ينبس أحدهم ببنت شفه ، وكانوا جميعا مفكرين فى ياسواكى تشن ، ولم يحدث أبدا مثل هذا الهدوء الحزين على فناء توموى من قبل .

تخيلت توتوتشن موته سريعا ثم فكرت :

- أنا لم أنته بعد من قراءة كتاب « كوخ عم توم » الذى أعارنى إياه لأقرأه فى إجازة الربيع .

وأخذت تذكر بعض المواقف :

كيف كانت اصابعه ملتوية عندما ودع كل منها الآخر قبل عطلة الربيع
بعد أن أعطاها الكتاب ، وأول يوم قابلته فيه ثم سألته :

- لماذا تمشي هكذا ؟

فأجابها بلطف :

- أنا عندى شلل أطفال .

لقد تذكرت جرس صوته وابتسامته البسيطة . وتذكرت مغامرة الصيف
وطلووعها الشجرة وتذكرت كيف كان جسمه ثقيلًا والطريقة التي وثق بها من
غير شك حتى مع أنه أكبر وأطول منها . وأنه هو الذي أخبرها أن عندهم شيئًا
في أمريكا اسمه التلفزيون .

لقد أحببت توتوتشن ياسواكي تشن وكانا دائما متلازمين في أوقات الغداء
وأوقات الاستراحة والعودة معا إلى المحطة بعد انتهاء اليوم الدراسي . إنها سوف
تفقدته . وتأكدت أن الموت معناه أن ياسواكي تشن سوف لا يأتي إلى
المدرسة أبدا . كهذين الفرخين الصغيرين اللذين أحيتهما . عندما ماتا لم يحفلا
بندائهما ولم يتحركا مرة ثانية .

لقد كانت جنازة ياسواكي تشن في كنيسة في الجهة المقابلة لبيته في
« دينيتشوف » قريبا من ملعب التنس ، وكان التلاميذ يسرون في صف واحد
صامتين من جيوغاوكا . ولم تكن توتوتشن تنظر حوفا كعادتها بل كانت تسير
وعيناها إلى الأرض طول الوقت . لقد عرفت الآن أن شعورها مختلف عن
شعورها في اللحظة التي أخبرهم فيها المدير بالخبر الحزين ، لم تكن تعتقد أولا

أن هذا الخبر حقيقى ، ولكنها غيرت رأيها الآن وكل ماتريده هو أن ترى ياسواكى تشن حيا مرة أخرى وأن تتكلم معه كثيرا لأنها لاتستطيع أن تتحمل هذا الفراق .

لقد كانت الكنيسة مليئة بالزهور البيضاء وكانت أمه الجميلة وأخته وأقاربه فى ملابس الحداد واقفين خارج الكنيسة وفى أيديهم مناديلهم البيضاء ، وعندما رأوا توتوتشن بكوا بكاء مرأاً ..

لقد كانت هذه أول مرة تحضر فيها توتوتشن جنازة وعرفت كيف يكون ذلك محزنا . لم يتكلم أحد ، وعزف الأرغون موسيقى هادئة وعلى الرغم من أن الشمس كانت ساطعة وأن الكنيسة كانت مليئة بالضوء فإن أحدا لم يشعر بالسعادة فى أى مكان فيها . وكان هناك رجل يلف حول ذراعه شريطا أسود ، أعطى زهرة بيضاء واحدة لكل طفل من أطفال توموى ثم شرح لهم كيف يسير كل واحد منهم تلو الآخر ليضعوا زهورهم على التابوت الذى يرقد فيه ياسواكى تشن .

كان ياسواكى تشن يرقد فى نعشه وعيناه مغمضتان تحيط به الزهور . ومع أنه كان ميتا فإنه بدا كريما وشجاعا كما كان حيا .

ركعت توتوتشن ووضعت الزهرة بجانب يد ياسواكى تشن ولمستها بلطف - تلك اليد التى طالما أمسكتها كثيرا . لقد كانت يده أكثر بياضا من يدها القذرة الصغيرة وأصابعه أطول كثيرا مثل أصابع الرجال . وقالت بصوت هامس إلى ياسواكى تشان :

- إلى اللقاء ، ربما نلتقى مرة أخرى فى بعض الأماكن عندما نكون أكبر من الآن ، وربما تكون حينئذ قد شفيت من شلل الأطفال .

ثم قامت توتوتشن وألفت نظرة أخرى على ياسواكى وقالت :

- أوه . نعم لقد نسيت كتاب «كوخ عم توم» سوف لا أستطيع أن أردّه إليك الآن وسأحتفظ به لك حتى نلتقى مرة أخرى وعندما بدأت السير بعيدا بدا لها كأنها تسمع صوت ياسواكى تشن من الخلف :

- توتوتشن ... لقد قضينا أوقاتا ممتعة معا ، أليس كذلك ؟

- أنا سوف لا أنساك أبدا .

وعندما وصلت توتوتشن مدخل الكيسة التفت حولها وقالت :

وأنا أيضا سوف لا أنساك أبدا .

لقد كان هذا اليوم من الربيع ساطع الشمس هادئ الضوء كما كان في اليوم الذى التقت فيه أولا مع ياسواكى تشن فى فصل الدراسة فى القطار ولكن شتان بين هذا وذاك .

ذاك فرح وسرور وهذا حزن ودموع .

جاسوسة :

ظل التلاميذ فى توموى يشعرون بالحزن مدة طويلة بعد وفاة ياسواكى تشن وبخاصة فى الصباح عندما يبدءون الدروس . ولا بد من وقت للتلاميذ حتى يتأقلموا على الحقيقة أن ياسواكى تشن لم يميت فقط بل إنه سوف لا يأتى مرة ثانية . الفصول ذات العدد القليل ربما تكون جيدة إلا فى مثل هذه المناسبات فإنهم يحسون إحساسا مؤلما عندما يكون غياب واحد منهم محسوسا مثل ياسواكى تشن ، ولكن شيئا واحدا ينقذ التلاميذ من هذا الإحساس الحزين هو أن المدير لم يحدد مقعدا لكل واحد بل ترك التلاميذ يجلس كل واحد فى المقعد الذى يحبه . فلو كان لياسواكى تشن مقعد محدد لكان ذلك محزنا حزنا عميقا عندما يكون مقعده خاليا .

وفى تلك الأيام فكرت توتوتشن كثيرا فيما تفعل عندما تكبر . فى صغرها كانت تفكر فى ان تكون غجرية - لاعبة موسيقية فى الشارع - أو بالية وفى أول يوم أتت إلى توموى فكرت أن تكون بائعة تذاكر أيضا . ولكنها الآن تريد أن تفعل شيئا فريداً ويناسب للفتيات ..

ففكرت توتوتشن أن تكون ممرضة . أيضا هذا حسن . ولكن تذكرت توتوتشن بعد قليل أنها عندما ذهبت إلى المستشفى لزيارة الجنود رأت ممرضة تعطى حقنا للجنود وهذا شيء صعب بالنسبة لها .

- ولكن .. ماذا يناسني ؟..

عندما قالت هذه الكلمة أصبحت في منتهى الفرح :

- آه .. لقد قررت ما أريد أن أكون من بعد ؟

ثم ذهبت توتوتشن إلى تايبتشن وكان تايبتشن يشعل موقد الكحول في الفصل . وقالت له توتوتشن بصوت فيه فخر :

- لقد قررت أن أكون جاسوسة .

التفت تايبتشن بعيدا عن لهب الموقد إلى وجه توتوتشن ونظر إليها طويلا ثم نظر إلى خارج النافذة لحظة كأنما يفكر في الأمر ، ثم نظر إلى توتوتشن مرة أخرى ليقول بذكائه وصوته الرنان في بطاء وبساط حتى تفهم جيدا :



- يجب أن تكونى بارعة وشجاعة وحاذقة ليكونى جاسوسة بجانب أن تعرفى لغات .

ثم توقف قليلا ليتنفس ثم نظر إليها ثانيا بـحشونة :

- فى المكان الأول : المرأة الجاسوسة يجب أن تكون جميلة

غضت توتوتشن طرفها عن تايتشن ببطء وخفضت رأسها . وبعد فترة قال تايتشن بتعقل وفى صوت منخفض من غير أن ينظر إلى توتوتشن .

- وبجانب ذلك ، أنا لا أظن أن الثرثرة تصلح لأن تكون جاسوسة لـ

لقد انعقد لسان توتوتشن فصمتت متحيرة ، ولكن ليس من اعتراضه أن تكون جاسوسة ، ولكن لأن كل ما قاله كان صحيحا وأن هذه الأشياء كلها هى التى كانت تشك فيها ، وتحققت حينئذ أنه ينقصها كل مؤهلات الجاسوسة . وهى تعرف - طبعاً - أن تايتشن لم يقل ذلك من حقد وإنما كان رأيه هكذا ، وأنه كان من حسن الحظ أن تتحدث معه فى هذا الأمر .

ولكنها فكرت فى نفسها وقالت :

- ما أذكاه وأحسنه ؟ ! إنه فى نفس سنى ولكنه يعرف أشياء كهذه أكثر منى .

لو فرض أن تايتشن أخبرها أنه يفكر أن يكون عالما فى الطبيعة ماذا ستقول له فى الجواب ؟ ربما تقول :

- حسناً ، أنت جيد فى إشعال مواقد الكحول بالكبريت

ولكن هذا سيكون صوتا صبيانياً أيضاً .

- حسنا ، أنت تعرف أن كلمة ثعلب باللغة الإنجليزية تعنى كلمة «فوكس» وكلمة حذاء فى اللغة الإنجليزية تعنى كلمة «شوز» ولهذا فإنه يمكنك أن تكون عالما طبيعيا .

- لا ولا هذا يكفى .

على أى الحالات لقد تأكدت أن تايشن كان مقدرا له أن يقوم بعمل ممتاز .
ولهذا قالت بلطف لتايشن . وكان ناظرا للفقاعات فى دورقه :

- شكرا . سوف لا أكون جاسوسة حينئذ ، ولكنى متأكدة أنك ستكون بعض الناس المهمين .

فهمهم تايشن بفمه بعض الأشياء ثم خمش رأسه ثم انهك فى الكتاب الذى كان مفتوحا أمامه .

كانت توتوتشن تقف بجانب تايشن وتنظر إلى اللهب المنبعث من موقده وتتعجب وتقول .

- إذا لم أستطع أن أكون جاسوسة فماذا أكون ؟

الكمائن :

لم يعلموا أن الحرب بأهوالها وفظائعها قد بدأت فعلا وإن كانت رؤيتها قد وضحت فعلا في حياة توتوتشن وأسرتها .

في كل يوم يرسل الرجال والأولاد من الجيران ملوحين بأعلامهم صائحين (بنزاي يعنى إلى اللقاء) واختفت المواد الغذائية واحدة تلو الأخرى من المحال وأصبح من الصعب الاستجابة إلى نظام الغذاء في توموى ، بعض الأشياء من البحر وبعض الأشياء من الأرض . التي كانت تجهزها الأم من أعشاب البحر والبرقوق المخمل وحتى ذلك الآن أصبح الحصول عليه صعبا حيث أصبح كل شيء كتيعين يومى ولم يعد هناك حلوى موجودة معها بحث عنها ، ولا الماكينة التي تعرفها توتوتشن تحت سلم محطة « أوكاياما » التي تقع قبل مسكنها حيث كانت تستطيع أن تحصل على علبة من الكراملة إذا وضعت نقودا في فتحها . وقد كان في أعلى هذه الماكينة صورة مشبهة : « تستطيع أن تحصل على علبة كراملة صغيرة إذا وضعت في الفتحة خمسة سنتات أو تحصل على علبة كبيرة إذا وضعت عشرة سنتات » هذه الماكينة أصبحت خالية الآن . فهما وضعت فيها من النقود أو ضربت عليها ضربا شديدا فإنه لا يأتى لك منها شيء ومع ذلك فإن توتوتشن كانت مواظبة أكثر من اللازم ، إنها فكرت :

— ربما يكون هناك علبة في أى مكان من هذه الماكينة وربما تكون محشورة

فى الداخل . ولهذا فإنها كانت تنزل من القطار فى المحطة التى قبل مسكنها وتحاول وضع خمسة سنوات أو عشرة سنوات فى هذه الماكينة ، ولكنها لا تحصل إلا على ما وضعته من النقود حيث تنزل بصوت عال . وفى هذا الوقت أشار على والد توتوتشن كثير من الناس أن يذهب إلى مصنع العتاد الحربى الذى ينتج الأسلحة ولوازم الجيش ويعزف الأغانى العسكرية على كمانه وخصوصا وأنه قد حصل على جائزة الدولة كأحسن موسيقار وأشهر عازف كمان وبذلك يمكن الحصول على سكر وأرز وأشياء أخرى بعد انتهاء العزف ويمكن أن يحصل على كثير من الهدايا فسألته الأم :

– ما رأيك ، هل ستذهب لتفعل ذلك ؟

بكل تأكيد لقد قلت الحفلات الموسيقية هذا أولا ، والموسيقيون قد استدعى كثير منهم لأداء الخدمة العسكرية وقل العازفون فى الأوركسترا وأصبح العمل فى الإذاعة الوطنية كله فى المجال العسكرى ولهذا فإن عمل والد توتوتشن والآخرين أصبح قليلا ، وكان يرحب بأى فرصة ليعزف أى شىء ولكنه فكر بعض الوقت قبل أن يجيب على سؤال الأم :

– أنا لا أحب أن أعزف هذا النوع من الموسيقى على كمانى .

فأجابته الأم :

– أنت على حق ، وأنا سأرفض ، وسنحصل على الطعام من أى مكان وبأى شكل .

كان الأب يعلم أن توتوتشن تحصل على الأكل الكافى بمجهود ، كما كان يعلم أنها تضع النقود عبثا فى ماكينة الكراملة كل يوم ، وهو يعلم أيضا أن

هدايا الطعام التي سيحصل عليها بعد عزفه الموسيقى العسكرية ستكون ملائمة لأسرته ، ولكنه يقدر قيمة موسيقاه بأكثر من ذلك والأم تعلم ذلك أيضا ولهذا لم تحته على عمل ذلك .

فقال بصوت حزين :

- ساعينى .. توتوسكى .

لقد كانت توتوتشن صغيرة لاتعرف عن الفن ولا عن الفكريات أو العمل ولكنها تعلم أن أباهما قد أحب الكمان كثيرا حتى أنه نبذ من أهله وطرده من بيته ، وكثير من أسرته وقربائه قاطعوه ولم يتكلموا معه وأصبح في موقف صعب ولكنه رفض أن يتخلى عن الكمان مثل موقفه هذا وعرفت أنه على حق حين يابى أن يعزف شيئا لايحبه فحجلت حول أبيها وقالت بسرور :

- أنا لا أبالى لأنى أحب كمانك أيضا .

ولكنها في اليوم التالى مرة ثانية نزلت في محطة أوكاياما ونظرت في فتحة ماكينة الكراملة لقد كانت تعرف أنه سوف لا ينزل شيء ولكنها لاتزال تحتفظ بالأمل في ذلك .

الوعد :

بعد انتهاء الغداء ، عندما وضع التلاميذ الكراسي والمكاتب مصطفة على شكل دائرة بدت صالة الاجتماعات فسيحة تماما .

- اليوم أنا سأكون أول من يصعد على ظهر المدير .

هكذا قررت توتوتشن وهذا ما أرادت دائما أن تفعله ولكنها إذا ترددت لحظة فإن تلميذا آخر سيكون قد جلس فعلا في حضنه حيث يجلس هو متربعا في وسط صالة الاجتماعات وعلى الأقل اثنان آخران سيطلعان على ظهره صائحين ليثيرا انتباهه .

سيحتج المدير ويحمر وجهه ويتسم ويقول :

- لا . لا . توقفوا . توقفوا ... لانفعلوا .

ولكن الأطفال إذا ما احتلوا ظهره فإنهم سيصممون على عدم التخلي عن مواقعهم ، ولهذا فإن تأخر لحظة بسيطة كان يجعل ظهر المدير مزدحما جدا . ولكن في هذه المرة فإن توتوتشن صمت على أن تكون أولهم وكانت فعلا منتظرة وصول المدير في صالة الاجتماع .

وعندما اقترب صاحبت عليه :

- سيدى المدير ، أنا عندى شىء أخبرك به !!

قال المدير مسرورا وهو يجلس على الأرض مستعدا لأن يترع :

- ما هو هذا الشيء ؟

لقد أرادت توتوتشن أن تخبره قرارها الذى فكرت قبله عدة أيام وعندما ترع المدير تراجعت توتوتشن عن قرارها التسلق على ظهره وماستقوله سيكون مناسباً وجها لوجه . ولهذا فقد جلست ملاصقة له ومواجهة له ثم أحت رأسها قليلا بابتسام (كانت أمها تقول لها وهى صغيرة عندما تبسم هذه الابتسامة «وجهك جميل») فأحست بالثقة والاطمئنان عندما ابتسمت هذه الابتسامة وقد فتحت فيها قليلا واعتقدت نفسها أنها بنت طيبة . سألتها المدير مقتربا منها :

- ما هو الشيء الذى تريد أن تخبرنى به ؟

قالت توتوتشن بصوت هادئ بطيء كأنه صوت أخت أو صوت أم :

- أنا أحب أن أعلم فى هذه المدرسة عندما أكبر ، بلا ريب

قالت ذلك وتوقعت أن المدير سيبسم ولكنه أجاب بجدية :

- هل تعدين بذلك ؟

وقد بدا عليه أنه يريد أن يفعل ذلك . فهزت توتوتشن رأسها بقوة ثم

قالت :

- أنا أعد بذلك .

مصممة فى نفسها أن تكون مدرسة هناك من غير شك وفى تلك اللحظة كانت تفكر فى صباح اليوم الذى جاءت فيه إلى توموى تلميذة فى الصف الأول وقابلت المدير فى مكتبه ولقد بدا أن هذا كان من زمن طويل حيث استمع المدير

بصبر طويل إليها لمدة أربع ساعات وتذكرت دفء صوته عندما قال لها بعد انتهاء كلامها :

- الآن أنت تلميذة هذه المدرسة .

أنها أحبت الأستاذ كوياباشي أكثر من ذي قبل . ثم صممت على أن تعمل لأجله وأن تعمل أى شيء تستطيعه لتساعده .

وعندما وعدت بذلك ابتسم بسرور كالمعتاد ولم يظهر عليه أى خجل من هتمه . ثم رفع كا منها أصبعه المختصر تأكيدا لهذا الوعد وتلك طريقة اليابانيين عندما يتعهد الواحد منهم بعمل شيء .

وابتسم كل منها مؤكدا أيضا ومسرورا بهذا الوعد . توتوتشن إذن ستكون مدرسة في هذه المدرسة ، هذا شيء يسر .

- عندما أكون مدرسة ثم سرحت بفكرها وتحيلت « هذا شيء لا يحتاج إلى دراسة كثيرة ... كثير من الأيام والحفلات الرياضية الطهى في الحقول ... إقامة المعسكرات ... الخروج للترهات »

كان المدير مسرورا . إنه من الصعب تصويره أن تكبر توتوتشن ولكنه كان متأكدا أنها تستطيع أن تكون مدرسة في توموى . وكان يفكر أن أطفال مدرسة توموى يستطيعون أن يعملوا مدرسين جديدين لأنهم لا ينسون شعور الأطفال الصغيرة . في توموى استطاع المدير أن يعمل مع واحد من تلاميذه تعهدا هاما على بعض الأشياء بعد عشر سنوات أو أكثر في المستقبل ، لقد كان هذا التعهد قبل أن تظهر في سماء اليابان طائرات أمريكا محملة بالقنابل والمتفجرات .

اختفاء روكي :

كثير من الجند لقوا مصرعهم ، وقل الطعام ، وعاش كل واحد في خوف وتوجس ، ولكن الصيف عاد كالمعتاد ، ولم تحفل الشمس بمنتصر ولم تحزن على منهزم بل أرسلت أشعتها على هذا وذاك وأضاءت أرض المنصور والمهزوم .

وعادت توتوتشن إلى طوكيو من بيت عمها في كاماكورا ، وليس في توفوى الآن معسكرات أو زيارات محبة للنفس إلى أماكن العيون الساخنة وبدا الحال وكأن الأطفال لم يعودوا قادرين على أن يتمتعوا بعطلة صيفية ويسعدوا بها كما كانوا يسعدون من قبل . لقد كانت توتوتشن تقضى عطلة الصيف مع أقاربها في منزلهم بكاماكورا ، ولكن في هذه السنة تغير الحال ، فإن الولد الكبير من أقاربها الذي كان معتادا أن يقص عليهم قصص الأشباح المخيفة قد استدعى للحرب فلم تعد هناك قصص مخيفة للأشباح ، وعمها الذي كان يخبرهم دائما بالقصص الهامة عن حياته في أمريكا والتي لم يكونوا يعرفون أحقا هي أم كذبا كان في الجهة أيضا لقد كان اسمه (شوجي طاغوتشي) وكان في مرتبة عالية في التصوير الصحفي وبعد أن عمل مديرا لفرع أخبار اليابان في نيويورك ورئيس أخبار الشرق الأقصى في «مترو أمريكا» أصبح مشهورا باسم «شو طاغوتشي» وكان هو الأخ الأكبر لوالد

توتوتشن مع العلم بأن والدها قد أخذ اسم عائلته ليخلد هذا الاسم وإلا كان اسم العائلة سيكون (طاغوتشى) أيضا . وكان العم شوجى يصور أفلاما عن الحرب مثل « معركة جزيرة راباول » فى المحيط الهادى وكانت هذه الأفلام كلها من تصويره وتعرض فى السينمات . ولتصوير هذه الأفلام كان يقتضى أن يكون المصور فى مقدمة الجيوش فى منطقة الخطر حيث يستطيع أن يصورهم متقدمين ولا يكون فى المؤخرة فيصور صورا من الخلف أو جانبية وهذا كان حديث أقارب العم شوجى ومصدر خوفهم عليه دائما .

ولقد بدت شواطئ كاماكورا مهجورة نوعا ما فى هذا الصيف ولكن ياتشن أكبر أولاد العم شوجى كان عجبيا بالرغم من كل ذلك . ولقد كان ياتشن أصغر من توتوتشن بسنة ، وكان الأطفال ينمون جميعا سويا تحت ناموسية واحدة وقبل أن يذهب للنوم يتعود ياتشن أن يصيح (يحييا الأمبراطور) ثم يسقط متشبها بالجندى الذى يكون قد قتل رميا بالرصاص ثم يتظاهر بالموت ، ثم يكرر ذلك مرة بعد مرة ، والشئ الغريب عندما يفعل ذلك بانتظام يمضى فى نومه ثم يقع من الشرفة محدثا جلبة عظيمة وكانت الأم تنتظر فى طوكيو مع الوالد لأنه يعمل هناك .

والآن قد انتهت إجازة الصيف ثم عادت توتوتشن إلى طوكيو بصحبة أخت الولد الذى كان يخبر بقصص الأشباح . وكالمعتاد عندما وصلت توتوتشن إلى المنزل كان أول شئ فعلته هو البحث عن الكلب روكى ولكنه لم يوجد أبدا لا فى المنزل ولا فى الحديقة ولا فى الصوبة التى كان الوالد يزرع فيها بعض النباتات السحلية . ففلقت توتوتشن وقد كان روكى يخرج لمقابلتها من مسافة بعيدة حتى قبل أن تصل إلى المنزل . فخرجت توتوتشن من المنزل إلى

الشارع منادية عليه ولكن لم تكن هناك أية إشارة لعينييه وأذنيه وذيله هذه الأشياء المحبوبة لها فيه فظنت أنه ربما يكون قد عاد للمنزل وهي تبحث عنه في الخارج فعادت سريعا إلى المنزل لترى ، ولكنه لم يكن هناك . فسألت أمها :

- أين روكي ؟

والأم تعلم أن توتوتشن كانت تجرى في كل مكان لتبحث عن روكي ولكنها لم تقل كلمة واحدة . فسألت مرة أخرى وهي تجذب جونلة أمها :

- أين روكي ؟

والأم تجد صعوبة في الرد عليها ولكنها قالت :

- لقد اختفى .

ولكن توتوتشن رفضت أن تعتقد ذلك فسألت أمها ناظرة إلى وجهها :

- اختفى ؟ متى ؟

فردت الأم مضطربة بحزن :

- اختفى بعد أن ذهبت إلى كاماكورا فورا ، ثم استمرت سريعا لقد بحثنا عنه وذهبنا في كل مكان وسألنا كل واحد ولكننا لم نجده وكنت متأسفة كيف أخبرك ، أنا أسفة جدا .

وضحت الحقيقة في عين توتوتشن : روكي لا بد وأن يكون قد مات ولم ترد الأم أن تخبرني حتى لا أحزن . لقد مات روكي . لقد أصبح واضحا تماما لتوتوتشن . إلى الآن لم تكن تبالي أن تذهب إلى مسافات بعيدة لتبحث عنه



لأن روكى لم يخرج بعيدا عن المنزل . وهو يعلم دائما أنها إذا خرجت فسترجع مرة أخرى . إنه لم يخرج أبدا مثل هذا من غير أن يخبرنى واستمرت فى هذا التفكير ، وكان هذا اقتناعا قويا ولكنها لم تناقش هذا مع أمها لأنها تعلم شعور أمها .

— أنا أعجب أين ذهب ؟

كان هذا كل ما قالت وعيناها مسبلتان . لقد كان هذا ما استطاعت أن تقوله ثم جرت إلى غرفتها فى الدور الأول من غير روكى فإن البيت لا يبدو مثل بيتهم مطلقا .

وعندما ذهبت إلى غرفتها حاولت بمشقة ألا تبكى ثم فكرت فى ذلك مرة أخرى ، وتعجبت هل عملت أى شىء يحمله على أن يترك البيت .

- لقد أخبر الأستاذ كوياباشي الأطفال في توموى ألا يكيدوا الحيوانات
وقال :

- إنها قسوة أن نخون الحيوانات مادامت تأمنك ، لا تجعل الكلب شحاذا
تقول له : إذا مددت يدك فإنى سأعطيك طعاما ، فإذا مديده لم تعطه شيئا
فإن الكلب سوف لا يصدقك بعد ذلك وربما ينمى ذلك فيه طبيعة سيئة .

لقد أطاعت توتوتشن هذه القواعد ولم تخدع روكى أبدا . إنها لم تعمل
شيئا خطأ يمكن أن تتذكره . ثم أبصرت شيئا ملتصقا برجل دمية الدب على
الأرض . وقد كانت قد تحكمت في نفسها قبل ذلك حتى لاتبكي ، ولكنها
عندما رأت ذلك انفجرت بالبكاء لأنها كانت من شعر روكى البنى اللون لا بد
أن هذه الشعيرات قد سقطت منه حينما تدحرجا سويا على الأرض وهما يلعبان
في صباح اليوم الذى غادرت فيه إلى كاماكورا .

فأمسكت بيدها هذه الشعيرات الشبيرد الألمانية ثم بكت وبكت ولم
تتوقف دموعها ولانשיجها .

لقد فقدت أولا صديقها ياسواكى تشن والآن فقدت صديقا آخر هو
روكى .

حفل الشاي :

لقد استدعى للحرب ريو تشن العامل في توموى ، وكان كل التلاميذ يحبونه كثيرا ومع أنه كان رجلا إلا أن الأطفال كانوا ينادونه باسم الطفولة . وكان هو الملاك الحارس الذى كان يأتى دائما للإنقاذ والمساعدة عندما يكون أى واحد فى مشكلة لأنه يستطيع أن يعمل أى شىء . وعندما سقطت توتوتشن فى البالوعة كان هو الذى حضر لإنقاذها ثم غسل ملابسها ونظفها من غير تذمر .
قال المدير :

– دعونا نقيم حفل شاي لريوتشن ؟

– حفل شاي !!

سر التلاميذ كلهم لأنهم سيعرفون شيئا جديدا ولم يكونوا يفهمون لماذا لم يسمه المدير حفل الوداع وإنما الأطفال الكبار يفهمون أن حفل الوداع شىء محزن . ولكن كلهم لم يكونوا يعرفون ماهو حفل الشاي فكان سرورهم لأنهم سيعرفون شيئا لم يسبق لهم .

بعد الدراسة أمر المدير الأطفال أن يجعلوا المكاتب على شكل دائرة مثل وقت الغداء فى قاعة الاجتماع ، وعندما جلسوا كلهم فى دائرة وزع عليهم كل واحد شريحة واحدة بحففة مشوية من سمك السيبيا وحتى هذا كان ترفا – مع

قلته - في أيام الحرب هذه ثم جلس بجانب ريوتشن ووضع كرنا أمامه فيها قليل من الخمر وكان هذا يقدم خصوصا لهؤلاء الذين يغادرون للجهة في الحرب .

وقال المدير :

- إنه أول حفل شاي تقيمه في توموى فدعونا نتمتع بوقت لطيف ، وإذا كان هناك أى شيء تريدون أن تقولوه له ففضلوا ، وتستطيعون أن تقولوا أى شيء بعضكم لبعض أيضا ، واحدا بعد الآخر بعد أن يقف في الوسط .
فلنبداً .

لم تكن هذه فقط أول مرة يأكلون فيها سمك السيبيا المخفف المشوى بل أيضا أول مرة يجلس معهم ريوتشن وأول مرة يروونه يحتسى الخمر وقف الأطفال واحدا بعد الآخر مواجهها ريوتشن وتكلموا إليه : بعضهم قال له :

- مع السلامة .

وبعضهم قال :

- اهتم بصحتك حتى لا تمرض

ووقف ميغيتا وهو تلميذ في فصل توتوتشن وقال :

- عندما أذهب إلى بلدى سأحضر لكم كعك الجنازة .

فضحكوا كثيرا ، لأنه قد ذاق طعم كعك الجنازة منذ سنة ولم ينس طعمه اللذيذ وتكرر وعده لهم بأنه سوف يحضره لهم ، ولكنه لم يف بما وعد وعندما سمع المدير ميغيتا يذكر كعك الجنازة انتفض فرعا لأن هذه الكلمة تعطى فألا سيئا خصوصا في هذا الوقت ، ولكن ميغيتا قال ذلك ببراءة وأنه إنما أراد أن يشترك مع أصدقائه في بعض الأطعمة لذينة الطعم ، فضحك

المدير ومعه الآخرون وضحك ريوتشن من قوله أيضا ، وقال إن ميجيتا قد وعده منذ مدة طويلة أن يحضر له بعضا من هذا الكعك .

ثم وقف أوى ووعد ريوتشن أنه سوف يحترف فلاحا البساتين ويكون أحسن بستاني في اليابان ، وأوى هذا هو ابن رجل يملك مشتلا زراعيًا كبيرًا في تودوروكي .

كيكو أوكي وقفت بعد ذلك ولم تقل شيئًا وإنما ابتسمت خجلًا كالعتاد وانحنت ثم رجعت إلى مقعدها . وبعد ذلك اندفعت توتوتشن إلى الأمام وقالت لها : لقد رأيت فراخك تستطيع أن تطير قبل ذلك ثم تكلم أماديرا :

- إذا وجدت قطًا أو كلبًا مجروحًا فأحضره لي كي أعالجه .

أما تاكاهاشي فلأن جسمه صغير فقد زحف تحت المكتب سريعًا ليذهب إلى مركز الدائرة ووقف في الوسط وقال في صوت مرح :

- شكرًا لك ياريتشن ، شكرًا لك على كل شيء قدمته لنا :

ثم قالت أيكو سايشو بعد أن وقفت :

- أشكرك يا ريوتشن على ما قمت به نحو تضميد جرحي ولفه بالرباط عندما وقعت . سوف لا أنسى .

لقد كان جدها الكبير توجو مشيرًا كبيرًا في الحرب الروسية اليابانية وقريبتهما الأخرى أتسوكو سايشو كانت شاعرة مشهورة في بلاط الإمبراطور مييجي ولكن أيكو لم تذكرهم قط .

وميوتشن ابنة المدير كانت تعرف ريوتشن أنه أحسن واحد فامتلاأت عيناها بالدموع وقالت :

- اهتم بنفسك ، هل لاتفعل ياريوتشن ؟ دعنا نراسل بعضنا .
وكان عند توتوتشن أمور كثيرة أرادت أن تقولها ولكنها لاتعرف من أين تبدأ ، ولهذا فإنها قالت :

- حتى بعد ذهابك ياريوتشن سنقوم بعمل حفل شاي كل يوم .
فضحك المدير وضحك ريوتشن وضحك الجميع حتى توتوتشن نفسها وقد تحققت كلمة توتوتشن في اليوم التالي . فعندما يكون هناك وقت فإن الأطفال يكونون مجموعة ثم يقومون بعمل حفلة شاي وبدلا من سمك السيبا المحفف المشوى فإنهم يمتصون أشياء مثل لحاء الشجرة ، ثم يرشفون ماء من أكواب بدلا من الشاي ، وفي بعض الأحيان يتظاهرون بأنها ساكى (خمر) ويقول بعضهم : سوف أحضر لكم كعك الجنازة ، ثم يضحكون ، ثم يتحدثون ليخبر بعضهم بعضا برأيه ، ومع أنه لم يكن هناك شيء ليأكلوه فقد تكون حفلة شاي مرحلة .

وكان حفل الشاي هذا هدية وداع جميلة تركها ريوتشن للتلاميذ كما كان آخر شيء قاموا بعمله في توموى قبل أن ينفصل بعضهم عن بعض ويذهب كل واحد منهم في طريق . ثم ذهب ريوتشن ليركب قطار طوكيو ، وكان رحيله متفقا مع وصول الطائرات الأمريكية وأخيرا ظهرت في سماء طوكيو وبدأت تسقط قتابلها كل يوم .

وداعا :

لقد احترقت مدرسة توموى وكان ذلك ليلا . ميوتشن وأختها مياتشن وأمهما كن يعشن فى المنزل المتصل بالمدرسة ، وقد هربن إلى المزرعة بجانب بركة كوهنبتسو حيث سلمن من الحريق .

كثير من القنابل الحارقة التى أُلقيت من قاذفات القنابل (بي ٢٩) سقطت على عربات السكة الحديد المستعملة كغرفات للدراسة لقد كانت حلما للمدير ويدلا من أصوات الأطفال الضاحكة التى كان يحبها كثيرا ومن غنائهم غلفها لهب الحريق وتهدمت بأصوات مخيفة ، وكان من المستحيل إطفائها وقد أحرقتها حتى الأرض وامتد اللهب حتى جيوغاؤكا .

وقف السيد المدير فى وسط الشارع بين كل ذلك وشاهد حريق توموى وكان كالمعتاد يلبس حلته ذات الثلاث قطع السوداء المبهلة ويداه فى جيوبه . وقال المدير سائلا ابنه توموى الطالب فى الجامعة والذى كان يقف بجانبه :

— ماذا يكون نوع المدرسة التى ستبنيها بعد ذلك ؟

سمعه ابنه توموى معقود اللسان متحيرا .

لقد كان حب الأستاذ كوياباشى للأطفال وانفعاله للتعليم أقوى من اللهب

الذى يلف المدرسة الآن وهو لا يزال سليماً قوياً ولذا سأل ابنه عن نوع المدرسة التى بينها بعد ذلك .

لقد كانت توتوتشن نائمة فى قطار مزدحم بين رجلين وكان القطار متجهها نحو الشمال ، وعندما نظرت خارج القطار من النافذة إلى الظلام الخيم فكرت فى بعض مقاطع كلمات السيد المدير التى كان يقوها لها دائماً :
- سنلتقى مرة أخرى .

- بلا شك أنت بنت طيبة . أنت تعرفين

إنها تريد ألا تنسى هذه الكلمات .

ثم نامت وهى فى أفكارها المطمئنة أنها سترى الأستاذ كوباياشى مرة أخرى .
ثم جرى القطار بصوت عال فى الظلام بمن يحمل من ركاب قلقى البال مشغولى الخاطر .

الخاتمة :

منذ زمن بعيد وأنا أريد أن أكتب عن مدرسة توموى والأستاذ كوياباشى الذى أسس هذه المدرسة وأدارها ولا أبتغى شيئا سوى خير القارئ الكريم .

لم أخترع شيئا من الحوادث التى جرت فى هذه القصة . فهى حوادث حقيقية وقعت ، ومن حسن الحظ أننى لم أنس هذه الأشياء لأننى كنت أود أن أكتبها وبجانب ذلك أننى ذكرت فى أحد فصول هذه القصة أنى وعدت الأستاذ كوياباشى عندما أكبر سوف أكون مدرسة فى توموى إلا أننى لم أف بوعدى . لذا أحسست أنه من الضرورى أن أبلغ الناس ما أمكننى أنه كان يوجد أستاذ اسمه كوياباشى ذو عطف وحنان على الأطفال وكيف علمهم .

ولقد توفى الأستاذ كوياباشى فى سنة ١٩٦٣ ولو كان حيا اليوم لتعلمنا منه الأشياء الكثيرة .

وحتى وأنا أكتب الآن فإنى أعرف كثيرا من الحوادث التى تبدو لى ذكريات طفولة سعيدة ولكنها كانت أفكارا قام بها ورتبها بعناية ليحصل على نتائج معينة . هذا هو الذى كان فى نفس الأستاذ كوياباشى أو هو الذى أحس به أو ماتخيلت أنه كان يريد . وكلما اكتشفت غرضا من هذه الأغراض فإنى لا أملك إلا أن أشكر له هذا المجهود .

بالنسبة لى فاني :

لا أستطيع أن أقدر مدى التوجيه الذى أمدنى به الأستاذ كويياشى فى حياتى عندما كان يكرر القولى لى « بلا شك إنك بنت طيبة أنت تعلمين » ولو أننى لم ألتحق بهذه المدرسة ولم أقابل الأستاذ كويياشى لكنت فى حياتى من الضالين شاردى البال وكنت مرقومة بعلامة « بنت رديئة » وكان عندى مركب النقص ومضطربة العقل .

لقد حرقت مدرسة توموى فى الغارات الجوية على طوكيو فى سنة ١٩٤٥ ، وكان الأستاذ كويياشى هو الذى أنشأها من ماله الخاص ، وكانت بعد هدمها تحتاج إلى وقت لاستئناف إنشائها .

بعد انتهاء الحرب بدأ الأستاذ كويياشى فى إنشاء مدرسة روضة أطفال فى نفس المكان بينما كان يساعد فى إنشاء قسم لتعليم الأطفال فى كلية كونيتاتشى للموسيقى وعلم فيها فن الإيقاع وساعد فى إنشاء مدرسة كونيتاتشى الابتدائية . وقد توفى وعمره تسع وستون سنة قبل أن يتم مدرسته المثالية مرة ثانية التى كان يحلم بقيامها .

قد كانت مدرسة توموى فى الجنوب الغربى لطوكيو على بعد ثلاث دقائق سيرا على الأقدام من محطة جيوغاؤكا على خط تويوكو ، والمكان الآن مشغول بمحلات « بيكوك » وموقف للسيارات ولقد تأقت نفسى لرؤية هذا المكان مع العلم أنى أعرف أنه لا شىء هناك من المدرسة أو فنائها .

سقت سيارتى ببطء عابرة موقف السيارات حيث كانت عربات القطار التى استعملت فصولا دراسية وكان الملعب ولكن الرجل المسئول عن الموقف عندما رأى سيارتى صاح :

- لا يمكن أن تدخلى ... لا يمكن أن تدخلى .. إن الموقف مزدحم .

كنت أشعر كأنى أريد أن أقول له :

- أنا لا أريد أن أقف أنا فقط أريد أن استعيد ذكرياتى .

ولكنه لا يفهم وحينئذ انطلقت من ذلك المكان سريعا .

أنا متأكدة أن فى العالم كثيرا من المعلمين ولكل منهم طموحا ومثالية وأفكارا وأحلاما فى إقامة المدارس المثالية ، ولكنى أعلم أنه من الصعب تحقيق هذه الأحلام . لقد قضى الأستاذ كوياباشى سنين وسنين فى الدراسة قبل أن يبدأ توموى فى سنة ١٩٣٧ ثم احترقت فى سنة ١٩٤٥ ولهذا كانت فترة الخبرة قصيرة جدا

أحب أن أقول فى الفترة التى قضيتها هناك كان حماس .

الأستاذ كوياباشى فى فته وكانت مشروعاته فى تمام تفتحها ، ولكنى أشعر بالأسى والحزن عندما أفكر فى الأطفال الكثيرين الذين جاءوا تحت رعايته ثم ذهب الحرب بآمالهم ولولا ذلك لتخرج كثير منهم على يدى الأستاذ كوياباشى فى مدرسة توموى .

لقد حاولت أن أصف طرق تعليم الأستاذ كوياباشى فى هذا الكتاب :

إنه يعتقد أن كل الأطفال يولدون مفطورين على طبيعة طيبة ولكنها من السهل أن تفسد على حسب الظروف والمؤثرات الخارجية . وكان قصده أن يكتشف طبيعتهم الطيبة وينميا حتى يكبر الأطفال بين الناس ولهم شخصيتهم الذاتية .

لقد قدر قيمة عدم التكلف وأراد أن يترك أخلاقيات الأطفال تنمو بلا

تكلف على قدر الامكان . وهو أيضا أحب الطبيعة ، ولقد أخبرتنى ابنته الصغرى ميوتشن أن أباهما قد اعتاد أن يصحبها للتنزه عندما كانت صغيرة ويقول لها :

– فلنذهب ونأمل في تناسق الطبيعة .

وكان يقودها إلى شجرة كبيرة ثم يربها كيف تهتز الأوراق والفروع مع النسيم مشيرا إلى الصلة بين الأوراق والفروع والجذوع ، وكيف يكون اهتزاز الأوراق مختلفا طبقا لقوة الرياح أو ضعفها . ولقد كانا يمشان في الوقوف لملاحظة الأشياء المحيطة وإذا لم يكن هناك رياح فإنهما ينتظران يصبر بدون أن يلفتا وجهيهما حتى يهب نسيم خفيف . ولم يقتصرا على ملاحظة الشجر وإنما أيضا الأنهار ، فقد اعتادا الذهاب إلى نهر طما القريب لمشاهدة جريان المياه ، ولم يشعرا بتعب قط من عمل ذلك .

وربما تساءل القراء : كيف سمحت السلطات في أثناء الحرب لمثل هذه المدرسة الابتدائية التي لم تحافظ على التقاليد بأن تجرى الدراسة فيها في مثل هذا الجو من الحرية ؟

لقد كان الأستاذ كوباياشى يكره الشهرة وحتى قبل الحرب لم يكن يسمح بالتقاط صور للمدرسة أو أى نشرة عن انفرادها في نظامها .

وربما يكون السبب أن هذه المدرسة صغيرة وبها أقل من خمسين طفلا ولذلك كان سهلا أن تختفى عن الملاحظة وأن تستمر ، وشيء آخر هو أن الأستاذ كوباياشى كان معتبرا في وزارة التربية والتعليم أنه معلم أطفال .

في اليوم الثالث من نوفمبر في كل عام – يوم الرياضة الجميلة التي تحمل

الذكريات الطيبة - يجتمع أطفال توموى بدون اعتبار لتاريخ تخرجهم في حجرة من معبد كوهنتو لبعده بعضهم عن بعض ومع أننا الآن في سن الأربعين وكثير منا قارب الخمسين ولنا أولاد كبار فإننا لانزال ندعو بعضنا بكينيتا أى ألقابنا القديمة « ساكوتشن » أو « أوى كون » كما ينادى الأطفال بعضهم بعضا .
هذه الاجتماعات واحدة من التراث السعيد الذى تركه لنا الأستاذ كوياباشى .

إنها حقيقة أنى طردت من المدرسة الابتدائية السابقة وإن كنت لا أتذكر كثيرا عن تلك المدرسة ، وقد أخبرتنى أمى عن العجبر وعن المكتب . ولكنى وجدت من الصعب أن أعتقد ذلك . هل كنت حقا شقية إلى هذا الحد ؟ على أى الحالات : منذ خمس سنوات بدأت الاشتراك فى عرض التلفزيون الصباحى وكان أن قدمت إلى سيدة تعرفنى فى هذا الوقت فإذا بها مدرسة الفص الذى كان يجاور فصلى ، وقد كنت مندهشة مما أخبرتنى : قالت :
- لقد كنت فى حجرة مجاورة تماما لحجرتى وعندما كنت أريد أن أذهب إلى حجرة المدرسين لأمرما فى أثناء الدرس كنت أجلك عادة واقفة فى الممر مطرودة لسوء سلوكك وبعد مرورى بك تنادىنى ثم تسألينى :

- لماذا أنا واقفة فى الخارج هكذا ؟ وما الخطأ الذى ارتكبته ؟

ولقد سألتنى يوما :

- ألا تحبين العجبر ؟

ولم أعلم أبدا كيف أتعامل معك فلم أقل شيئا . وأخير كنت إذا أردت الذهاب إلى حجرة المدرسين فلا بد أن أنظر إلى الممر أولا فإذا رأيتك واقفة

كعادتك أحجمت عن الذهاب إليها ، وطالما جذبتني مدرسة فصلك في حجرة المدرسين وقالت لماذا هي هكذا ؟

ولهذا عندما ظهرت على شاشة التلفزيون بعد ذلك عرفت اسمك فوراً . إنه كان منذ زمن طويل ولكنني أتذكرك بوضوح عندما كنت في السنة الأولى هل كنت أقف في الممر خارج الفصل ؟ لا أتذكر ذلك وكنت مندهشة .

لقد كانت هذه المدرسة ذات الشعر الرمادي التي تبدو شابة وبوجه سمح والتي تحملت إزعاجي والتي حضرت في عروض التلفزيون في الصباح الباكر هي التي اقنعتني أخيراً أنني حقاً قد طردت من المدرسة الأولى .

وهنا أحب أن أشكر من قلبي لأمي لأنها لم تخبرني عن ذلك حتى بعد بلوغي سن العشرين . لقد سألتني يوماً ما :

– هل تعلمين لماذا غيرت مدرستك الابتدائية ؟

وعندما أجبت بالنفي استمرت برصانة وهدوء :

– لقد كان ذلك لأنك طردت من المدرسة الأولى . وربما لو قالت في هذا

الوقت :

– وماذا يكون من أمرك ؟ إنك قد طردت فعلاً من مدرسة ، وإذا طردوك

من المدرسة الثانية فأين تذهبين ؟

ما كان أتعسني وأغضبني لو أن أمي قالت لي مثل ذلك وكنت قد شعرت بنفس الشعور الذي أحسسته عندما دخلت بوابة مدرسة توموى أول يوم ذهبت هناك ، تلك البوابة بجذوع أشجارها وهذه الفصول الدراسية في عربات القطار التي لم تبد سارة لي تقريباً . كم أنا محظوظة أن يكون لي أم عظيمة مثل أمي .

في أثناء الحرب لم تلتقط صور كثيرة في توموى . وكانت الصور التي التقطت للخرجين أجمل هذه الصور وكانت صور الخريجين عادة تؤخذ على السلام أمام صالة الاجتماع ، ولكن عندما يصطف الخريجون لالتقاط الصور صائحين (تعالى هنا خذ صورة في هذا المكان) . كان الآخرون يريدون أن يكونوا في الصورة أيضا فيدخلوا رءوسهم من هنا ومن هناك .

ولهذا من الصعب الآن أن تعرف من هم الخريجون . ولقد ناقشنا في اجتماعاتنا هذا الموضوع لمعرفة أصحاب الصور . ولم يعتد الأستاذ كوياباشي أن يقول شيئا في هذه المناسبات لأنه كان يفضل أن تكون الصورة شاملة لجميع أطفال المدرسة لا أن تكون فقط للخرجين وبالنظر إلى تلك الصور الآن يتمثل للرائى مدرسة توموى آنذاك .

وهناك لايزال أمور كثيرة استطيع أن أكتب فيها عن توموى ، ولكن . - على أى حال - سأكون مقتنعة إذا كنت قد جعلت الناس يعرفون كيف أن بتنا صغيرة جدا مثل توتوتشن تربت على العطف والود تستطيع أن تكون الشخصية القادرة على أن تتعامل مع الآخرين .

أنا متأكدة تماما لو أنه كان هناك مدارس الآن مثل توموى لقلّت من قلوب الناس القسوة التي نسمع عنها كثيرا في هذه الأيام وقلّ عدد التلاميذ الذين يرفضون دخول المدارس . ولقد كان التلاميذ في توموى لا يرغبون في مغادرة المدرسة والرجوع إلى بيوتهم بعد الدراسة ، وفي اليوم التالى لم يستطيعوا صبرا حتى يأتى وقت ذهابهم إلى المدرسة .

وهكذا كانت مدرسة توموى من هذا النوع .

سوساكي كوباياشي : الرجل الذى كان ذا إلهام وحسن تصور حين انشأ هذه المدرسة العجيبة ، ولد فى ١٨ يونيو سنة ١٨٩٣ فى قرية فى الشمال الغربى من طوكيو . وقد كانت الطبيعة والموسيقى هوايته المفضلة ، وعندما كان طفلاً كان يقف على شاطئ النهر قريباً من منزله وعلى مسافة قريبة من جبل هارونا وأصوات الماء المتدفق كلها كانت الأوركسترا الذى يقوم بقيادته .

وقد كان أصغر أخوات ستة فى عائلة رجل فلاح وكان عليه أن يعمل مساعداً للمدرس فى مدرسة بعد التعليم الابتدائى ، وأن يحصل على المؤهل الضرورى لهذا العمل ، وكان الحصول على ذلك عملاً باهراً تماماً لولد فى هذا العصر وقد أظهر أنه كان ذكياً ، وبعد وقت قصير . حاز مؤهلاً .

حصل على مركز فى مدرسة ابتدائية فى طوكيو ، وجمع إلى التعليم دراسة الموسيقى التى - أخيراً - جعلته قادراً على أن يستمر فى طموحه العزف ثم دخل قسم تعليم الموسيقى فى معهد اليابان الأول للموسيقى - الآن جامعة طوكيو للفن الدقيق والموسيقى - وعندما تخرج أصبح معلم موسيقى فى مدرسة سيبكى الابتدائية التى أسست بواسطة هاروجى تاكامورا الرجل العجيب الذى كان يعتقد أن تعليم الأطفال الابتدائى له أهميته الكبيرة . وقد حافظ على قلة الأطفال فى الفصول وحيداً كفاية الموضوعات الحرة ليربى فى الطفل الشخصية الفردية وينمى الاعتماد على النفس . وكانت الدراسة تجربة فى الصباح . وبعد الظهر كانت مثل الفترة . جمع المحصول ، الرسم أو التمثيلات القصيرة ، الغناء أو الاستماع إلى حديث السيد المدير .

لقد كان تأثير الأستاذ كوباياشي عظيماً بنتيجة طريقة التعليمية حتى إنه أنشأ نوعاً مشابهاً لها فى مناهج التعليم وسارت عليها مدرسة توموى . وبينما كان يدرس

الموسيقى هناك كتب للأطفال رواية تمثيلية هزلية ليقوم بتمثيلها الطلبة ، فتأثر بها رجل الصناعة بارون إيواساكي الذى أسست أسرته مؤسسة متسويشي العملاقة للتجارة وقد كان بارون إيواساكي نصيرا للفنون وكان يساعد كوساكيامادا عميد المؤلفين اليابانيين كما كان يمد المدرسة بالمساعدات المالية .

وقد عرض بارون أن يرسل الأستاذ كويياشي إلى أوروبا ليدرس طرق التدريس ، ففضى هناك سنتين من سنة ١٩٢٢ إلى ١٩٢٤ يزور المدارس ويدرس فنون التوقيع مع إميل جاكوس دالكروز في باريس . وعندما عاد أنشأ روضة أطفال سيجو مع رجل آخر ، وقد اعتاد الأستاذ كويياشي أن يجبر مدرسى روضة الأطفال ألا يحاولوا وضع الأطفال في دائرة محددة بل يتركهم أحرارا .

- أتركهم للطبيعة ، ولا تحبسوا طموحاتهم ، فإن أحلامهم أكبر من أحلامكم .

لم يكن هناك في اليابان روضة أطفال مثل هذه .

في سنة ١٩٣٠ ذهب الأستاذ كويياشي إلى أوروبا لمدة سنة أخرى ليدرس مع دالكروز وسافر هنا وهناك ودون ملاحظات وقرر أن يبدأ مدرسته الخاصة به عندما يرجع إلى اليابان وبجانب بدء مدرسة توموى أسس جمعية فن التوقيع اليابانية ولهذا فإن معظم الناس يذكرونه بأنه الرجل الذى أدخل فن الإيقاع إلى اليابان ولعمله الذى يتصل بمدرسة كونيتاتشي للموسيقى بعد الحرب . وكان من المؤسف أنه مات قبل أن ينشئ مدرسة أخرى على طراز توموى بعد أن أحرقت بقنابل الحرب .

رغم طول مقدمتي أود أن أضيف لها ما يأتى لكى يفهم القارئ عن الأستاذ

كوباياشى . السيد كازوهيكو سانو المخرج لبرنامج « مضيقة تيتسوكو » على شبكة إذاعة أساهى . الذى أقوم به - تخرج فى قسم الآلات الموسيقية بجامعة طوكيو للفنون الجميلة وبالإضافة إلى عمله فى إذاعة التلفزيون بدأ تعليم الموسيقى للأطفال . حيث يعلمهم كثيراً من المسائل . وفى ذلك الحين سمع عن معلم بارز وهو الأستاذ كوباياشى وأخذ يبحث عن أسلوبه فى التعليم وشخصيته واستمع إلى الناس المختكين به . ولكن لم يفهم بشكل واضح كيف يتعامل مع الأطفال . ومن الغريب أننى أعرفه منذ عشر سنوات قبل برنامج « مضيقة تيتسوكو » وقت بتقديم برنامج آخر عده سنين وحينئذ عرفت السيد سانو . وقبل سنوات لم أكن أعرف أن السيد سانو يبحث عن معلومات عن الأستاذ كوباياشى وأيضاً كان السيد سانو يعرف أننى قد ربيت على يد مدير بارز ولكن لم يتخيل قط أنه الأستاذ كوباياشى نفسه . عندما بدأت كتاب توتوتشن عرف السيد سانو وسر للغاية ، إنه يوجد شخص مطلوب فى مكان قريب له ..

السبب الذى جعل السيد سانو يبحث عن الأستاذ كوباياشى هو لقاء مع امرأة عزفت على البيانو عندما علم الأستاذ كوباياشى علم الإيقاع للأطفال .
قالت المرأة :

- قال الأستاذ كوباياشى أن الأطفال لا يمشون بذلك !

ولما سمع هذا الكلام بدأ السيد سانو دراسة عن الأستاذ كوباياشى . إننى أتوق لمعرفة أكثر عن الأستاذ كوباياشى بتفاصيل دقيقة من السيد سانو بقدرته والبحث الدقيق .

ريوتشن العامل فى المدرسة قد دعى للاشتراك فى الحرب رجع سليماً منها .
وحتى الآن فى كل سنة يوم ٣ من نوفمبر يلتقى معنا .

لقد اشتهر لفظ « قوم عند الشبابيك » بين الناس عندما بدأت كتابها هذا .
يعنى الناس الذين يتخرجون من النخبة المخطوطة وينظر إليهم ببرود . يفسر هنا
اللفظة بمعنى ذلك

أنا أيضاً كنت دائماً عند الشبابك لانتظر إلى العجر وخشيت أن يرانى الناس
وينظروا إلى نظرات فاترة في المدرسة الأولى .

ولهذا قررت أن يكون ذلك هو موضوع الكتاب . ولقد تحدثت عن
توتوتشن في الكتاب . بمناسبة طبع هذا الكتاب أود أن أشكر تشييرو اثيواساكي
رسام الصور اللطيفة والجميلة في هذا الكتاب . للأسف توفى قبل سبع سنين .
إلا أنه ترك لنا حوالى ٧٠٠٠ صورة جميلة . كما اشتهر برسم صور الأطفال .
وأعتقد أنه الوحيد في العالم كله الذى يرسم صور الأطفال بحوية كان يستطيع
أن يرسم أى وضع للأطفال ويستطيع برسمه أن يجعلك تعرف طفل السنة
شهور عن طفل التسعة شهور .

إنه كان يعمل دائماً لصالح الأطفال . ويتمنى سعادة الأطفال . كان
حلمى أن أحظى برسام شهير في كتابي . وتحققت رغبتى وأشعر بسعادة غامرة .
كانت صور تشييرو تلائم الموضوعات فن الناس من يسأل هل الصور كتبت
قبل الوفاة لى ؟ يعنى إلى هذا الحد رسم تشييرو صوراً لأطفال كثيرة ومختلفة .
لم تبعد توموى عنى . ومن خلال الاطلاع على هذا الكتاب يستطيع القارئ
أن يتخيل منظر توموى كما كانت ، وهذا يجعلنى فى منتهى السعادة .

عام ١٩٨٢م فى طوكيو اليوم نشر الخبر الذى دخلت فيه الشرطة حفل
التخرج بمدرسة أعدادية لكى لا يعتدى التلاميذ على الأساتذة .

تعريف بالأشخاص الذين وردوا في هذه القصة :

- والذين رحلوا معي في فصل القطار .

أكيرا تاكاهاشي :

هو الذي فاز في كل المباريات الرياضية في اليوم الرياضي ، ومع أنه لم يزد طول جسمه فإنه قد التحق بمدرسة ثانوية مشهورة في اليابان بفريقها الرجبي (نوع من الرياضة) ثم دخل جامعة ميجي وتخرج منها مهندسا اليكترونيا . وهو الآن مدير شئون الموظفين في شركة كهربائية كبيرة قريبة من بحيرة هامانا في وسط اليابان وهو مسئول عن تحسين العلاقة بين العمال والاستماع إلى شكاياتهم ومشاكلهم ثم يحاول حل هذه المشاكل ، ولأنه تحمل كثيرا فإنه يحس بالآلام الآخرين ويساعده مركزه العالي وشخصيته الجذابة مساعدة جلييلة في التغلب على العقبات . ولأنه أيضا متخصص في فنون الصناعة فإنه أيضا يقوم بتدريب الشباب على استعمال الماكينات الكبيرة ذات الدوائر المتكاملة .

لقد ذهبت إلى هاماما تسو لأرى تاكاهاشي وزوجته الكريمة التي تفهمه جيدا وسمعت كثيرا عن توموى وهى تقول : كأنها التحقت هى أيضا بتوموى وقد أكدت أنه لا يحس بمركب النقص لقصر قامته . وهى على حق لأن مركب النقص تجعل حياته شاقة وتجعل من المستحيل أن يلتحق بالمدارس الثانوية والجامعة ويكون في هذا المنصب الهام الذى يحتم على شاغلة أن يعامل العمال

بروح الود وعلى مستوى واحد . وعند وصفه للأيام الأولى في توموى : قال :

إنه احس مباشرة بسهولة التحاقه وراحته عندما رأى أن هناك بعض الأطفال الآخرين المعوقين ومن هذه اللحظة فإنه لم يتحمل أية آلام وتمتع بكل يوم حتى إنه لم يرد أن ينتظر في البيت وقد أخبرنى أنه كان متضيقاً وخجلاً من السباحة عارياً في حمام السباحة ولكن عندما خلع ملابسه واحدة تلو الأخرى فإنه خلع أيضاً احساسه بالخجل قليلاً قليلاً وأنه لم يهتم عندما وقف أمام الآخرين ليلقى حديثه في أثناء الغداء وقد أخبرنى أيضاً كيف شجعه الأستاذ كوياباشى على الوثوب على ظهر الحصان أعلى ما يكون ، وكان يؤكد له دائماً أنه يستطيع ذلك مع العلم إنه لاشك الآن أن الأستاذ كوياباشى كان يساعده في ذلك ، ولكن إلى آخر لحظة كان يجعله يفكر إنه قد قام بكل ذلك بنفسه وبدون مساعدة أحد ، وقد أعطاه الثقة في نفسه وجعله قادراً على إدراك السرور الذى لا يوصف عند بلوغ النجاح ، وكلما حاول أن يخشى في الحلف قدمه المدير إلى الإمام ولهذا كان عليه أن ينمى طريقة إيجابية إلى الحياة طوعاً أو كرهاً ، وهو لا يزال يتذكر الفخر الذى احس به عندما فاز بهذه الجوائز كلها . إنه لا يزال يستعيد الذكري عن توموى بسعادة ويعيون لامعة سريعة التأثير ولقد كان للبيئة الطيبة التى كان فيها تاكاهاشى أثر طيب حيث ساهمت في تربيته وجعلته في هذه الشخصية اللطيفة ، وبلا شك فإن الأستاذ كوياباشى تعامل معنا كلنا بطريقة كاملة الرؤية مثل قوله المتكرر لى « بلا شك أنت بنت طيبة كما تعلمين » فإن الطريقة المشجعة التى داوم على قولها لتاكاهاشى (أنت تستطيع أن تعمل هنا) هى التى شكلت حياة تاكاهاشى .

وعندما تأهببت لمغادرة هاماماتسو أخبرنى تاكاهاشى بشيء قد نسيته تماماً .
عندما أزعجه تلاميذ من مدرسة أخرى في خارج الفناء دخل إلى الفناء مضطرباً

وسرعان ما سأله عما ازعمجه وقلت له :

- لانتخف يا تاكاهاشى .

ثم طمأنته فكان سعيدا .

- شكرا لك يا تاكاهاشى لتذكرك

ميوتشن (ميوكانيكو)

هى البنت الثالثة للأستاذ كوياباشى ، وقد تخرجت فى قسم التربية بجامعة كوينتانشى كلية الموسيقى وهى تعلم الآن الموسيقى فى المدرسة الابتدائية الملحقه بالكلية . وهى مثل أبيها تحب تعليم الأطفال الصغار . منذ كانت فى الثالثة من عمرها لاحظ الأستاذ كوياباشى ميوتشن كيف تمشى وكيف تحرك جسمها وقت الموسيقى ، وكيف تتحدث ، وقد ساعده ذلك بدرجة كبيرة فى تعليمه للأطفال .

ساكوتشن (ساكو ماتسوباما وبعد الزواج ساكو سايتو)

البنت ذات العيون الكبيرة التى كانت تلبس جونلة وعليها ارنب فى اليوم الذى بدأت فى توموى . وقد التحقت بمدرسة ميتا الثانوية إحدى المدارس للبنات وكان الالتحاق إليها صعبا فى ذلك الوقت ثم التحقت بجامعة طوكيو للبنات قسم اللغة الإنكليزية وبعد تخرجها صارت مدرسة للغة الانكليزية فى احد المعاهد ولا زالت مدرسة للآن .

ولقد استفادت من تجربتها فى توموى فى معسكرهم الصيفى ، وقد تزوجت من رجل قابلته عند صعود جبل هوتاكا ضمن جبال الب اليابان ، وقد انجبا

ولدا وهو فى الصف الثالث بالجامعة وقد سمياه ياسوناكا ذكرى جبل هوناكا حيث يتفق الجزء الأخير من الأسمين .

تايتشن (تانجى ياماوتشى)

هو الذى قال لى : لن تكونى عروسا لى . صار من الفيزيائيين البارزين فى اليابان ويسكن حاليا فى الولايات المتحدة أى أنه أحد (الادمغة النازحة) .

تخرج فى قسم الفيزياء بكلية العلوم فى جامعة طوكيو للتربية وبعد حصوله على الماجستير ذهب إلى امريكا فى منحة دراسية على نظام تبادل المنح للمؤسسة فولبرايت ، وبعد خمس سنوات حصل على الدكتوراة من جامعة روتشستر ، وظل فى الجامعة يجرى تجارب للبحث فى فيزياء الطاقة العليا .

وهو الآن يعمل وكيلا لمدير معمل (فرمى) العالمى لزيادة السرعة فى ولاية ايللينوس وهو أكبر معمل فى العالم .

وهذا المعمل للأبحاث يضم علماء من ثلاث وخمسين جامعة فى أمريكا وجامعته فيها ١٤٥ فيزيائيا و ١٤٠٠ مهندسا ومن ذلك تستطيع أن تعرف مكانه تايتشن وموهبته الفذة . وقد جذب هذا المعمل انتباه العالم منذ خمس سنوات عندما نجح فى انتاج شعاع على الطاقة قدرته ٥٠٠ بليون فولط اليكترونى .

والآن تايتشن بالاشتراك مع استاذ من جامعة كولومبيا قد اكتشفا شيئا يسمى (أبمسيون) . ولهذا فأنا متأكدة أن تايتشن سيحصل على جائزة نوبل فى بعض الأيام . وقد تزوج تايتشن بفتاة ذكية تخرجت من قسم الرياضة بمرتبة الشرف من جامعة روتشستر . وبمثل هذه العقول فإن تايتشن سيذهب بعيداً بدون نظر إلى المدرسة الابتدائية التى تعلم فيها ، ولكنى أظن أن نظام توموى الذى يترك

التلاميذ يعملون في الموضوعات باى طريقة يريدونها من المحتمل أن تكون قد ساعدت على تنمية ذكائه .

أنا لا أستطيع أن اتذكر إنه كان يعمل أى عمل آخر في اثناء الدرس ، وإنما يعمل مع موقد كحول أو ورق مخروطى أو أنبوب اختبار أو قراءة كتب العلوم والفيزياء الصعبة .

أوى (كونيو أوى)

هو الولد الذى جذب ضفيري ، هو الآن المرجع الأول في اليابان في أوركيديا الشرق الأقصى - وهو نبات سحلى جذوره على شكل بصله - ويبلغ ثمن زهوره عشرات الآلاف من الدولارات وحقله حقل خاص ، وأوى هو الرجل المطلوب لأنه يتقن رعاية هذا النبات والآن هو دائما يسافر من مكان إلى آخر في كل اليابان .

لقد عثرت عليه بمشقة بالتليفون بين الرحلات وقد حصلت منه على الحديث التالى مختصرا :

- إلى أى مدرسة ذهبت بعد توموى ؟
- لم أذهب إلى أى مدرسة .
- أنت لم تذهب إلى أى مكان آخر ؟ توموى كانت مدرستك فقط ؟
- نعم . هذا صحيح .
- ياسلام . حتى لم تذهب إلى مدرسة أعدادية ؟
- أوه . نعم . لقد بقيت في مدرسة أويتا الأعدادية أشهراً قليلة عندما

أخرجت إلى كيوشو هربا من غارات الحرب .

- ولكن أليس الانتهاء من المدرسة الإعدادية إلزاميا ؟

- هذا صحيح ، ولكن لم انته منها .

لا أتصور كيف هو سعيد محظوظ ، لقد فكرت . قبل الحرب كان أبوه يملك حديقة واسعة لزراعة الشتلات وكانت تشمل معظم منطقة تودوروكي في الجنوب الشرقى لطوكيو ، ولكنها كلها حطمت بالقنابل .

لقد كانت طبيعته هادئة وقد وضع ذلك في بقية الحديث عندما غير موضوع الكلام . فقال :

- هل تعرفين ما هي أطيب الزهور رائحة ؟

أعتقد أن الزهرة الساحلية الصينية هي الأفضل ولا توجد أى زهرة تدانى رائحتها .

- هل هي غالية ؟

- نعم : بعضها غال وبعضها رخيص .

- ماذا تشبه هذه الزهرة ؟

- حسنا ، ان هذه الزهور جميلة المنظر ورقيقة ولكن هذا سر جاذبيتها .

إنه لم يتغير قليلا منذ كان في توموى ، إن الذى يسمع صوت أوى المريح الهادى أظن أنه سوف لا يترجع لحظة واحدة . وحقا إنه حتى لم يتخرج في المدرسة الإعدادية ولكنه عمل كل ما يحتاجه وأنه يثق في نفسه ، وأنا لا أستطيع إلا أن أعجب به .

أماديرا (كازو أماديرا)

هو الذى أحب الحيوانات ، وكان يريد أن يكون بيطريا عندما يكبر وأن تكون له مزرعة ، ولسوء حظ مات أبوه فجأة وكان عليه لشدة تأثره أن يغير منهج حياته فترك كلية الطب البيطرى بجامعة اليابان والزراعة ، واشتغل بوظيفة فى مستشفى كيو . وهو الآن فى المستشفى المركزى لقوات الدفاع الذاتى فى موقع مسئول يتصل بالاختبارات الصحية .

سايشو .(أيكو سايشو بعد الزواج أيكو تاناكا)

التي كان جدها الكبير المشير توغو (بطل الحرب اليابانية الروسية فى سنة ١٩١٤) التحقت بتوموى تحويلا من مدرسة أوياما ، وقد كنت أنصوّر فى تلك الأيام كأنها امرأة رزينة ، ولعلها بدت هكذا لأنها فقدت أباهـا وكان رائدا فى الفرقة الثالثة بالقوات المسلحة ، وقد قتل فى حادث منشوريا . وبعد ان تخرجت فى مدرسة كاماكورا الثانوية للبنات تزوجت برجل معمارى ويعمل ابنها الأكبر فى شركة للمقاولات .

وابنها الثانى موظف أيضا ، وتقضى أوقات فراغها فى كتابة الشعر .

ولقد سألتها :

– هكذا فأنت مستمرة على عادة عممتك الشهيرة التي كانت شاعرة ممتازة فى

بلاط الأمبراطور ميجي ؟

فضحكت خجلى وأجابت :

– أوه . لا .

فقلت لها :

- أنت متواضعة كما كنت فى توموى وخجلى كالسيدات .
فأجابت فوراً :
- أنت تعلمين : شكلى الآن هو نفس شكلى عندما مثلت دور بينكى .
ومن صوتها عرفت أنها زوجة سعيدة فى بيتها وبين أسرته .
كيكوتشن (كيكو أوكى وبعد الزواج كيكو كوابارا)

هى التى تملك الدجاج الذى يطير فى الهواء ، وقد تزوجت من مدرس فى
المدرسة الابتدائية التابعة لجامعة كيو ، ولها بنت متزوجة .

يوئشى ميهيتا

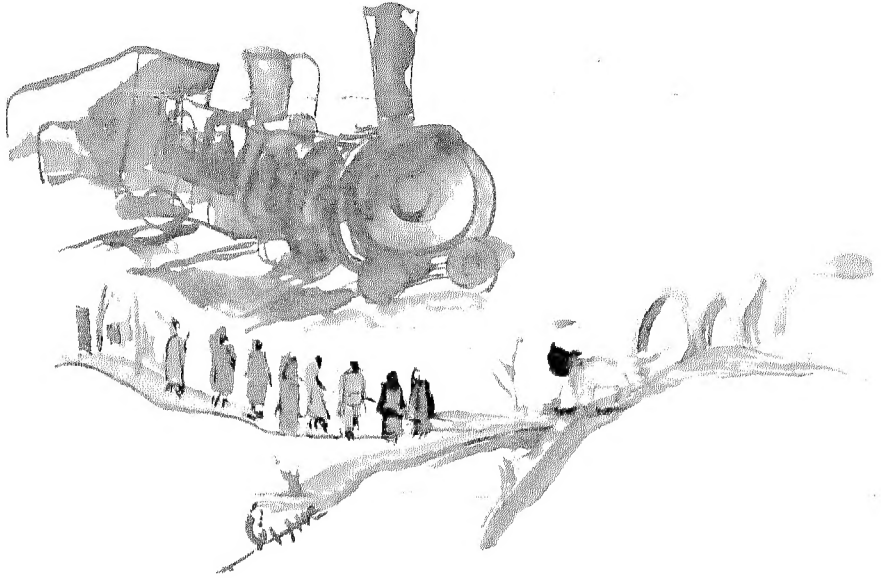
هو الذى وعد باحضار كعك الجنائز من بلدته ، حصل على درجة فى
فلاحة البساتين ولكنه أحب دائماً الرسم ولهذا فإنه رجع إلى الكلية وتخرج فى كلية
موساشينو للفن الدقيق وهو الآن يدير شركته لفن الرسم والتصوير مع أصدقائه .

ريوتشن

هو العامل الذى ذهب إلى الحرب ، وقد رجع سالماً إلى وطنه
إنه لا يتأخر أبداً عن حضور اجتماعات توموى فى الثالث من نوفمبر كل عام .

مطابع الشروق

الطبعة ١٦ طابع جونا جيني - فاكس ٢٩٣١٥٧٨ - ٢٩٣١٨١١ - برلن - لبرول - فاكس 93091 SHROK UN
برلن - ص ب ٨١٦٤ - فاكس ٢١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برلن - لبرول - فاكس SHOROK 20175 LE



تصميم الغلاف هدية من الفنان عادل حامد الشاذلي